

بؤنى الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
غيراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون
أولئك الذين هدى الله فبذلك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام سوى «منارة» كنار الطريق)

(مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
الينبات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصالح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبنى ، وفتنة من ضل من
مرشديننا وغوى ، وخسر من عصى من دهائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أنهران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانقنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتنا ما وعدتنا في الآخرة والأولى ،

هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، يعقهما أمل

ورجاء ، على حين سعت مرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب
الرجال ، وأساط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من
أرضهم الأُجانب ، بين سلطان يحارب العلم وسلطان يحارب الجهل ، وأمير
مفتون بالدين ، وأمير منبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم
يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستقل سلطتها ، ومرشد
يخادع أمة يستدر غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد
أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها
شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء
الكبراء تذلل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ٢٠ : ١٢٨ »
أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَآتِي لَوْلِي النُّهَى *

نم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالغشاء
في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور
لعوامهم فيما يراد بهم ، وللاُجانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ،
ويد في تصرف أموالنا في مصالحهم دون مصلحتنا ، ويد تطبع الأفكار
بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا
تفوّض بناء وحدتنا ، فأى شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ، ؟ اللهم انه
يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ،
ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة توجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما
يحاول من كشف الغمة والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاقلين ، ومن
يتصل بحزبهم حيناً بعد حين ، والماقية للمثقين ، « ٢ : ٩٤ » كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غلبت قوة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * «١٣٢: ٢٠» وأمر أهلك
 بالصلاة والصطر علىهن لا تسألنك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى * ١٣٣
 وقالوا لولا يأتينا بياء من ربنا أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى *
 بلى قد جاءتنا الصحف الأولى، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين،
 أنه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، إلا بصيحة نهر
 من أولي الألباب، ومشتقي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس
 أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة أسنتهم ونفحات أقلامهم،
 فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
 والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة، ويعملون
 بالتعاون فيكونون أمة، «٨٥: ٤٠» سنة الله التي قد دخلت في عبادته وخير
 هنالك الكافرون * ٣١: ٥٣ والله ما في السموات وما في الأرض ليجزى
 الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى *
 ما النار إلا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
 سواء منهم من دعا إلى الإصلاح قبلها ومن يدعو إلى الهدى معها ولتكبير سواد
 الدعاة الذين تعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويموتون في
 سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
 من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
 الذين هم ينبوع الهداية، واتباعهم أعوان السعادة، من تمسك بهما نجاة، ومن
 تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والأولى، «١٢٤: ٢٠» ومن أعرض
 عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * ١٢٥ قال

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الأولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قبلاً، «١٧: ٧٢» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلاً * «فالدنيا مزرعة الآخرة»، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الانتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المفرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لا أغني عنك من الله شيئاً «٥٣: ٣٦-١» أم لم ينبأ بما في صحف موسى،
وإبراهيم الذي وفى * «أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
مَا سَعَى * وَأَنْ تَعْلَمَ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى *»

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الأمم والدول ايهاً أخذاً وبيلاً، «٤: ١٤١» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * «نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣: ١٣٩» ولا تنهوا ولا
تغزوا وأنتم ألا تعلمون ان كنتم مؤمنين * ٢٢: ١١ ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما اتفم المغرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا » ٢٣: ٥٣ « إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا يَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى * » ٢٤ « آم لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى *
٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى * »

نعق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لا نجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، إلا بفناء ارادتكم في ارادة حكماكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشتراك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، —
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لا حياة لكم بالرابعة الملية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الأولين ، ولا يجبروا من
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما عتزه المسلمون الأولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدنية أوروبا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، إن يبعثون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة المرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
» ٢٩: ٥٣ « فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * » ٣٠ « ذَلِكَ

مُبَانِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى *
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون ، وكل حزب بما لديهم فرحون
 « ٢٤ : ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَّسُولٍ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ »
 فله وحده دعوة الحق ، وما خالفها فهو باطل أو فاسق « ٢٦ : ١٥٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ » ١٥٢ الذين يفسدون في الأرض
 وَلَا يُصْلِحُونَ * « ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنًا
 طويلاً ، أطمعنا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ، وأخذنا الأُجانب من
 ناحية سلطتهم أخذاً وبيلاً ، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قليلاً ، « ٢٩ : ٧٦
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا . » ولا سبيل إليه الا
 باتباع هدايته ، والسير على سنته في خلقته ، « ٨٤ : ١٧ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ
 شَاكِلَةٍ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا » ٩٢ : ١٠ - والليل اذا
 يَنْشَأُ ، والنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ، إِنَّ سَمِيعُكُمْ لَشَئٍ *
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَغْنَىٰ ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ *

فعلكم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة ، واختلفت دعوة الدعاة ،
 أن تحيوا داعي الله ، وتكونوا من حزب من أعطى المصون من ماله ، لا إعلاء
 كلمة الله ومواساة عياله ، واتقى أسباب الفتن والحن ، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ، وصدق بالشرعية الحسنى ، والخليقة الفضلى ، تصديق
 إذعان ، يتبعه العمل بالجنان والاركان ، والتعاون على البر والتقوى دون
 الاثم والعدوان ، فاذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى ، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا ، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمته وملته ، وكذب في نفسه بأن الشريعة الحسنى ، والخلققة الفضلى ، هي طريق السعادة الكبرى ، فإن الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الأعسرى الخطين ، وسوءى الطريقتين ، فيكون شقياً بماله ، مضطرباً في حاله ، مبعضاً إلى قومه وآله ، لا فرق في هذه السنة ، بين الشخص والامة ، والاصر في الشعوب أظهر لمن يرى ، فمارزى شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢: ١١-١٣ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية ، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سمي نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظاً من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان ، وهو الاقرب الى هداية القرآن ١٨: ٥٩ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلًا بِكُنَّاهُمْ لَمَّْا ظَلَمُوا جَعَلْنَا لَمِيزًا لَّهُمْ مِّمَّنْ كَانُوا وَعَدَا *

١٦:٧٧ وَأَنْ تَوَاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لَنَقْفِيَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا «١٧:٩» فَذَكَرَ أَنْ تَهْتَبِ الدَّكَرَى ١٠ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى *

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقفل بابه في هذا الزمان ، والداعي اليها عدو مبين لاهل الايمان ، وما علينا الا قايد شيوخنا اهل الفقه والمرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تيمة هلاك المسلمين وضياح الاسلام ، على عواتق اهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطغى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة مليه ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميون ، والأمراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وأذوا الاهل والانصار ، ودمروا على الدار ، واحتوا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا للعقار ، وهناك العالم الآثم ، يمد يديه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبع فيما كان في بلاد المبرودية ، بعد

استثناء واثمار ، بشأن الاخراج من الديار ، فكان نجاح المثير ، بديلا من
خذلان المثير ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد
الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الارضاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع العجز
والتقصير ، وفقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو
الصدق « ١ : ٥٣ » والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صابجكم وما غوى *
٢٠ : ١٣٥ قل كل مترئص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط
السوي ومن اهتدى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الغرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي
الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه
والدعوة الى الاهتداء به . وانما نتوجه الشبكات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال
العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته انما هي
نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن
لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل
كافية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة
العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمنتقد
أن يبين لنا ذلك ، واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا
العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المنتقد مصيبا اعترفنا وشكرنا ،
وان كان مخطئا بينا وأعذرنا ، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا
وبأن الحق يدفع الباطل . بأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه
للناس ولا يكتُمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا
أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مغتاب ، كاتم العلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليعلم قراء كتب الأشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تخالفها إلى صواب ، وان الاختصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد . قل لي شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الأمور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهداه لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والا بداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق لا الحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الإلجاء والاحوج والالزام والا كراه فلا حاجة بأعنة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خالق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نقاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلته لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لاجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة إن كانت قديمة وجب قدم المعلول لأن العلة الغائية وإن كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكر وآخر العمل - وأول البغية آخر المدرك - ويقال إن العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الأولى فلو قيل إنه يفعل لعلته قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن قيل إنه فعل لعلته حادثة لزم محذوران (أحدهما) أن يكون محلا للحوادث فإن العلة إن كانت منفصلة عنه فإن لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وإن قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك للعللة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فإن كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وإن كان لعلته عاد التقسيم فيها فإذا كان كل ما يحدثه لعلته لعلته ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) إن تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعللة أخرى فإن كان الأول امتنع حدوثها لأن ما أراد الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يوتخر

أحداثه وإن كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه
الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه
(المقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله
الفلاسفة القائلون بقديم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا
يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم إن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلا
إن كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لأن العلة التامة لا يتأخر
عنها معلولها فإنه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لا ننفي
بالعلة التامة إلا ما تستلزم المعلول فإذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وإن
لم تكن العلة التامة التي هي جميع الأمور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود
الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وإن لم تكن
جميعها في الازل فلا بد إذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والا
لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح وإذا كان هناك سبب حادث فالقول في
حدوثه كالقول في الحادث الأول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة
المستلزمة للمفعول يوجب إما التسلسل وإما الترجيح بلا مرجح . ثم أكثر هؤلاء
يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة
الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له إرادة بل هو موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها
ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الإرادة) هذا
القول يستلزم أن لا يحدث شيء وإن كل ما حدث حدث بغير أحداث محدث
ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث
حادث بعد حادث بلا نهاية إما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمعا فان كان ممتمعا
لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقديم حركات
الافلاك وإن كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات
والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم
من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسيحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الفائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للإنسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الفائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين المتبعضين وهو لأئ المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالأمورات لحكمة محدودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كآبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الأمر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لأجله اما تكميل نفسه بذلك واما تقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الألم واما لالتداده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح ونسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الأمور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء
وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه
لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علام أفعاله تعالى فراراً
من العبث فوقتم فيه فإن العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة
تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا يأمرك ولا يهمله ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان
إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل
لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لا في الباطن
ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿لكنه﴾ تعالى وتقدس هذا
استدراك من مفهوم قوله أنه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن
واقفهم من غير حاجة إليه ولا اضطراب عليه غير أنه جل وعلا ﴿لا يخلق الخلق سدى﴾
أي هملاً بلا أمر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المبهمل وأبل سدى إذا كانت
ترعى حيث شئت بلا راع ﴿كما أتى في النص﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار بما
هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما
خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه إلا بحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر
﴿فاتبع الهدى﴾ باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته فكما
لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه
ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن واقفهم في مسألة التحسين
والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن واقفهم من أصحاب أبي
حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن
الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفى ذلك الأشعرية ومن واقفهم من أصحاب
مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسر بكون
الفعل نافعاً للفاعل ملاًئماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفته بالعقل
كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم
بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجبها الله تعالى
ونهى عنها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الأفعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يهودا له من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنارعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبدو يقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يشبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويشبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فانه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني انهما لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاة عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجوب الصلاح ولهم في الاصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والا كثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضا

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 إسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرهما ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشمال الافعال على الحكم والمصالح جوازاً
 عند أهل السنة ووجوباً عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
 للحكمة والعلة احتجوا بما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجميعاً من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وغلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفطين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب
 وأجنب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان
 باطل والله متعال عنه لما فاته حكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استقبح ذلك واستهجاناً وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أنحسبتم ان ما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون) فتعالى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب المرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وانه متعال عنه فلا يلقى به لقبه ومناقاته الحكمة وهذا يدل على اثبات
المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة
في ازيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين احدهما في التلازم
بين الحسن والقبح العقليين وبين الايجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في
انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلمثبتي الحسن والقبح فيه طريقان احدهما
ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون
وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن
والقبح وأربابه يقولون باثباته ويصرحون بنفي الايجاب قبل الشرع على العبد
وبني ايجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابن الخطاب
وغیره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهو لا يفي نفي الايجاب
العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا مزيد عليها (أحدها) نفي
الحسن والقبح ونفي الايجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا
اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف انه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الايجاب
والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلنأس فيه هنا ثلاث طرق
أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا
قول المعتزلة وهو لا يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه .
وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبت منهم يقولون ان العذاب
الثابت بعد الايجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الايجاب العقلي
وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الايجاب والتحرير
العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزم الذي أوجبه حكمته
وانه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والفوب
فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضسته
ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمناقاته كماله وغناه قالوا وهذا
في الأفعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات انه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه استحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبإبه فقابلوا المعترلة أشد مقابلة واقسما طسرفي الافراط والتفريط ورد هو لاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحرير الظالم على نفسه فأنهم يفسرونه بالاستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتخره الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الأشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة يعقوها حرمت عليه وأوجبت ما لم يحرمه على نفسه ولم يوجب على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتخره عنه لما فاته حكمته وكأله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الإيجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كآله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعتها يعقوها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلا) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزعه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشبهوه في الأفعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الأفعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال ومثله في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية
المطلة امتنعت من إثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال
ومثله في صفاته بالجoadات الناقصة بل بالمدومات وأهل السنة نزوه عن هذا
وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونهوت الجلال ونزهوه فيها عن
الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الأمثال فكانوا أسعد الناس
بمعرفة واحترام بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم التزم أصحاب
هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا إذا أمر العبد ولم يعنه
بجميع مقدوره تعالى من وجوه الإعانة فقد ظلمه والتزموا أنه لا يقدر أن يهدي
ضالاً كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتدياً وقالوا أنه إذا أمر اثنين بأمر واحد
وخص أحدهما بإعانتة على فعل المأمور كان ظالماً وأنه إذا اشترك اثنان في ذنب
وجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظالماً إلى غير ذلك من
اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظالماً
فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الأمور الممتنة لذاتها فلا
يجوز أن يكون مقدوراً له تعالى ولا أنه تركه بمشيئته واختياره وإنما هو من باب
الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقاب القديم محدثاً والمحدث
قديماً ونحو ذلك والافكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكناً والرب قادر عليه
فليس بظالم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا
الحديث به وأسندوا ذلك وقوّوه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى
(إن تعذبهم فأنتهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير مالك بل إنما عذبت من
مالك وعلى هذا فحوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسناً ولم يروا ذلك ظالماً بقوله
تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله لو عذب
أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وبما روى عن إياس بن معاوية
قال: ما ناظرت بعقلي كله أحداً إلا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا إن تأخذ ما ليس
لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء والتزم هؤلاء عن هذا القول
لوازم باطلة كقولهم إن الله تعالى يجوز عليه أن يعذب أنبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الأليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنه وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار متمتعاً لا بخباره أنه لا يفعله لا المناقاة حكته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة إليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم إرادته وإخباره بأنه لا يكون. والتزموا أيضاً أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلاً ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: النصوص التي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمة الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وإرادة هو ما فسر به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكتسب يده ولم يكن سعي فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو يعضها إذا قارنها أوطراً عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو موثر من فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثاً والمحدث قديماً فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلماً وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبهم فأنهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يسئل عما يفعل وإن قضاءه فيهم عدل وبمناظرة آياس القدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعذيباً لحقه

عليهم وكانوا إذ ذاك مستحقين للعذاب لأن أعمالهم لا تنفي نجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا «ولأنت يا رسول الله قال» «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمن لها فأنها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الأمرين في الحديث أنه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالمًا لهم وأنه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم إذ رحمته خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاء شكرها والعبد لا يقوم بقدوره الذي يحب الله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد إلا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته وإذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لا من حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اهـ

(المنار) أيها الأشعري أنك ترى في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المتهزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأرى مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الآخذ من ربة التقليد ولا يهديه إلى طريقة التمهيص والتحديد وإن كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وإن هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الإسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعمله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصلحة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضلل أحداً من أهل القبلة إذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فَتَاوَى الْمَشَائِكِ

فتحنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يذكر اسمه ولقبه وبلده وجماله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يمر إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإنا نأخذ كل الأسئلة بالتدريج غالباً وورعاً قد منّا غير السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشتركين لهذا ، ولأن بعضي على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لإفحاله

❦ الأسئلة الجاوية في سماع آلات اللهو ❦

جاءتنا الأسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهمة ثم رأيناها الآن فنذكرها سرداً ثم نجيب عنها والظاهر أنها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الأول)

ما قولكم منع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصریحهم بأنها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعها وتأنيبه وبرده شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير إلى قوله فيحرم التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضاً ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات إلى أن قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضاً يحرم السماع بخمسة عوارض إلى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة مالم يخصصه ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة كطنبور وعود وورباب وعزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو إلى فساد ولائها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الزملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواج عن اقتراف الكبائر ما مضاه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق
وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف
في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخور والفسوق ومهيج للشهوات
والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره
انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن عاري الحداد في كتابه النصائح
الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها
البلاء : وذكر من جعلتها اتحاد القينات والممازف يعني الملاحى من الاوزار والمزامير
(وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب
ما لفظه : واللعب بالآلات اللها المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار : وتصریح
هو : الأئمة تصریح غیرهم من حملة الشريعة الحممدية بالتحريم واتفاقهم عليه
حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه
وعلى رد شهادتهم (فهل) قول هؤلاء الأئمة وتصریحهم بما ذكر معتمد في
المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه
وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم مع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصریح هؤلاء
الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح
تلك الآلة المحرمة كتصریح الشيخ ابن حجر في التذمة بقوله إني رأيت تهافت
كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن
حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه
مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للدفوي في تأليف له
في السماع واخيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة
وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وتصریح)
الشيخ ابن حجر في الزواج بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه أنه كان
يبیح سماع العود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذري عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل الحجانة والبطالة ونسبة ذلك إلى صاحب التنبيه كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مذهبه بتحريم المود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين نقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على المنعزم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيحت عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواج بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه انه بلغ من التعصب إلى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي المود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهر يته الشريعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاها من ذلك لشدة ورعهما وبعدهما من الله وانتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد انهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصر يرح هؤلاء الائمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الاوتار وتكذيب نقولهم معتمد في المذهب ومعول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات إلى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها إلى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكامل المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابدتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالمشروع
الروي والجوهري الشفاف والبرقة المشيئة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح
بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من
الأعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن
المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحيدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على
سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي
ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم
سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الفوغاء
بسبب هذه النسبة والا فتراحل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قونكم مع الله بكم وسان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا
القنبوس اناس من المرسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم
الفوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزرا المقتدي
بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيامة » أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم مع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي
الكاذبين في مانص به السلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار
وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لا نسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله
لا بحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيك وما
وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من
فارق الفقه وادعى العصمة فاجلدوه فإنه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ
البحيري على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات
المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهوهم وضلالهم فلا يعمل

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاختار
بخرافات الأغيار أم لا افتونا في هذه المسئلة فإن البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها
وطارت شرورها أهل الله بنور علمكم يطفيها لا زلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين
وللمعاونة على البر والتقوى معاوين أحياء الله بكم الإسلام آمين اه بنصه

﴿جواب المنار﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهب قديما وحديثا وأكثروا القول
فيه بل كتبوا فيه المصنفات، واستقصوا الروايات، ونحن نذكر أقوى ما ورد من
الأحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ما هو الحق
الجدير بالاتباع ثم نتكلم على اسئلة السائل

﴿أحاديث الحظر﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر
والحرير والخمر والمعازف» أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه
من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه «ليشر بن ناس من أمتي الخمر
يسمونها بغير اسمها يعرف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض
ويجعل منهم القرود والخنزير» وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه
وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت
لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع زمارة راع فصنع مثل هذا : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال أبو علي اللؤلؤي
سمعت أبا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله حرم الخمر والميسر
والكوبة والغبراء وكل مسكر حرام» رواه أحمد وأبو داود : وفي لفظ لأحمد أنه قال
بعد الميسر «والمزرة والكوبة والقهين» وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد ربه عن

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري أن الحديث معلول، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بزيمة وقال ابن الأعرابي الكوبة الرد وقد اختلف في الفيء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص قليل الطنبور وقليل العود وقليل البربط وقليل منر يصنع من الدرة أو من القمح وبذلك فسر في النهاية. والمز بالكسر نبيذ الثمر. والمصنف في الفيء ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والقنين قليل لينة الروم يقامرون بها وقليل الطنبور بالحشية فظهر بهذا أن الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة خسف ومسح وقذف» فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يا رسول الله قال «إذا ظهرت القيان والمعارف وشربت الخمر» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب: أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورأس البدع إلا أنه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشي والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنيا والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرفلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعارف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تنابح كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول إن راويه عن أبي هريرة هو ربيع الجندامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب وهو لم يبع ثم يصبحون قردة وتنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتفسدهم كما نفس من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنق وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أحقق المزامير والكبارات » يعني الرباط والمعازف والاوتان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبمعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام » في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري هو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحديث في مسنده بلفظ « لا يجل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه إيث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت انه لا يصح من هذه الأحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿أحاديث الإباحة﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام مني) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بهات فاضطجع علي الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «دعهما يا أبا بكر فأما أيام عيد» وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان نائمًا لم يسمع (١) وعنهما أنها زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الابو» رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله «ما كان معكم هو» : في رواية شريك فقال «فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني» قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

أتيناكم أتيناكم فخيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمعت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني علي فجلس علي فراشي كجسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من أبائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفيما نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين» رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح» رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الأندلسي في عرس وإذا جوار يغنين فقلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
الله عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يريده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان أدرك الله صالحا ان
أضرب بين يديك بالدف وأتغنى : قال لها « ان كنت نذرت فاضربي والالا » فجلست
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، اني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف » رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعارف وأدلتهم﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعارف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً
وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف
بالدف وغناء الجوارى وانعقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على أن الناس كانوا يتوقعون حظر السماع واللهولاسيما أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
بتعزري السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابليها ونكارتها ، وبكونها على الأصل في الأشياء وهو الإباحة ،
وبموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد إلى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيراً من أئمة العلماء الزهاد شدد النكير على أهل اللهولما كثروا وأسرف الناس فيه
عندما عظم عمران الأمة واتسعت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجعوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الغناء مطلقاً وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الاطار قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الفناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التحريم مستدين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالفناء
بأسا ويصوغ الالحان لجواريه ويسمعها منهم على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح ومحمد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهرى والشعبي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي العم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناولاه اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير وزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهم جارية
تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئا قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
بيعا من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الأندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأسا قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص انهما سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى أبو الفرج الأصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الفناء بالمزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والمزهر
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواربه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة
 وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من
 التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مقي
 المدينة . وحكى الروياني عن الثقال أن مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف
 » وحكى الاستاذ أبو منصور والفوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب
 المكي في قوت القلوب عن شعبة أنه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث
 المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع أنه لا خلاف بين أهل
 المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل
 المدينة قال ابن طاهر وإلى ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف الثقة
 في نسبة الضرب إلى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة
 كاهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاها أبو الفضل بن طاهر
 عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاها الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي
 ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاها ابن الملقن في العمدة عن ابن
 طاهر وحكاها الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاها صاحب الامتاع
 عن أبي بكر بن العربي وجزم بالإباحة الادفوي - هو لاء جميعاً قالوا بتحليل السماع
 مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع
 ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع
 الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه
 وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه
 بالعبادة والذكر

» قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماهم عن جماعة من الصحابة
 والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب
 البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن
 الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه
 (١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كاهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك
كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما
نقله أبو طالب المكي وحصان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما
رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح
المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي
وعمر بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره .
وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح
القاضي وسميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح
ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم
فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عينة وجهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي
« واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكراهته ومنهم من قال باستحبابه
قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحزان والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في
كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي
تجريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آله من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور
في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطو مانعه :
« وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه
ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل مانعه
فهو موضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما
بين البخاري . وقد وافقه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في
الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه الحديث صحيح معروف
الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في
موضوع آخر من كتابه : وأطال الكلام في ذلك بما يكفي . اهـ كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنييد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويجاب عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً ومتناً . أما الاسناد فللمررد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متناً فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليس بن أناس من أمي الحمر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويجاب عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وأبا مالك الأشعريين فقيهن بذلك انه من روايتهما جميعاً . وأما الاضطراب في المنق فيجيب عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث نارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعارف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويجاب بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالة فقالوا لا نسلم دلالة على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويجاب بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملازمة بنحو الخطاب وأما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملجئ الى الخروج عنها (وثانيها) ان المعارف مختلف في مدلولها كما سلف وإذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة واغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنها إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظرات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعارف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جواز استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترقة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ «ليشربن أناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتغدو عليهم المعازف» ويحجب بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم إلا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فاللزوم مثله وأيضاً يلزم في مثل قوله تعالى ٣٣: ٦٩ «أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين» أنه لا يحرم عدم الإيمان بالله إلا عند عدم الحض على طعام المسكين فإن قيل تحريم مثل هذه الأمور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيحجب بأن تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضاً كما سلف على أنه لا ملجى إلى ذلك حتى يصار إليه (ورابعها) أن يكون المراد يستحلون مجموع الأمور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الأفراد وقد تقرر أن النهي عند الأمور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانياً بالأحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في إسانيدها ويحجب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها أن تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما أحاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث «أن الغناء ينبت النفاق» فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في إماميه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند الهزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «إنما نهيت عن صوتين أحقن فاجر بن صوت عند نعمة وهو ولعب ومزاهر الشيطان وصوت عند مصيبة وخش وجهه وشق جيب رنّة شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعا «إن الله يبغض صوت الخخال كما يبغض الغناء» والأحاديث في هذا كثيرة قد حنف في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الأربلي والذهبي وغيرهم «وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والخبالة والشافعية وقد تقدم ما قاله ابن حزم وواقعه على ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه الأحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر أنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع منها والا فحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦:٣١ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثا واحدا فهو إلى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية أنهما فسرّا الله بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافرا ولو أن شخصا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني اني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثا صحيحا صريحا في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأمن بها لا أدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «واذا سمعوا الاغوا عرضوا عنه» وأي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأول أنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني ان اليهود أسلموا فكانوا اذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
أهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أهم ناس من أهل الكتاب
لم يكونوا هودا ولا نصارى وكاثوا على دين الله كانوا ينتظرون بعث محمد صلى
الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من
هذه الآية انتهى . ويجب ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو
عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح
لان فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

« ومن جملة ما استدلوا به حديثا » كل ملو يلبو به المو من فهو باطل الاثلاثة ملاحظة
الرجل أهله وتأديبه فرسه ورمبه عن قوسه » قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
الأمر الثلاثة

« أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زماره الراعي بما تقدم
من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ونهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعته فيحتمل انه
يتجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته درهم أو
دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم الانكار
على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
فيه دليل على عدم التحريم

« وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧: ٧ » ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخباثت» ووجه التمسك ان الطيات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيات المستلزمات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكماً بتحريم اللهو لكونه لهواً اكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٣٦: ٤٧ «أعما الحياة الدنيا لعب ولهو» ويجاب بأنه لاحكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهو لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما علل في الآية بعلة الاضلال عن سبيل الله لم ينهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ما حررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محلى النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتملاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والهجر والوصال ، ومهاجرة العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، وكما لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطول ، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيفاء للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينعقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانحين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الأباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٩ : قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ : وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ : بَلْ نَحْنُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المفلوطين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتذروا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلمو ولا
يعلى ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، ، وقد يفتور
الأمة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتذر عنها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا الفرور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل اليه قول عن غالب يتميز فيه بالقوة على
الحق ، الاتلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد ينحني ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وأما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا
يثبت أولا يتحقق له في نفسه وما لا يثبت له ولا يتحقق لا يحق ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الوجود والمعدوم والمعلوم والموهم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب وانا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية ، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضعات العرفية (٤) الدين والشرعية الالهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم المحقق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الابهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى إحدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . ويان ذلك أن المسألة ما دامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إقادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فإذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان القلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغير العليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقاً ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالباتي هي النتائج فاذا كانت المقدمات مسلمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فاذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه الى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقع به بعض المقدمات الباطلة وفي هذا الحال يكون مبطلاً ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسلمه من المقدمات - لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجئت في هذا الاصل بالأثلة والشواهد التي تبليها أكمل التحلي ولكن القصدي بهذا المقال الى غيره مما يرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كل وجرد حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخلقة فهو حق والخلل فيها باطل لا يحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفئات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب الى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بحقائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المفاوون بجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » ويقول ٢٢: ٤٥ « وخلق الله

السموات والأرض بالحق ولتجرى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*» وفي
معناها آيات ولا ترى شيئا إسلاميا يمتد بان سعة العلم بالسموات والأرض من
الحق الذي تعز به الأمم، وإن جهلت الأمة وهلككت، فقد جزيت بما كسبت،
وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

لكون سنن في تكوّن الأجر الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نمو
النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الأجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عنيناه
بالأصل الثاني . وللشخص سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسيرون
وفيها يتقلبون فقوتهم وضعفهم وغناهم وفقيرهم وعزهم وذلهم وسيادتهم وعبوديتهم
وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقين
المستار إليهما بقوله تعالى في الإنسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن
حق وتنكبا خروج عنه إلى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الأمم،
هم الآخذين باطراف السعادة من أمم، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين
من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وإن كان الغالب القاهر مبطلا في شيء
آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها
سنا ثابتة لا تبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يمددوا فقد مضت سنة الأولين» أي فانه
يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على
الأنبياء وأحوال الأمم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الأولين» وقوله
في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بهذه الآية «إن
بمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس» الآيات
فهذه الآيات الينيات حق وما ترشد إليه من سنن الاجتماع حق فالجهل
بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الأمم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الأرض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم بعده رجال الدين منهم بجانباً على الدين صادراً عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الازهر !! فأين هذا الدين الذي يعد المرفان بسنن الاجتماع صدراً عنه وجناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهديّة بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ « فلولاً كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلاً ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين » ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ففسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امراؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لانه منزّه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل والعمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . والدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاركها مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقاً في عرفها حاقة له فإذا رجعت الأمة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يمد ذلك حقاً لأن حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوروبا على الممالك الشرقية وافتياها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في إدارتها الداخلية ولكن أوروبا تفتت وتقلب فبينما يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي أن أوروبا سلبته من تركيا مصرأ وكرت مثلاً ما أن يكون حقاً طبيعياً يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقاً عرفياً يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فإن ادعى المدعي الشق الأول فإننا نمنع دعواه ونقول إن سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والأصلاح في الأرض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوروبا فلاحق طبيعياً هناك وأما الحق العرفي فقد قلنا أنه ليس حقاً ذاتياً وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد تفتت الدول الكافلة للقوانين العامة على أن لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الافتتات إلى الحروب ، أتى يخسر فيها الغالب والمغلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوروبا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيطان ، كما تقدم البيان مؤيداً بالقرآن ، فإن قيل إن أوروبا تظلم في البلاد التي تفتت فيها قلنا نعم ولكن ظلماً دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم بمنع الكون
ومن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : ثانيا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقا أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظانون في الحق غير الحق ان القضية بظلمهم ووكلاء الدعاوي بحيلهم
وختلهم كثيرا ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلا والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
المحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس ما قلناه فيها عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والمعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فاملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح
والصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ لقد خلقنا
الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بمد بالدين ٨ أليس الله بأحكم

الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الخواص ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميز به بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الإنسان عرضة للجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب والجهل من الباطل وبه ردة الإنسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان أفرادهم وجماعاتهم ينجنون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطئ في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد الفطرة والعقل بحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهوروا في معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فوصلح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو يريد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض » وقوله ٧١: ٣٩ ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد النخ وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل

٦٠ الانتخاب الطبيعي . تمثيل جمال الدين لغلب الحق على الباطل (المنار)

السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال * » وبآيات التي افترضنا بها هذا المقال . وبمثل قوله ١١ : ٤٩ « ان العاقبة للمتقين » وقوله في السحر الذي هو باطل لا حقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يمرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا البحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني أنه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الأفغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصارع الباطل ويصفه فرأى الباطل ان لا طاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيذا فجاءوه بلقون اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهيلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقالهم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينهما ولكن الحق ما عتصم أن انتفض انتفاضة نفس بها أولئك المتشاكين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافعة للحق

(المنار) إزالة الامة الظلم المحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ٣١

وإنساقه فيكون باطل المحكومة غالبا لبطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى
وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل
الحكومة الظالمة فجندله وربما جند لها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة
الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادلة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها
ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون
إلا سنة الأولين فان تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آنفا ثبت أن الدين في جملة حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه
التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون
فيها قاعدة الأصلح والانفع لهم . فالحق والباطل مجريان في الدين من وجهين
(أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب
موافقة للفطرة في تقويم الملوك وتهذيب الاخلاق وترثيق الروابط وشدة الواخي
بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنة الاجتماع وقواعد
العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الأمة
مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند
أمرائها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع
الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد
والعمل ولأهله القلب والسلطان على من يزارعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم
عنه من المعطلين لأنه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي الموانين
والمواضعات المرفية التي تسنها الامة لانفسها وتعتقد أن فيه خيرها وحفظ حقوقها
كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له
أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لأنه حق من كل وجه
والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا
نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الأرض

ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٨ : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غنى ولا رجة فتسير مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤:٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك الظالمين والمفسدين كثيرة جداً

(المنار) استيلاء أوربا على المسلمين . التوحيد ينافي الظلم . وقعة أحد . جنسية الدين ٦٣

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون إلى الإسلام وإن لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يجوز هذا الكتاب الحكيم لمدعي الانتماء اليه بالقول دون العمل إذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والافقيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلاله لا يجوز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك إذا كانوا مصلحين في الارض بالعدل وسائرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة مما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير وأعظم عبرة للناس انكسار الضحاية مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم فكل من خالف سنن الله الحق يطلب على أمره بحق حتى يزعج وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق إذا ذل عنه

لهذا أقول ان الوصول إلى حق اليقين في التوحيد ينافي الاصرار على الظلم ، والتماادي في الفساد واليقي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلم يجعل الإسلام الاعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سياجا للإيمان وعذرا ناله ودليلا عليه وشرطا لاجتناء ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المدعن بقلبه لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواء ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥:٣ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سننه في الايام يداولها بين الناس ٩٠:٣ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * فهل تنطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لا هداية حقيقية ، فهم يرجون سمادة الدنيا والآخرة بالتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * ١٥ : ٤٩ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو - لا - الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأيدته « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الأمر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمذله وسلط عليهم من هم أقرب الى الأخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٦ : ٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والمبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الاتيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبكار المسائل التي لم يفرعها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتمدنا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الازمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المبينة لسنته في الأمم المستنحثة للإهلاك والاذلال ، ويمرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلبته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا انهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، إلا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليه ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصرف في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجلي في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان آتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تفتروا بديتكم الذي اليه
 تنسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩:
 ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أُنذركم ما حل بهم لعلكم تعبدون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تستلثون * ٤١ قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عيين * ١٧ لو أردنا ان تتخذ الهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

آثار علي بن أبي طالب

﴿أجابه سؤل﴾

﴿أو نقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متذكر ، تأخرت عدة أشهر

لنقد على العلم فضل يذكر ، ومنه لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، وإذا أبيع النقد في أمة واستحبته ابناءؤها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى بحايح المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبيهة فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها و بيان صحتها من فاسدها وبالألمس اطاعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المستفيدين بالأسفة نقدا عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثرفيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستبدلت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أنا ذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناد ، وحملة على غير ما أراده قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عائر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العائر الساقط والإقالة الأخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط وإذا عثر قيل له لعلك أي انتعاشا ونهوضا . قال في الأساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجده عثورا وعثار زمان المرء وعثار جده

* نودع عبارة الشارح المتقدمة بين قوسين ونضع إزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النوائب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . فقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فظيع منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقل ذلك الخطب العاثر أي إبطاله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقة وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازاه كما ان المراد بالإقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنعشه ونشطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضا في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارثعوا فذا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حواليتها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت
(أيت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأية بقعة تبوأها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر « باني كتاب ام بأية سنة » وورود تأنيثا بمعنى توقف وتمسك لا يجوز لنا استعمال أي بمعنى اقام كالأبجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وإنما رسمت تاء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مربوطة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعد دثوره وأنهج سبل الجود حين تعفت
(أنهج قوم) أنهج السبيل أوضحها وأظهرها بعد عفائها واضمحلالها . وقومها

عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الفياضة وانفرت جلايب جور عمنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعت وانفرت الأديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلايب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرّج الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجاب الظل
فسر بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقانك موهنا منمت جفونك ان تذوق حثانا
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أونحو نصفه اما الموهن فمعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أونحو نصفه لا الضعف . والطارقات الملمات ليلا فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى شوب فينامها الأثيث

(فينامها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفنان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفينان من الفن وهو الفصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوباً من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة تظلم الدنيا لنازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما محرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الذاقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهمها من حسنها البرد
(البرد المتبادر أنه جمع بر بد وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريد دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعرّبوا « بريد دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريداً ومنه قول بعض العرب الحمى يريد الموت والحديث « اذا ابردتم الي بريدا

فاجعاه حسن الوجه حسن الاسم» وسميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع آيات» وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار المدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناذ والمتقصده
(المناذ المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأود وأناذ
انحنى وانعطف والمناذ المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالرماح التي يوشح الطعن بها
فمنها ما تكسر ومنها ما اعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعونا باجلح ايمن دعاه ولم يظلم باجلح انك
(اجلح شديد مقدم) يقولون يوم اجلح واضلع أي شديد وقالوا جلح على
الشيء من باب فرح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي
منه التفضيل على افعل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحصار
الشعر عن مقدم الرأس كالصاع أو اخف منه يريد الشاعر ان المدوح الذي فتك
ببابك ان كانت جلسته مباركة علينا ودعونا لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشوومة
على بابك وهو جدير ان يدعو بأجلح انك . ونسبة اليمن والنكد الى الصلابة
معهود كنسبته الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿التقريظ﴾

﴿الحصون الحميدية﴾ لحافظة العقائد الاسلامية

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر
الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة
السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى
وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلبى كالقدم
والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود
والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر الصفات المعاني
من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال في باب النبوات أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الأنبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرة الله صالحة للتعليق بإيجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال ان الإيمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نوؤمن به ونصدق :

أقول ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ووردت في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في الآتي وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (علي) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت ؟ قال لا قال « اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولاك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتهما غربت ثم رأيتهما طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس ليوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فانه ورد بضبعة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات امثلاً يفضي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

ماد منا نو من بقدره الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يؤثر
عن أصفاء الله تعالى وان كان مخالفاً لسنة فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله
متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه وانما نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه
الخارقة بعد التصريح بامكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الأرض هي التي تدور
لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر أخذاً
بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها قلنا ان القادر على إيقاف
الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله
تأبماً للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت
الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم
الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول
أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما
السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من
البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء
ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان
الذي يحياها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالإيمان ممن آمنوا
قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع
بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه
الحكمة العظيمة توازي في المظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل
تلك الخارقة لأجلها . على أن ذلك المصعد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها
بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر
عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلا منهما تحت تصرفه ومشيشته ولا يعظم شيء
منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله
سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد
أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لا نأقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقت وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة إذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبهة بما حررناه ، فاعلم أننا ممشرون المسلمين آمناً بهذه المعجزة إذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على إيجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الأنعام ، اه بحرارة ولا يحسبن القاري أن الاستاذ المؤلف يحكم بأن من أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحدًا لتعبيره عن المعارض بلفظ الملحد فإنه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وإن صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضعيفاً أو منكراً باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وإنما يكون المنكر ملحدًا إذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ثبت عنه عنده ثم ينكره اعظمته وإنما أنكر الأئمة كثيراً من الأحاديث لعل في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعله من ذلك لا يعد ملحدًا ولا مبتدعاً ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجيح عنده أن من جرح روايتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم إننا ذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيده رواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافرا آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقات لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصا حية ونحو ذلك فلو تحدى بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضع السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويرها أو ازلتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وإن الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان ، في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تفيد الظن فضلا عن اليقين ، وانما نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعيات وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم - الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لا علم لهم بمحقق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الى انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصنم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وثمن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفريقية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكنة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهيرة) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهيرة وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطار المصري و ٢٠ فرنكاً في غيره . و القصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونعني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . و ثمن النسخة الواحدة منها ستة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكتابة العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي الهراوي من عمال نظارة المعارف ولم تمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبي فيهارايا فاحتجنا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . و ثمن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الاستاذ الإمام وبتريجة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجو لها العمر الطويل ، ونشي على صاحبها (محمود بك حبيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و ٢٥ فرنكاً في غيرها

(الاخاء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و ٢٥ فرنكاً في خارجها فنتمى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فنتمى لها الرواج وترجو لها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالدافعة عن الأوقاف فنتمى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأثير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ماأضافت وكتب اليها بعض أهل الفيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسماع الدعوة إن وجدت ، ومن ذلك ما كتب اليناه بعض الفضلاء من ستغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجبان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحيينا أن نكاتبه وعن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما ترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجوه اليها ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة هذه الغاية فمسي وامل ، ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخمسة آلاف روية لينذهب الى جابان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرناها ولكننا لا نوافقكم في أن سروات مصر لا يكتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتبون سنويا لعيد الجلوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تلق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فمن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا تزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الفيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارة قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محور بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شوكيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية ونطلبوا الإفادة عن (ادريس) فلا خير شرحكم فهمناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المدكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تعجبنا من ذلك لعلمنا بعدم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما يأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجس وهم أحوج الناس إليه » ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفاي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المناظر « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا أنه توجه الى الجبان الى أوزا كما ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطاب بهذا المعنى والآن نجعل محل اقامته كما نجعل (ادرسه) الا أنه يمكن بحرقه بالاسم المشروح أعلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحضر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تأثرين حائرين على دين يعتقدوه (وإن يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أسماءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جداً وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا نشكر وجود جملة اسلام بعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العالية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسو وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكر ربنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهر أنه يريد بالجبان اليابان وبالأدريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الفراء ما ترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادي مس ريندلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مخرطة
 اياها أحسن تقر يظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وسيرة عن
 التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اهـ

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصبي هو الجرائد الالمانية
 ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي الاسلام هنالك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا من يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعنا نجد فيها ما يطمئن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل العجيب لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت
 أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان
 المصريين وحدهم يضطاعون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس
 الجد على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصريين لأملاً ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجى به لحد أن تبدو ثمراته بسمي أصحاب الهمم العالية والفيرة
 الصادقة ان تصير ائمة به عامة وأن توقوف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لا قد فسدت فطرتهم فالرجاء فيهم ، ومنهم من لا هم له إلا الاسراف والتبذير في سبل الشهوات واللذات والفخفة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبید الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته، وتحسن خاتمة، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فينبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمون تفرقا أو يوقف وقفنا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وإن كانوا قادرين وإنما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الأعمال العظيمة فقليل ، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل ،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) أنا سنزيد مادة التفسير في الأجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الإسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى أن يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الأولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحررنا في هذه السنة الإشارة إلى السور وعدد الآيات في جميع ما يذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا : ٢٥ : ٩ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الألماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمعه في الأجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار إلا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عد مشتركاً إلى آخر السنة ولزمه أداء قيمتها كاملة وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وإن كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا أننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شذ فأخلف ظننا فحسبه أن يكون حسن الظن فيه كاذباً

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا إلى الآن أن يرسلوا إلينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركينا سنوافوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنت لوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الروبيات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلعلمهم يكفون عن إرسال هذه الأوراق (٥) أننا نريد أن نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة إلى ذلك. وقد حظرننا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله إليهم إلى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبو خطيوه) فقد كتبنا إليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجز جواباً ولم يزل له عنراً يظهر عن قريب. فنجو من فضلهم إرسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على أن ننشر في الأجزاء الآتية نبداً من المباحث الأدبية منظومها ومنشورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الأقصى ومسألة العقبة وما شاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الأزهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار إلى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الألقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام إلا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب إلا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم إلى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم أن هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبنزوية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحترم من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لا لثريية العامة . فمن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ . وان اكبر خدمته تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرحى بها ان يكونوا صناعا وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال كنا ظننا أن الدين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فمن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسر به بإهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تباع البلاد والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الايام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الأذكاء وأفصح البلغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقحافهم لمحيطة بأدعتهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتزام . فتبا للمتفرنجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام ، وخزيت بهم الأنام ، - هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا ممتناع بعض العمال عن العمل أياماً وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى



بؤني الحكمة من يشاء ومن بؤني الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الأبواب

المعراج

١٣١٥

بؤني عبادي الذين يستعصمون أقول فيجبون أحسنه
ألفلك الذين هداهم الله وألفلك هم أولو الأبواب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارة » كنار الطريق)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم
الضالون في الإفراط والتفريط ما نصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا
إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهو لاء على مذهبين مذهب
الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل
السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الاشعري ومن وافقه
منهم أثبت للعبد كسباً ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن وافقه من
المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل
عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري إن الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طرفة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمي الاشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه انهم سلبوا العبد قدرته واختياره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذى ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعماء منه انه ليس الامشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المتأثرين بلا مرجع

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة لقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والعقل

من أن الله تعالى يخلق السحاب بالرياح ويمنزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثراً لفظاً ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع أنه خالق السبب فلا بد أن السبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى أنه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملاً له وكسباً كما يخلق المسببات بأسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد حصة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما إذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى أنه حدث منها ومن الله بمعنى أنه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥: ٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣: ١٨) وما انسانيه الا الشيطان مع قوله (٧٨: ٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون وينقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان أئمة السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وأنه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وأنه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقومهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقومهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله خالق فعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئاً من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأانس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد واداته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثاً له قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخير أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطوائع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطوائع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العجادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (وأهترت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندمّر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشفق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جداً

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصاً ما نصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وإرادته إيجاباً كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق : قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قولي كما نقله عنه البقي فلا يقدح بخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه التي وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قولي هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه وافظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد تقرر عند كل حاذق بمقله متروك عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومشيهم ومما قبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتوا الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اللبيب النصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما يبط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتهم وأيتهم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت الحجج لئلا يكون للناس

على الله حجة وأحاط بذلك كما ثم استراب في ان أفعال العباد واقعة على حسب
 إيتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
 جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
 بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
 مقدوره أصلا وإذا طوب بمقتضى طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في
 الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
 المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق
 أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
 وتقيض الصدق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته
 طالب عباده بما أخبرتهم بممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
 والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
 للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
 الوفاء وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
 ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول
 بأن العبد خالق أفعاله فإنه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات
 الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدره القديمة
 فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
 الله استقل بها ويحيط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرة الله فان
 الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
 ان يدهي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
 دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
 يجهلها باطلة ولا ينجي من هذا المتكلم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
 معنى وذلك ان قائلنا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب
 تعالى مخترع خالق لما العبد مكنسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
 المفكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا— ثم قال يعني امام الحرمين— فقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديره وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا اوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اختلفت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بينا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدثه الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقمت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاخترعهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدروها مضاف اليه مشيئة وعلم وقضاء وخلق وفعل من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولولم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزى الى السيد من حيث ان سيده أذنه ولولا أذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويؤرخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا حياء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا نهى عن فعله انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقفا ما أراد اي قاعه شاء الرب أو كره؟

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام المحقق ابن القيم في شفاء العليل ونقل العلامة ابراهيم الكوراني الأشعري في شرح منظومة شمس

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده ان العبد ليس مستقلا في ايقاع أفعاله بمجرد مشيئته وان لم توافق مشيئة الحق بل انما تؤثر قدرته اذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المعبر عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا وابن فيه ما بقار سالة سماها الانتصار لامام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام امام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بالحقاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه ان النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » من غزوة بدر واعتقاد جماعة ان اراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه و اضافته الى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد فبسط الكلام في اثبات الكسب على طريقة امام الحرمين وتأيده بدلائل الكتاب والسنة الى ان نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك ان لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد انها مصاحبة غير مؤثرة قصدا الى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وانما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الافراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بان لقدرة العبد تأثيرا ولكن باذن الله لا على الاستقلال فاللائق ان يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصا في عدم التأثير فان أوله يدل على ان الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي ان لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على ان الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على ان

الكسب عند الاشعري تحصل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة الممول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرايني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضه على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكن هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى ملخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف لمقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محمدي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمق الخلف وبالله التوفيق اهـ

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسبباتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق المسبب عند السبب لا به وأن المبدأ كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن
أكبر أنصار مذهبه وهم إمام الحرمين والأسفرائني والفزاري قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل منحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الاشتغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح
يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملاً كما نتقده ولنعلم
هؤلاء المساكين أن ما يقدفونه به ليس إلا حصي لا تزحزح طوداً من مكانه . ولولا غفلة
المنهين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونها بها ظانينهم أنها تؤلمه .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥: ٢ « ما ننسخ من آية أو ننسها »
لاية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها
شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلاً يقول أبي لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكماً بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرونا أبي وأقضانا علي وإنا لندع
بين قول أبي وذاك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما نسخ من آية أو نسخها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الأصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم . ومنفسر ان شاء الله الآيات التي توهم أنها تفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع من أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا محل لنا أن نتروك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم وأهم وأيضاً فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر النسخ في كثير من المواضع بل إن بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدوها في القرآن متأخرة عن النسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلاً ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار إليها نزلت أولاً ولم يبالوا بأن ذلك يناقض ترتيب الآيات في سورها وإن كان هذا الترتيب توقيفياً بالاجماع . انا لا أندري لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم إلى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٥٢: ٤٣) جعلناه نورا هدي به من نشاء من عبادنا) . فإذا كان مذهب النسخ صحيحاً أفليس من الإبهام وعدم البيان أن يكون القرآن خالياً من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجيب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصاً قاطعاً صريحاً على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟ ولم يتركوا دعواهم النسخ في آية إذا تحققت أو لا تعارض بينها وبين غيرها ؟ غشاً الناس في هذه المسئلة غشاً حتى أنهم أرادوا أن يجعلوها فناً من الفنون التي تؤول فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معاً (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتحمل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

أكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافقها عليها القرآن فيختلق ما شاء أن يخلق ويزعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالظاهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعواه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا ذلك إلى الطمن في المتواتر نفسه . فالخطوة المثلى في تحقيق الحق وإزهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا إلا على ما تواتر وبرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء . ما إلا إذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ إلا في الأمر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جملها ليس إلا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحتب أن يكون له الثاني) إلى آخره . ولو عتق هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت القرآن على ذي ذوق وهو أجني عن المسلمين لحكم أن قائلها لا يمكن أن يكون واحدا بدون تردد اللهم إلا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على أن التأليف مصنوع لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين إلى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يفتد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتح قوامه امرؤين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يفتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواء فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب إلى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

الطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسموها هو
 ايضاً منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
 ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما ولي عثمان الخلافة أمر بالاعتصار
 على لغة قريش خوفاً من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة
 الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وكان
 ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة
 رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظ للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعاً
 على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدها تحقق أنه
 لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولا ثيرت حروب وأهقرت دماء وقتل
 عثمان لهذا السبب ولو وجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
 شيء من ذلك مطلقاً . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى
 الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقاً قديماً وحديثاً
 شرقياً وغربياً الا ما كان خطأ مطبعياً أو سهو ناسخ . ويهين على هذه المصاحف
 آلاف الألوف من الحفظ في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
 القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الاحادية يجب رفضه
 ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به واعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
 بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
 فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الأخرى حرمت قراءتها على العامة
 ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلعبت بها الأهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ،
 لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما نبى على حكايات
 رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بئدة تكفي لضياعتها
 أو الحائط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
 فن تحقيق الأسانيد وتحريمها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام
 كهنه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الأحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الأحاديث الدالة على صحة الاسلام كالأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للظن فيه فقط لما ضلنا ذلك شيئا . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفروه مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليترك الله عقلاء المسلمين .

كم من دخل دخل في رواية أحاديث جميع الأديان والملة ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوما . فها هذا الجود يأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد سفيه قسا يضربنا به .

ولنرجع الى تميم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكركمنا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأنكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فاذا انسلكوا الشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا إنها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشمرا بالتوقيت والفاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتا . ومن القواعد الأصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما توهم وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائما فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الا طغيانا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويغتصب أموالهم وأعراضهم ويخرجهم من ديارهم ولا يرعى لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا ولاذمة . لما تحققوا ذلك وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد وفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطتنا فنجرب أولا الذين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضيع الدين من كبرنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) . وقال - ولأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم .

(الثانية) مسألة القبلية - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندري هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠:٥٣ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليلة المعراج ولا ندري جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كرواياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧:٤٨ (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرؤيا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسعى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية .
وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنون على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن
يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله
والله مع الصابرين * قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للأولى وفاتهم
أن ذلك يوجب القول بأن الحكيم الوارد في سياق واحد متناقضان ولا مخلص
لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم
يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء
جداً حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة
ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجباً ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن
الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن
جرب ذلك ولما تحقق أبطال هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه
المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدهم الله لهم بنصر الواحد
على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده
عشرة أمثالهم فكأن واحداً منهم شق عليه ذلك فسأل : هل يمثل هذا الأمر
الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم)
أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا
كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء
لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقفاً إلى أن يقولوا . فكأنه
قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر
في المستقبل ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول
لأنه أبلغ في الحضيض على القتال فأنى به بعد قوله (حرض المؤمنون) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على التقصر فكأنه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .
 (الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم*
 ١٣ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون* والمعنى أن الله ندبهم إلى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي إن من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أمام من تركه بلا عذر فالله يلوهم ويربحه ثم قال (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فإن الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي إن تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بأن لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه إن تركتموه فلا تهاونوا في الواجبات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله والرسول فإن الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فإن قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (ان تهتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦ : ٢) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى ما تنسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الأنبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها

أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنعها جميع أنبيائه وهو رده على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) إلى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٦: ١٠) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أنا إذا بدلنا حكم آيات من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملته دينه للخلق جميعا . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٢٤: ٥ أنا نزلنا التوراة — إلى قوله — ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الأحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١٤: ١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إلى أن قال (١٢٣) إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : أنا إذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاكاة العرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضاً وتضارباً وقالوا إنما أنت مفسر كذاب والا لما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزل به روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي انكرت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فلي هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمذعي النسخ حجة ما في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشرى لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه أنه لم ينهض لهم شيء منها فيما يبيح شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فيا قوم كفوا كم كفاكم ما حلتكم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادق عنه ، هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطلال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعننا في الاسلام وافترض الاول الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد بصحة ما ذهب اليه ما هو النسخ في القرآن كما بي مسلم المفسر الشهير . وان لنا كلاماً آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليس لنا أن نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعني بفهم القرآن والاهتداء به وان خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافراً ونعتقد اعتقاداً مؤيداً بالاختيار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون إلا بهذه الطريقة لذلك نقبل منهم مباحثهم واستلهمهم مع الاحتياط والسرور ، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياهه فاذا ضعفت الحياه في الجسم قلّ تولد الخلايا وكثرت فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياه فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياه مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثلها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالحلايا والكبرى كالشجر والبقر على الخلقه وما فيها من سنن النظام وقلمما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جندها الا الانسان فإنه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والترية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهالكه لقوة الحياه أو الزهَاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياه أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويعرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضة له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوالم التي تمرض لحياه افراده فتمرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يمرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

(المنار) الامراض الاجتماعية وأطباء الامم . أطوار الامة الاسلامية ١٢١

كثرة بحشة عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاستقام كالشجر والحيوان الأعجم
ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما ان حياته الشخصية امراضا وان
معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من
الاجيال ، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين ، والصناع
الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا
يبحث طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفهها من الحضيض الى القمة ،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون ، وهداة روحانيون ، تكون دون
حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض ، لأن حياة النبات قلما يعوزها
شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما أعدتها حكمة التكوين له من النظام
والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا
فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر ، وافراده حينئذ
يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره
وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي
ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيستعري فيه مصلحتها ويعرف
اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقيه عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لا نتقال الامم من
طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هذه الامة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة
فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب ، وخير حاكم في زمان السلم ، يقيم العدل ،
ويعمر الأرض ، ويؤمن الرعية ويستبدل الحرية بالعبودية ، فيرى أقل رعيته ولو من
غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلًا فشكاه
الى الخليفة الذي أنفذه لا قاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جيلة

بن الأيهم ملك غسان لولا أنه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أُم كثيرة فأحييت وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلا بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم يُر من قبل فان انكسروا وهي أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلاسل ملوكها وبين صغاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفقوا في الرعية روح عظمتهم ويشمروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للفرنس أوف ويلس ولي عهدا في سياحته الأخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال الحكوميين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الأمي أو شبه الأمي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأغوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الإدارة حتى وصل النيل بالبحر الأحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة الهندسة) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبد عدد قليل من الأجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن أنه يفضل بها عظماء سلفه كعمرو وعمر يتفد الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكالسودان بالامس فيبني في الارض ، ويحني على العرض والمرض ، فيترك الارض موطونة ، والاموال مملوكة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب البرية أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا ينهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تقاصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بعمالهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كانت الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشربه فتعالجه فكان أفرادها
يقدمون الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سبيل السريان
شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطاريء قبل ممر يانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض بإعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تستجز فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهاق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الاثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة فقالوا لغة رسمية ولغة

١٢٤ كلمتارئيسين في الوطنية. صد المسامح عن القرآن. اضطهاد ذوي الشعور (المنار)

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومغربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره شرافانا ذكرك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دينوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع : مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقعه عظيم « ولكن من الاسف حشوه بالشوام » وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيم كل هذه الحشرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هناك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شوري بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميها حتى تبلغ كما لها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور التزع ولكن هذا العصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراد الامة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

هو لا الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطرب الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تقتال ، ويجد فيها حرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أو جزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة لقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تعفو ما بقي من رسوم الاسلام وتجده في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، وهشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سميدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم الياس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب ياس الياسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم اياهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لأن يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . وإذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لا ما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فإذا كان من الضرور أن نرجو حياة الشعب المجاري

تحت سلطة هولندا والمصري تحت سلطة فرنسا مثلاً فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب
الشرقية المتزعزعة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكامه ومجتهديه .
ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين
فيصيرهم بمرارة وهداية لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكم
المسلمون فان لهم سلطتين : القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح
لأن المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجوب الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد
فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم
الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام
(٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء العارفون على
قتلهم لا يسبح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لإقامة الشريعة على
أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .
ويقول هؤلاء اليائسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد
المسلمين يتر بصون بياقها الدوائر وحكامها يمدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل
على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم « الامتيازات » في بلادهم وهم يجتهدون
دائماً في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا ونراهم قد اكتسبوا
حقاً جديداً فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة
الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية
والعسكرية والعلمية والأدينية وذللوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم
بقوتنا حتى لا يدعون لنا سبيلاً الى استعاضاها في منفتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم
العليا فيأنات سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربهم يكون أكثر وأسهل في البلاد
التي يقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستبدوننا بواسطة
استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب
اجاهلة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟
هذا مجمل احتجاج اليائسين من أهل الشعوب بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيتهم ان
طورا لا تنقل الذي هم فيه سينتهي بطور دخواهم تحت سلطة الأجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل إلا أن يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء — ونحن منهم — فأنهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد — إن شاء الله — وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، وأنا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

إن المسلمين — وإن اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات — يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون إلى ما يحییهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى إذا ما انتشرت الدعوة إلى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الفراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والأجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت تعلم ما يكون قبله

الدعوة إلى القرآن تستتبع الدعوة به إلى جميع العلوم السكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى وإقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فإذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحملهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم إن هذا الإجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليمة من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج إليها وكيفية تمهيد العقبات التي

نعرض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخلة من مرض تخشى عاقبه، ولا تؤمن فكسته، واتهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سيقم الأجنب لنحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذنبية ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الأجانب فهم الذين يودعون فيها وينتشون في ألواحها المستعمدة ما ير يدون على علم منهم بغايته وأثره . وما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع بالذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الأجانب بشي حقيقي منه الا بعض المسائل المتقدمة التي صوروها بنبر صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسامين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر محمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لأذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمهيات الرهبان والقسيسين .

كلا ان المقصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كعلامه

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الأمة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بحمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية ببذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادقة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الأمة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والانات الى الجانب حتى الجزويت والفرير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها أوعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً للناشئين من اصالح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين . يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لأجل الحياة ، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة ، وحركة يرجي ان تكون مفيدة ، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية ، تغوزها نفحة من نفحات الحرية ، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابذتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الأمة الآن الا اطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كباري ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها تستمد اليها يد لا تعرف للقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في منغيبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خيرا نجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها ومنفرد لهم مقالا خاصا بهم

فتاوى المتنبئين

فتننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب فانا ورجعنا قد مناهنا عن السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورجعنا أحيانا غير مشترك لمثل هذا، وان يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ أسئلة من سنغافورة ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(من ٦-٩) من خ م م في سنغافورة

تشرفت بقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فأنجز بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجري ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتمجيد حبه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألتاه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق

— وهذا ما قاله ذلك الحكيم —

ضرب الجهل أطناب خيابه في بعض البلاد الإسلامية التي كان لسافرها القديح المأهلي في

العلوم والمعارف والأعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد أن قلنا أن من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد انكالا على مجد من سلف حتى إذا ما عرا حادث انكلا في دفعه على سكان الأرض فتراهم يعتقدون في صالحهم أموالهم أنهم مطلعون على أي حادث عرا وأنهم إن شاؤا دفعه عنهم دفعوه وإن رأوا في إبقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدسون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الإقامة بها شرفا وفضلا وإن كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما إذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حمله؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ما ذكر أعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض أعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد أن لا يميلنا على ما سبق ويبسط لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي أن هذا الداء قد أزم من في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج إلى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله - فلعل أن يكون دعاء المنار إلى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) ترجع هذه الأسئلة إلى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي أن له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وإن كثيرا من قراء المنار قد سئوا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى إلى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم إليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها أن تبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفي في بيان

بدعهم في ذلك أن تقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٤٢: ٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو مسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للإجابة طالبناه بالنقل وإن يجده . وأما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتبركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصر والحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هذا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد وأما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تبقى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبا عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢: ٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطأه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

وأما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبائر الإثم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٣: ٧) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلايين حكامها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلائطهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفوهم في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم. أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨: ١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل اتَّبِعُونِ اللَّهَ بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الخفير على دعائهم الا بواسطة المقربين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤٨: ٢) ولا يقبل منها شفاعة — ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة المدثر (٤٨: ٢٤) فما نفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٥١: ٦) وأنذره الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون * — ٧ وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وذكركم به أن تُبْسَلْ نَفْسٌ بما كَسَبَتْ ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية ومعنى تبسل تسلم الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد. والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آبي الانعام أنفا ومثلها آية ألم السجدة (٤: ٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣: ٣٩) والذين آمنوا من دونه أولياء ما نجد لهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من
هو كاذب كفار * لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو
الله الواحد القهار * فدللت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الأولياء المسيح عليه
الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى
زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل
الصالح واخلاص القلب مع الإيمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يتقدمه المتدعون
في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب
من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم .
ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء (١٧: ٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان
محذورا) أي ان أولئك الأولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويله
توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته
باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصرُوا ، حتى ان أقربهم من مرضاته
هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذور في نفسه
لأن الله فيه سندا لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدرى أو من حيث لا يدرى
وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (١٧: ٥)
قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض
جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *
فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا
ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده . فلا تغلوا في
تعظيمهم حتى تنسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فكل لئلا نطلب منهم نقما أو
ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧: ٢٥) انما
يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فترة عنه قوم قبلته ذلك فخطب فحمد الله واثني عليه ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعوه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣: ٣٥) والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطير * ١٤ إني تدعوم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨: ٨٢) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد فشتوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يبنون عليهم الكنائس أو ينسبون إليها ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويعتقدون أن الله يقضي حاجاتهم بإحسانهم وأنه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكرهم ونهاهم عن هذه البدع أنكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نفيه وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعله تذكرة الآخرة فإذا فعلت لعل أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب نلأعب الأهواء بالمتبذعين أن كل ما رود من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع المرح عندها واتخاذها مواسم واعياداً لم يقصد به إلا سد باب الاعتقاد بأن صالحي الموتى ينعمون بالأحياء ويضرونهم كما أن النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعير بالتعظيم لم يقصد به إلا المنع من تصوير من يعظمون تعظيماً دينياً كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأمران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجداً ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وإن لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانا نختم

هذا الجواب بشي ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد : يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنسائي . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧: ١٨٨) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فأني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسناتها وتصاوير فيها فقال « أولئك اذامات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال « لا تتخذوا قبوري عيداً » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائز ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

(المنار ٢: ٩) كيفية عبادة القبر . شجرة المباينة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يطاق بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة والشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح با دام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والا فليص : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتمها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بثستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجذبوا كشفوا عن القبر فطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحضر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخذ القبور مساجد مما حرمة الله ورسوله وازلم بين عليها مسجدا ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لا على أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عبادة في الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عبادة بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرُونَ على
فعل أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم
وابنائهم وأقاربهم كفاراً ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم
وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجهاً ما
لدموى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب
المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم » يعظكم الله
ان تهودوا مثله أبداً ان كنتم مؤمنين » ويبين الله لكم الآيات والله عليم
حكيم » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لاجبة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم
يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي
مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن
يوسف عن أبي حنيفة أنه قال « لا يحمل لأحد أن يفني بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي
عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشمراني
وولي الله الدهلوي. وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة إذا قلت قولاً
وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . فقبل إذا كان خبر الرسول صلى
الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل
إذا كانت قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى معن بن عيسى قال سمعت مالك
بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب
والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضاً .
ومن المشهور عن مالك أنه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأزِم ببيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الأصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر: ويشير إلى الروضة الشريفة
وقال الإمام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه
ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول إلا بالاستدلال » وله
أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفيها منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه
من أكثر الناس أقوالاً في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن
ثققة في هذين المذهبين

وأما الإمام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود
عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن
النبي وأصحابه فخذ : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا الشافعي ولا
الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء
الأئمة المتهدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الإنسان لشيخه
وشيوخهم وثقته بهم من أسباب ترك الدليل إلى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم
في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لأنهم اعتقدوا صلاحه
فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه أن يقول أو يعمل إلا ما يعلم أنه حق . وهذا
قول مردود بلانزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلاً وقد يخطئ سهواً وعمداً
﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه أنه اتبع الحق واهتدى
بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) إن ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن
معروفاً في صدر الإسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي
في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن أن الله أولياء ولا شيطان أولياء
وإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي
الله من ينصر دينه ويقيم سنته وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

• ٩ اتخذ الولي من الشرك . نهى الشارع عن القطع بكرامة الميت (المنار ٩: ٢)

تناصرهم في إعلائه كلبته وإقامة دينه وشريعته . والله ولي الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذ شر يكما كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة ليس لمؤمن أن يعتقد جزأً من أحد من الناس بعينه قدماته وهو ولي الله تعالى مرضي عنده له في دار رضوانه ما وعد به أوليائه ، لأن ذلك تمدي على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجبولة وأنه لا يقطع لأحد بالموثوق على الإيمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وأما محسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤنا له بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء - امرأة من الانصار - أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا - أي وقع في سهمنا - عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكبرهم ومتعبد بهم ومن شهد بداراً فاشتكى مرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك أن الله أكرمك» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجوه الخير . ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فوالله لا أذكرني أحداً بعده أبداً : فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع السنة المفتاتين على الله الذين يحزمون بأن فلانا وفلاناً ممن يعرف ومن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنده قطعاً وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجهلهم بالله وكتابه وبهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين نقل عنهم في الخوف وعدم الجزم بأمر الآخرة ما فيه عبرة للجاهلين لو كانوا يوعظون به حتى أن المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا أن النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأما فتناً من حيث لا ندري

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سأل عنها فكتب إلينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها إلينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» وأنا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وإنما يصح أن يعنى به هذا الاعتناء إذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتباب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين أن نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الإشارة إليه أو بغيره فإن لم نقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش الله) . أما الآن فإنا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره أن يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة إلى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ إلى التأويل إلا إذا عرضت له الشبهة أو أوردت عليه وما كان لنا أن نجتهد في إبطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مثبته أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في الالتقاء من الورق بعد ذلك الجواب الجميل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تمة أجوبة الأسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلعنا في هذه الأسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر أن يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجود في كثير من البلاد على تقليد المستشرقين لا يابن إلا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يرى القارىء المنصف أن مقاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفوة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الإطلاق باب الشبهات نظرا فإن ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزمار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الأوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدم الغائب . وأن السماع فيها عدا هذه الأوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الإسراف فيه فإن الإسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الإمام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام أن الغناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفه ترد شهادته وقوله أن صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفه ترد شهادته : وقد يقال أنه يقرب أن يكون ديوثاً لأنه إذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فربما كان لا يفر عليها مطلقاً وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الأحياء « ولهذا الالة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان المشروب مباحاً في نفسه لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتیاد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار المراقى والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وماعدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاية والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكربها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً . وبهذا تبين أنه ليست الفساة في تحريمها مجرد الالة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢: ٧) قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وإنما تحرم بمعارض

(المنار ٩: ٢) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمتي ١٥ خصلة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم أن التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضعته فإذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه متشبها بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والقباز في عرف الشاميين) فقد حرّمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعلّة التشبه
وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا أنه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المآزف على الإطلاق
كما أنه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبية إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه إلى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

هو الكلام على عبارات الاسئلة

أما قول السائل في السؤال الأول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الخ فيقال فيه أن ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمآزف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلّة التشبه بالفساق يزول بزوال هذه اللة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من اللة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو إلى الفساد فهو محل نظر إذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يجرئ الساكن
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه إلى الفساد وأشد السماع
تأثيرا في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وإن ذلك لا يمنع أن
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمآزف وفسرها بالملهي من الأوتار والمزامير لم نذكره في أحاديث

الخطر لشدة ضعفه ولا جل الكلام عليه هنا فتقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرغ بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« إذا فطنت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان المؤمن دولا والأمانة مغنيا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والممازف ولمن آخر هذه الأمانة أولها فارتقبوا عند ذلك رجلا محجرا وخسفا أو مستخفا » والفرغ بن فضالة قد تكلم فيه مثل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فطنت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ ؟ فقال هنا باطل : فقيل من جهة الفرغ قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير . وقال أبو حاتم لا يحمل الاحتجاج به وقال مسلم أنه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنهم من السرف في الهرف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر المصنعي من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلاني امام الحديثين في زمانه وبعد زمانه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها : وكان إليه المنتهى في الدكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وعسك بالعموم والبراءة الأصلية وكانت صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهّد وتجرّد للصدق — ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفة بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليقه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم جمة عاملاً بطله ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام إمام الشافعية في عصره أنه قال ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمنهاج للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

وأما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيتمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من الأسباب لم يقل بمثلاً أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى إباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة أه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيتمي من أنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألهم هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الهيتمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

وأما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فإذا لم نصح عنه فقد صحت عن هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الأحياء بعد نقل تحريمه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة إلى جوازها وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

بن العاص وحصان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر فقهاء المدينة . وحكاها الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقدمنا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد وحكاها الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاها الفوري في كتابه القند . وحكى الروياني عن القفال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيع الفناء على المازن وحكاها المازدي في الحاروي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاها عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاها ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكراهة ولا لنفيها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالنرد للغير أكثر ما أكره اللعب بشي من الملاهي : فإطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه المود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل النرد مكروها غير محرم ، وما حكاها المازري في شرح التلخيص عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن المزني عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني الفزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو اتفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتاج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أساسيهما لينظر في طمعه . وسقط بهذه القول ما جاء في الاستئالة من ذكر الاتفاق على تحريم المود ونحوه وتفسير من يسميه وأما ما رواه عن جواز نسبة ذلك إلى العلويين الاتقياء فجوابه أن النقل لا يكون بالرأي فإن نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم الحل كما نقل ذلك عنهم خير منهم وإن كان غير ثقة لم نصدقه وأما موأله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم إذا سمعوا المود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الظن في دينه لسماعه المود من غير ان يشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤن فستهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهائها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو يحتاج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدخول بالانكير (٣) ان الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا يحرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يضره بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أشارت على البرية

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه المقد) يقال امض على سنك أي على وجهك وتنح عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات المقد الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كجبر جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدهلiske ملساء فيحسن تشبيه حبات

المقترن بها وإطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه بـ راتحة السنن لأنه لا يلاحظ

فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا وراتحته راتحته

(ص ١٠٤) رآنا مشعري أرق وحرزن وبقيته لدى الركب المهجود

(المهجود من هجد إذا أناخ) هجد نام والركب المهجود النائم وهو ما أراده

الشاعر فهو يقول إن الطيف تحايى زيارته لكونه حليف أرق وحرزن والطيف إنما يأتي

إلى الركب النائم . وقد ينبخ الركب ولا ينام

(ص ٩٩) انخو الحرب العوان إذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود

(العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر

الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرناها هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الأيام في عيشة رغد

(أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وتخلص واضمحل وزال راجع

ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر به انكشف عنا الغيابة الخ

(ص ١٣٨) فعلوت هامة فطار فراشها بشباب موت في الدين مجرد

(الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح أن الفراش مفرد على وزن كتاب

وإن معناه ما ذكره وليس كذلك فإن شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهل اللغة في قولهم

أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة

تبلغ التحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد .

(ص ١٣٩) فسوك فالتمسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت

الطلوع وإنما المعنى أن من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول

الرفي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم

فاعل من أصعد إذا استقبل أرضا أرفع من الأخرى . ونظير قول شاعرنا قول

الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة الملساء

(ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينة أعصار

(النقع رفع الصوت) القسط ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالنقع هنا

الغبار وتكون إضافة النقع الى القسطل الذي معناه الغبار أيضا من قبيل الإضافة اليبانية
(ص ١٤٨) وإذا القسي العوج طارت نبالها سوم الجراد يشيع حين يطار

(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سوماحامت وهو
مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتشارها حومان
رجل الجراد الذي هيج فجدا في الطيران . وجواب الشطر البيت بعده

(١٥١) لولا أحاديث أبقته أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السور
(السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يستقط في
الليل يطلق أيضا على المعروف والجود ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منها
هنا المهنيان الاخيران قطعا ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل .

(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكأنها عصب تيس في الوغى وتضر
(العصب صبغ يصبغ يصبغ في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي
ونقوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حلا ملونة
فكأنها تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لأنها تحاكي انصبغ نفسه

(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التعبير
(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا
اجتمع وانتظم واستوى . واتساق القمر اكتماله واستواءه . وقولهم وسق البعير أي
ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له .

(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفوت ترب والندى مجلس
(المجلس الكبير من الناس) : نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر
أصل المجلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير
لمن يلزم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن مجلس بيتك أي ملازما له
وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآلفين لركوبها وقلان ليس من أحلاسها
فاستعملت استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقرو وعمر وترب ادب .
وقربها بترب يؤيد كون المراد بها ما ذكرناه .

(ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالخرس وقد يصيغ المصوم في المجلس

(الفصوص احداق الميوت) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى :
 اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصح أي أصله
 وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حراز الفصوص اذا كان مصيباً
 في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
 عينهن قد يقمن على الصواب ويصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قاله
 المرأة . فالفصوص في البيت بالنسب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض
 (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
 الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض
 المستوية الواسعة وزاد بعضهم لآيات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجبون رضيع
 (يعجبون يعصرون) المعجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
 عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تحيك فيه
 المواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالمعجم في
 البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يوجب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعز والبراق
 (الاماعز الغزلان والبراق الجمالان من الضأن) فاعل يوجب يوجب الى السلام
 الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعني أن سلامه يرجع الى شمائل مدوحه التي
 وصفها بقوله ميث أي لينة وأصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وأراض
 ميث . ولما وصف الشاعر شمائل مدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها
 صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
 الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الفليضة ذات الحجارة والطين والرمل
 ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول إن شمائل المدوح وطباعه لينة وليست
 بخشنة ولا جافة

(ص ٢١٤) وتخط بزيته فريت خلة في درج ثوب اللابس المتوق

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد ينقو المرء في لباسه
ويبالغ في تزيتها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك الممدوح
(ص ٢٢٨) ضحك إذا خرس أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطبة الذبل
(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضمور كقولهم ذبل الفرس
ضمير وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
ولأن وتذبل في مشيه تفر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطقة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح إذا لم يكن ليناً لدنا تقصف
ولم يصلح للطمن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
ذبول الرماح . وإذا أريد وصف الرماح بالصلاية قيل كما قال الحماسي
ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملاً كذلك أزور
قوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الأدبيات ﴾

قال شارح الأحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أويس وأحد
الفقهاء السبعة وقد سمع الغناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده أن
سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخصر يني في دار العاص بن وائل وهو يقول
تضوّع مسكا بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات
فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد
وليست كأخرى أو سمعت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجرات
وعلت بنان المسك وصفاً مرجلاً على مثل يدر لاح في ظلمات
وقاضت نراى يوم جمع فأفنت برويتها من راح من عرفات
وأثبت الخافض ابن عبد البر أن هذه الأبيات لسعيد لا للنسيري . أقول وقابل
ماعاب سعيد بن تميم جيوب النساء وأبداء بنابهن بحال نسا ثنا اليوم . يوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الأحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتقنى بهذه الآيات في مسجد الأحزاب

فما روضة بالحزن طيبة ترى مع الندى جثجاثها وعزارها (١)
 بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمنديل الرطب نارها (٢)
 من الحفرات البيض لم تلق شقرة وبالحسب المكنون صاف تجارها
 فان برزت كانت لعينك قرة وإن غبت عنها لم يفمك عارها
 فقيل له أصلحك الله أتقنى بهذه الآيات في جلالك وشرfk أما والله لأحدثن
 بها ركان نجد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتقنى بهذه الآيات

فما ظبية أدماء حفاقة الحشا تجوب بظلفها بطون الخنازل (٣)
 بأحسن منها أذ تقول تداللا وأدمها تذر من حشو المكاحل
 تمتع بهذا اليوم القصير فإنه رهين بأيام الشهور الأطلول
 قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم
 حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
 بفضله بهذا الشعر:

مغيرة كالبدن سنة وجهها مطهرة الاثواب والعرض وافر
 لها حسب ذاك وعرض مهذب وعن كل مكروه من الأمر زاجر
 من الحفرات البيض لم تلق ريبة ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفص القطرا
 فقلت أخطار توى في رحالنا وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجزلت جائزتك فلك من هذا الأمر مكاناه

- (١) الجثجاث نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو الرجمس البري
 (٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدير أو ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
 لحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الأظفار

﴿ رسالتان في قراءة القونفراف والسكرتاه ﴾

اطلما على هاتين الرسالتين اللتين كتبتهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد
نجيت الأزهرى المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب
من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من
أشاج المسائل مالا محل لذكره هنا ووصف الفوتغراف ووصف من لم يره ولم يعرف
شيئاً من علم مخترعه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب
من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملى الشرقى بولاية سلانيك يتضمن
السؤال عما يأتى ويطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اهـ
وباليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل
الطبع لعله يذبه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا
— في الروملى الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا — في ولاية
سلانيك من مقدونيا — استنباط يوده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات
مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويثهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط
حيله تدل على انه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه
بالجغرافيا التي ما برح يذمها وينفر عنها حتى اتهمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد
لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقہ فی الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافرا أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلده القضاء و يأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأه رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن فاجر موثنا الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً إلا أن يقهره بساطان يخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فإن في إسناده عبد الله بن محمد التيمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدهان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقليد الامامة الكبرى فينبغي عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالاحتجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن . وقد سرنا ان الشيخ سمي رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية : « الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائماً مستمرا باستمرار الأهل » . فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقتال بابه ، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبدل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فنتسى ان يترى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورماعدا نا الى انتقاد الرسالتين (مجلة جمعية الملاجي - العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى انحلت بجمعية الملاجي - العباسية في فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومساائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولا من الكتب والجرائد وجعلت هدية المشتركين في جمعية الملاجي - العباسية وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و افرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأرباحية معي الخير - فهو لمساعدة
الأيام والفقراء والمعجزة في تلك الملاحة . فمسي ان تصادف من الاقبال في حياتها
الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى
وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب
السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها
الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث
الأدبية والمقاطيع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف
الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - بردا وسلاما - يتمتعون به فلا ينسون لذته
حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي، اطال الله خدمة منشئها
لقنون الآداب، ولقي ما هو أهله من تمضيده أولى الآداب،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ «لاحظ» لا يتعدى
بلى وصاحب التقرير يكثر من قول «لاحظ عليه» فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الادباء
ان انتقادنا هذا خاص بقوله «وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل»
لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان
«على» في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار
المشار إليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه بكثرت في كلامه ولكن سقط من
الأصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: «ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة
وهو النظر بآخر العين وتسعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المسمى
الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بلى» الخ فسقط ما بين لاحظ الأولى والثانية
ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديده لاحظ بلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود
بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الاولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان سراكش بأن طوفان اوربالا بد ان يفيض على بلاده فيغيرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة المصير لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يتذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القيور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاؤم الي قبرسيني ادريس عندما أرادت فرنسا الاقيات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استعراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وايما زه الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح سراكش على موتيمر أوربي فانفقوا الموتيمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون ، أما المصرف فلا يتلأع أموال الحكومة وأما الشرطة فتأمين تجارة أوربا التي يتلأعون بها أموال الاهالي وتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال التنازع بين فرنسا والمانيا في شأن حصص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولأجل تشكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين مما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطتنا بل تقليص لظواهرنا عن بلادنا ولو بالتدريج الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل ثمانيهم واهوالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذ لهم في بلادنا وإزالة نفوذ لنا منها فقالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في سراكش بعد هذا المؤتمر الذي يجعل لهم حقارسيما في القبض على إدارة البلاد وأموالها. اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل سراكش وبين الانتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجحود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان الملتان هما الماكتان من فهم الحق ومن كل تشهير يدعى اليه المقلد للآباء، المفوض أموره الى من اتخذه أولياء،

﴿مسألة العقبة﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري أحداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الأحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن إيصال السكة الى الحرمين فان رجحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعصنا عن ذلك بإيصالها الى العقبة. وقد اجتهد الصدر الأعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهدا عظيميا في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتدخل الانكليز في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتهديد العمل. فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضما ف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب. واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بهد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمعت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحياها. على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين.

البدع والانحرافات

قَالَ لَبَقَّا لَيْتَكَ قَالَ لَبَقَّا

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى ، ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثة في الأزهر» يريد ناشره أن يشهر به نفسه بالولاية والقدرة على إخراج الشياطين
من الأجسام والبيوت ورأى أن إعلانه لا يقرأ إلا إذا افتتحه بكرا لا ساذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لطمه بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه . ومن المجانب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره وننكره وهو باختصار
«لاريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دورس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الازهر ويقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء عما يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذ ذاك يصبح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاسهاد والعلماء بمحاجونه بالكتب
المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب
لذلك بجملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفة على هذا الأمر على أنه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الازهر
ومن رجال التدريس وامين الكتبخانة وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ
اشترى من منذ سنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه
الايام رجم أحجار فظن أنه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرود وخنازير وكلاب وقطط وصاروا ينقلون الكتب
والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله
واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فتشاع الخبر وذاع في مصر
وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بمقالات ووصفات وكثير من أعظم مصر

أرسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ إبراهيم الطوبى الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولمكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضره الأستاذ وصم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله وأخيراً حضر بعض الأعيان وأخبر الأستاذ بأنه يوجد رجل ساح في الأرض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم وأسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص فقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه إلى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يا من هو موكل بالأذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها وأشار إليها فطارت والناس تنظر إليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد وأخبرهم بصرف الأذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت وأخيراً سئل عن هذا الأذى فقال معناه أن هذا الأمر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على أنه لا يمكنني أن أطلع أحداً عليه مهما كان موله إلى وقربه من فؤادي»

أه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا إلا الغلو في شهرة صاحب الاسم المراد إشارته بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى أن بيته مكتظ بالأمراء والأفرنج

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها أنه يعتمد الكذب .

(أولاً) أن الأستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفوص القطاة والناس يعلمون أنه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانياً) أنه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب وبهتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي نقبس فيه دروسه التي كان يلقها في الأزهر (ثالثاً) أن العلماء حاجوه في ذلك (رابعاً) أن المؤيد واللواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامساً) أن أكثر الناس وافقوه على إنكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول إن الحكاية أصلاً ولكن ما نشر في الإعلان كله كذب وبهتان صرح الأستاذ الإمام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الأمور المتقادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا إلا خادعين وما كان الأستاذ الإمام إلا منكر ادجلهم تأييداً للقرآن ونصيحة للعوام استدلل الجاهل ناشر «الإعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية إلا كأمثالها من الحكايات التي لا تخص عند أهل الخرافات وعبد الأوهام فكلم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعبثوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السخفاء أن عيهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيراً من هذه الحيل الشيطانية فعلم أن منها ما كان من الجيران لسبب غرامى أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصاً إذا خاف الناس من عقارته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي إليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعقاريت والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العقاريت لتحت العوام، اذ قلت الخرافات والأوهام ؟



بوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة لله
خيرا كبيرا وما يذكركم الا اولو الابواب

الله
١٣١٥

بشر مجادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واقتربوا من ربهم

(قال عليه الصلاة والسلام: اني للاسلام صوي و«منار» كمنار الطريق)

(مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ - ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ هـ)

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللمذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لأن قلب الشيء عندها له ومحضه وخالفه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩: ٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني (٣٧: ٥٠) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٦: ٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تميز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم إن أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصياً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يخاف أولاً يخيف ويرجو ما لا يرجو ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له إلا النساء والأطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فإذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان القلب وأنفسه حكماً على الجوارح ، وإذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده ، وإذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فبيدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فبيدهم وعدة نفسه قد ارتقت بذلك ارتقاء

مبيناً، وإذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولا تخرب بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقاً لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزعه عن التقيّد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقاً يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، وإذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وتعدّه سائر الوجدانات الدينية، وإذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخلد الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأموال المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدّين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب أن نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدّب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، ونُدع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان، ؟

وأما حجة الداهيين إلى أن لكل من القلب والعقل سلطاناً مستقلاً يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل أن الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثراً منه الضار والنافع وأحكاماً منها الخطأ ومنها الصواب وأن الإنسان في حاجة إلى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثاً وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للإنسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه إلى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والذيلة وقانون العقل هو العلم بالأشياء كوان الذي يجلي للإنسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فإذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي بطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب وإذا بحثنا في تاريخ الإنسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلو فرضنا أن الإنسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لأنه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يثقي بها الملايين من الناس ليسعد النئات والألوف بشغائهم ولكنه لا يكتفي قط بترك جبل شموره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان الله والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والعدوان اذا لم يكن له موذب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا الموذب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة نقصا وأشدّها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي ففوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة النبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منها قد وجد لحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الأخطاط . موجبا لقول بطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعدّ خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وإزالة سلطانه تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالأوهام حتى استعبدوهم وتقول انا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرمهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تسترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كنهة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي مقام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان تقول ان بعض ما في تلك الكتب مدرج من التناسخ وان ما قاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج المبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الأكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لا تيسر لهم ذلك ولكن تصديهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المطلقة بالقلوب والارواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لنفاية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشموهه وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيداً بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف مخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالآيمان بالله وبالعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والذائل لأنه من باب الإنشأ الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بآثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصالح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفات من خالق الكون ومديره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب والنظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكوراً وفاتهم ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لها أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوراً لا بطلان أحدهما الآخر أو مسوغاً لتركه لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعمله لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينين كسمارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العمليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيراً من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه فهو يضر ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لا غنى للبشر عنها
وتجدي هولاء العظماء المتحمسين في الدين المتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب
الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع
من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يهوي ان استفادة
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي
الايمان بأنه كان مؤيداً بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون
النبى الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من
عبدة المادة واسرى الخواص الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه
الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها
تنمى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثرت في متفرنجي
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر
ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين
أهل أولئك المتبوعين من عداوة العقل والحس وعلومهما ما ليس في دين هؤلاء
ولان أولئك قد أغلوا سيف العلوم الكونية فشفلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح
فلم يعرفوا حقيقة على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

**

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهما كيانه: يسعد الإنسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيصفي فيه ويتخلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس، وتستخيرا للجبين، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر إلا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لأن أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعو إليه فبطيئه تارة وينصيه أخرى - بطيئه إذا كانت داعية الوجدان ضميئة وينصيه إذا كانت قوية

إذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الإنسان ويشقى وكان قد وقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفرة يطغى في شره فيسرف، ويترأخى في فترته فينفل، فلا جرم أنهما في حاجة إلى مرشد حكيم ذي سلطان مكن، مطاع ثم أمين، برضيان بحكمته، ويقفان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفضت فوقها رايته، وما أراك إلا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وأن ظهور آيته للنفس يؤتيها الأذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وإن ارتفع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لأهل البغي والمدوان، الذين يشذون عن حكم الأذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الإنسان للكمال، فالدين هو الأستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تمتدل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كالأغنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول أنه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يمرض له الوهم من الأفكار الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن المقصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي - يتلذذ بنيل ما يحب ويرجاء فيه ويتألم بما يكره - يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجا مالا يرجى أو خاف مالا يخاف أو أحب مالا يحب أو كره مالا يكره ، فأنما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو خار أو نافع وإنما الحسن هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى غيره ، وذلك الشيء مما يغشى ضيره ، قبل ان قلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتصرحه ، وقطاعا يعطى الوجدان في شيء - الا ويكون الفكر هو المدة له في طغيانه ، فكما أوغل العقل في التصور والتفكير ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والتفكير في طغيان وجدان القلب وتقصه في مجاهيل الاوهام لو فقد الانسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو عليك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه واتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، وهو اساءة البائسين ، ومواخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقبيسة الفكر لتضي عنه شيئا ، فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو ينشأ يجهل فهل يصح أن يقال أنها خدعان ، أو تطلب على حقة الأول منها البرهان ، كيف وهو أقوى الضرورات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ، على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبداء الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاعلى في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الادعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعدأ أفراد منه للارتقاء عن التبع للاشياء المحدثثة بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والادعان ، يدعو الى التوحيد الذي هو (الله ص ٧)

(المجلد التاسع)

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليحل العقل ان تصديه له لم حقيقة مصدر تلك السلطة التي مجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فلان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وأما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجده عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهديب كان محصورا في الكهنة والأخبار والقسيسين ، نعم انت هؤلاء الزعماء الذين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الا وجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد ذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الجبر على العقل فلم يجعلوا له رأيا سفي في آداب النفس ولا في

(المنار ٩: ٣) إبطال الاسلام سيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٥

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك ببنائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نفس هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجهل للنبي نفسه شيئاً منها (٢٨: ٣) ليس لك من الأمر شيء . ٢١: ٨٨ - فذكر أنما أنت مذكور ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ثم أنه بين المقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الأحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وإرشاده ، لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والمعارف ، وأعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بنقبض ما جاء به أتباعاً لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به أن يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا أن من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه وإن كان الدين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، وأضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجبتهم عن محاسن هذا الدين ، وبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة لكفر من كفر ، وفجور من فجر ، ففسى أن يهيب الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد إليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة ، ويطبقهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وإن ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(نصحيح) في س ٢٠ ص ١٩٢ «تبدل» وصوابه (تقتل) فليصحح

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص ونقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة وانما نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر انه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا امر مجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كانه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند نحو يفهم بالمدوم لم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بان لا يخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء اتقوا عنه فكهروه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستبين الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه ز يادته في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملًا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكمل وما وقع منه أكمل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكمل

﴿الثالث﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿الرابع﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا عليه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهروب من النار والآخرة علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحجوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف المعلوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا المجل لم يلق الا لواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصدق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقاً به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿الخامس﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلاً ظاهراً

﴿السادس﴾

الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الإنسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل
من صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تنقصه وكمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه إذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الإنسان مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق ثم
يسمع الآية والحديث أو بتدبر ذلك أو يفسره له ممناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً له وهذا تصديق جديد
وإيمان جديد ازداد به إيمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وإن أشبه
الجهل والمفصل لكن صاحب الجمل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن مەرقة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الإجمال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون أنها تخالف فإذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أكمل ممن لم يكن كذلك

إذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الأمة وجلس الأئمة أن الإيمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
 اجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
 والايمن عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
 ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا
 قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
 أن قال وأما مآثر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
 ومنهم مالك بن أنس وأبي حنيفة بن سعيد وسفيان الثوري والاوزاعي
 والثافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
 وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان
 وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا
 كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد
 بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
 الايمان من أجل ذنوبهم وإنما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى
 الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
 مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
 توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلاوا الى القبلة واتحلوا دعوة المسلمين من
 قراباتهم المؤمنين الذين ليسوا بذلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
 يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفيا في الامصار وهذا
 مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزلة بالموارثة ومحدث عبادة بن الصامت «من
 أصاب من ذلك شيئا فموجب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
 فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
 الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا)
 أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
 ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون إلا كل جنى يكون غيره أنقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان أوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن ائمة تشكّل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انما يفتي نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهوان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لم يزل كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يعلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبقى بمجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب من أصبع أو يدا أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدر في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عندهم أثبتوها عندهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره ولا جل اعتقادهم هذا اجماع وقعوا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال بقول جهنم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولاً مخالفا للنقص

والاجماع القديم حقيقة ويكفون معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فانه يشبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لا حقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي شيء يقدر في الازهان لا في الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما انصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشراك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فإيمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المميّنة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الأمر بطائفة من علمائهم علماء عبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في معنى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا مبادئ مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبهذا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لا كالم اشتبه عليهم ما في الازهان

بما في الايمان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعثر به الشبهة وقال يزيد ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعمّر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال تقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاه فضيل بن عياض ووکیع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاحمدي أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (وبرزاد الذين آمنوا ايماننا) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالمعصيات وقد ذكرنا من ذلك ما علمه يحصل به المصود والله ولي الاحسان



(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الأول فهو عرضة للبدع والأهواء وان رواج شبهة المرحضة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمنين فيه سواء قد جرد الناس على الفسوق والعصيان ، ثم جعلهم على التحريف المعنوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا تخصي الا بمجهود وعناء وتري أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وانما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويحملونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وانما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ » فيما نقضهم ميثاقهم لصلواتهم « الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقيون على استقلال ما عرضة للخطر ثم ان كثيرا من كتابهم يثرثرون في دأبهم ودواشهم ويحاولون ان يكونوا من أطبايهم ، وهم مجهلون الداء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اتصف به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة لعلمهم بكونون من الهادين المهتدين

فتاوى المفتين

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين سنة ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالخروف ان شاء ، وان تأخذ كالأمانة بالتدريج غالبا ورمحا قد منامنا غرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورما أحيانا غير مشترك كمثل هذا . وان يفتي على سؤال شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا قدر سبب لا غناله

(الاتفاق على التعميم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من العلماء المتبحرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما » ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف المأمورين الملكيين ومائر مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الاتفاع بهذه النقود - لانع الحكومة بل اهدم سواهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها - على اشتراكهم في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس فيها مكاتب دينية افقر الأهالي وقعد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة الخصوصية للجميع فعم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة أزعجت القلوب المملوءة بالحمية والجات الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فشاوروا وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بهم في تلك الخزانة) ففحروا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصله : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الإسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الأميرية يكفي لتأسيسها والنفقة عليها اذ الغرض من وضع تلك الخزانه هو انتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالانتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمت ان المحكمة الملكية (زيمسكي أوبرا) أجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانه في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ؛ وظني أنه لا ضرر فيه بهد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصالحنا ؛ إنما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعال بأن فيها مال اليتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة الملكية تتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفائر فارجوكم أيها الأستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جُنُوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأنني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماع هذه المسألة وبكى، وبكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماعها ضحكا حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصرفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز انتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مالك غير هذا الحاكم

أويمحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لأن الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلامنازع وارجاءه الى من أخذه منهم متعذر فإذا أعطانا شيئاً منه لننفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتماً بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كانت وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متبر مانعاً من الانفاق به لكان وضع درهم لیتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعاً لهذا من التصرف في ماله كما قال الفزالي في شبه هذه المسألة وذلك بدمي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذه من الحاكم لا يخلو عما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيراً جداً بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهناك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجع جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضاً لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضعة سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه تعلمون الحق في ذلك وتعدرونا اذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ الذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشأة خلقه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالمأكول والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكلوا من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدينا وإنما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتهاؤ أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى أنه أكل كذا وكذا وفعل كذا فليتذوق ذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقياً فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك فهو قوله تعالى (٧٢: ٤٣) وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بانتم في الجنة بالأكل والشرب والنكاح المألومة لذته لهم تقريباً لا فهمهم وتشبيهاً! ذلوا وصف لهم التمتع بشيئهم ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التمتع . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء : ولقصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجياً الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملائمة الاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراك في المجلد الثامن ولازمت في عز وجاء والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لا خلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرق مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من الملل وهي كان الانسان انساناً فلا وجه لاستنكاراً كل وشرب وغشيان أحد زوجته للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لأخراجها عن ظاهرها وتحريرها عن معانيها اتباعاً للبهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص الماثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرق مما في الدنيا وان حقيقته غيبية . وأنت مثلاً عين ولا سمعت بمثلها أذن ولا خطرت على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جامعة بين الذة البدنية والذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وأني لأعرف سبباً لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا أنهم ان الذة الحسية تقص في الخلقة لا يلقى بالمالم الآخر . ولو عقولوا

حقوا العلوم أنه ليس في الفطرة نقص فداعية اللذة والتمتع بها من كمال الخلقة ولكن لما كان الإنسان قد يسرف في تمتعه وقد يسرقه كسبه واختياره إلى الاعتداء على حق غيره ليمتتع به وكان ذلك ضارا بنفسه وبين يعيش معهم كالتاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للإنسان وإيقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد التاسراف والمدون من النقص لأنه يعوق الإنسان في أفراد ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وإنما إذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوقه سواء أما قولكم أن الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجح المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا إذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الإنسان في هذه الحياة . وإذا أردت مزيد البيان فراجع تفسير الآيات في ذلك ولو في غير المنار

حكم آواني الفضة وزكاتها

(س ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفرقات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الآواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصيبها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الذي عن الأكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجهاهيرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتقده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وإن كانت الزكاة المعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالنقدين والأنعام السائمة وغلة الأرض . ولعل الأصل في ذلك ما روي في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية إنما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي وأعل البيهقي ما روي في زكاة الحلي بما

لا محلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم يصح في هذا الباب شيء.

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكثر من الذهب والفضة وهو ما يجمع بمضه فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزوننا هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة واصطلاح أكثر الفقهاء على جملة بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمتبادر أن المراد به النقود المضروبة لأنها هي التي تكثر وتتفق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي مرفوعاً «قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فها تواتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء» فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح. والرقة هي الدراهم المضروبة. وقد أيد القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس. قال في حاشية المقنع وقد تكلم عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «ليس في الحلي صدقة» ولأنه مرصود لاستعمال مباح فلم يجب فيه الزكاة كالعوامل من البقر وثياب القنية والآحاديث التي احتجوا بها لا تناول محل النزاع لأن الرقة هي الدراهم المضروبة: اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر والثياب ظاهر جداً.

وقد علم السائل أن الذي أعتقد في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب والفضة هو ما جاء به النص وإن ما يجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض العلماء إن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية. وهو ما يوجبها لا كثره. وعلم أيضاً أن نصاب الفضة مئتا درهم وإن فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم.

(بيع انقضاء المسجد ومجديد بنائه بثمنها)

(س ١٥) أ. ب. في يتزورغ (جاءه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسجد موقوف خرب وأرادوا بناءه فهل يجوز بيع تلك الانقضاء التي لا تصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفوتونا مأجورين
(ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الأبيمة
وأما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة اذ ليس كل ناظر وقف وقف يقف عند
حدود الشرع فلو وكل الأمر الى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تقدر
الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجة الى بيان اننا لانكاف حفظ هذه الانتقاض
بغير فائدة تدينا وتمبدا. ومن البديهي ان تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
يتقدر مع وجود تلك الانتقاض والأمر دائرين ببيع مالا ينتفع به في بنائه وبين
نقله الى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ انما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين
وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأني كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن تنفق المال
سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف؟ واننا نرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
ليستبدلوا بها أعيانا أخرى أكثر ريعا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساها بالحوار العين)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمون بها بالاعمال فما بال
الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحوار العين الحسان يتمتع بهن وينعم بقرين
فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحوار العين هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لازوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
السؤال هو توهم ان وصف الحوار العين خاص بنساء مخلوقن في الجنة وان نساء الدنيا
لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سنفافوره ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبد. قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها الى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
بعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كالصلاة بالصحابة وتسلل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة فحديث أبي الدرداء مرفوعاً « ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر فمن أبي فقد كفر » قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة الإسناد لكنها ليست نصاً في التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي » قاله لملي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عتبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا وخير المسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبعثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محقق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطئ ، أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو غاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد

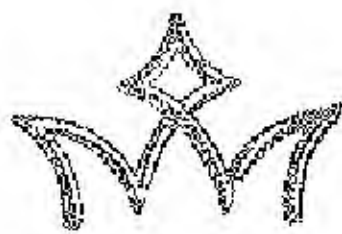
(ج) ان سيرة معاوية تشيد بحملتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومحبا للرياسة وإنني لا أعقد انه قد وثب علي هذا الأمر مفتاتاً وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايعه أولو الأمر أهل الحل والعقد وإن كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته شيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاث فرق كلمة المسلمين ويشق عصاهم ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوضا ثم أنه جعلها وراثته في قومه الذين حولوا أسس المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطالها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول علي المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم في أعرجا جأ فليقومه » واني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطعن في الأشخاص والنزب بالالقاب والالمن والسياب، وإنما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسوموا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسباب مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطع واليقين ولا يعرف قبر نبي آخر ولا بالظن الراجح وإنما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي امه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أنا زبید الطائي

وصف الأسد

لأبي زبید الطائي

دخل أبو زبید الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلني أنك ثجيد وصف الأسد فقال له : لقد رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مخبرا ، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات مامرا على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من اغناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتدي بنا المهاري باكساتها القزوانيات (٢) وممنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمرا الفسائي ملك الشام فاخروط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وشالت (٦) المياه ، واذا كنت الجوزاء الممراء (٧) وذاب الصيخد (٨) ، وصر الجندب (٩) وضايقت المصفور الضب في وجاره (١٠) ، قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصيابة بالتشديد من الناس جماعتهم وأبائهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا .
(٢) المهاري جمع مهيبة الأبل المنسوبة الى مهرة وهي نسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتد . (٤) حمارة القيظ شدة الحر . (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد شالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شول ذنبها للقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمرادة قال في التاج ولا يقال شالت . (٧) الممراء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشعلت الأرض (٨) الصيخد : عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صر صوت والجندب (كدرهم) صغير الجراد يلزم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يصر الا عند ما يحمي وطيس الحر . (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغلل (١٣) شجراؤه
مفنة، وأطياره مرنه، فحططنا رحالنا بأصم دوحات كنهيات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزاد (١٥)، واتبعناها بالماء البارد، إنا لنا نصف حر يومنا ومما طلته
ومطاولته، اذ صر (١٦) أقصى الخيل اذنيه، وفحص الأرض بيديه، ثم مالبت
ان جال فحمهم (١٧)، وبال فهمهم «١٨»، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد
واحد فضعضت الخيل، وتكلمت (١٩) الابل، وتقهقرت البغال، فمن نافر
بشكاله (٢٠)، وناهض بعقاله (٢١)، فعلنا ان قد أتينا وأنه السبع لاشك فيه،
ففرع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدرة نحيط (٢٦)،

واذا اشتد الخرجات العصافير الى الظل ولوفي الأوجرة (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها: أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوح بالجيم وهو موافق لما في القاموس
ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل: الشجر
الكثيف الملتف والنبت الكثير المشبك (١٣) الغلل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات. وشجر كنهيل كسفرجل
عظيم فهو وصف مؤكد (١٥) المزاد أوعية طعام المسافرين (١٦) صر اذنيه نصبهما
للسماع (١٧) حمهم سهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف «١٩»
تكلمت: أحجمت وتأخرت الى الراء «٢٠» الشكال جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاص بالدواب «٢١» العقال: جبل يعقل به البعير في وسط ذراعه
وهو خاص بالأباعر «٢٢» جربان السيف غمده «٢٣» زردق كجعفر بزاي
فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قل أبو الطيب يصف فتك سيف جيش
مدوحه بعدوهم

لقد وردوا ورد القطا شفراتها وصروا عليها زردقا بعد زردق
«٢٤» يتظالم يتغامر من الخلع وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات
الجنب «٢٥» الهجار جبل يشد في رسن البعير الى حقه «٢٦» المحيط الزفير

ولبلاعيه (٢٧) غطيظ ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه تقيض (٢٩) ، كأما يجبط
هشيا (٣٠) ، أو يطأ صريعا (٣١) وإذا هامة كالحن ، وخذ كالسن ، وعينات
سجراوان (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ريلة (٣٤) ، ولهمزة رهلة (٣٥) ،
وكتد مضبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مقبول ، وكف
شنة البرائن (٣٨) ، إلى مخالب كالحاجن (٣٩) ، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠) ، وكشر
فافر ج ، عن أنياب كالمحاول (٤١) ، مصقولة ، غير مفولة ، (٤٢) وفم أشدق ، (٤٣)
كالغار الآخرق ، ثم تملى (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركيه برجليه ، حتى

(٢٧) البلاعي مجازي الطعام في الخلق «٢٨» الوميض إيمان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ
كثقل وبضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
ومفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
والنقيض صوت المفاصل ومنها الأرساغ وكذا صوت الأصابع والأضلاع والرحال
وما في معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهاها
هنا الأرض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط الهشيم وواطي
الصريم والخبط الوطاء الشديد والحن الترس والمسن ما يسن عليه يعني أن
وجهه لالحم عليه «٣٢» سجراوان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة كبقرة
أصل الصق إذا غلظت . «٣٤» الريلة الكثيرة اللحم «٣٥» الهمزة (كهزمة) بالكسر عظم
ناتئ في اللحم تحت الأذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . ورهلة مسترخية . «٣٦»
الكتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومضبط محبوك أو مرتفع «٣٧» الزور وسط الصدر .
ومفرط مملي وهو مجاز والأصل فيه أن يستعمل للتدبير ونحوه فيقال غدبر مفرط أي
ملآن ماء . «٣٨» كف شنة : غليظة . والبرائن جمع برثن كقنفذ هي من
السباع كالأصابع من الإنسان . «٣٩» مخالب الأسد أطافره . والحاجن جمع محجن
كمنبر وهو العصا المنطقاة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
الخ . «٤٠» أرهج : أثار الغبار «٤١» المحاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفولة مثله
«٤٣» أشدق عظيم الشدقين . «٤٤» تملى تمدد وتبخر «٤٥» حفز وركيه برجليه

صار غله مثليه ، ثم ألقى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فاكفر ، (٤٧) ثم تجههم فازبار (٤٨) فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهصه ، (٥٠) ثم أقصه ، (٥١) فقضض منه ، (٥٢) وبقربطه ، فجعل بالغ (٥٣) في دمه . قدمرت (٥٤) أصعابي فبعد لأي (٥٥) ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيها حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أعجز ذاحوايا (٥٩) فنفضه نفضة فزألت أوصاله (٦٠) واقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) فقرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرحر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله لخلت البرق بتطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتعشت الأيدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الأسباع ، وجمجت (٦٧)

دفعها بهما وهما مثني ورك ككتف هي ما فوق الفخذ «٤٦» ألقى : جلس على ألبته ونصب فخذيه واقشعر ارتعد . «٤٧» اكفر كالج وعبس . «٤٨» الجهم الوجه الفليظ السمج وتجهمه قابله وجه جهم وازبار : تنفس ونهيا للشر . «٤٩» الجزارة كنهالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهصه رماه وضرب به الأرض . «٥١» أقصه قتله مكانه واجز عليه «٥٢» فقضض منه كسر ظهره - وبقربطه : شقه «٥٣» بالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» ذمره على الشيء حثه عليه لاثما أو مضنا ليحدث فيه «٥٥» لأي : بظا . «٥٦» مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته «٥٧» الشيم كيرق القنفذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج انزع واجتذب . «٥٩» الأعجز المتلي جدا أو عظيم البطن - والحوايا : الأمعاء «٦٠» نزألت تبأنت وانفصلت - وأوصاله جمع وصل كنسر وهي المفاصل أو مجنم العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نهم أي تمنع - وقرقر هدر وزأر . «٦٣» زفر اخرج نفسه يده بصوت - وبربر صوت «٦٤» زأر : صات من صدره - وجرحر : ردده صوت في حنجرتة «٦٥» اصطكت اضطربت «٦٦» الاطيط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند الجوع واطت الأبل أنت من التعب أو الحنين «٦٧» التحميج هو نظر الفزع المذعور والمتهير المبهوت فالأول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

العيون، وانخزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
 عبوس شمس مصلح خنابس (٦٩) جري: على الأرواح للقرن قاهر
 منيع وبهي شكل واد يريده شديد أصول الماضفين مكابر
 برآته شهن وعينه في الدجى كجمر الفضا في وجهه الشر ظاهر
 يدل بأنساب حداد كأنها إذا قلص الأشداق عنها خناجر (٧٠)
 فقال عثمان (رض): اكفف لا أم لك فلفقد أروعبت قلوب المسلمين وأقعد
 وصفته حتى كأنني أنظر إليه يريد برأثني.

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجوانح من خلائق ظالم شاكي السلاح على الحب الاعزل
 (شاكي السلاح تام السلاح) قوله شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
 فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون
 أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتمام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
 (ص ٢٥٤) رأيتك لسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل
 (السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرّد الطويل) السفر هنا ليس أصله
 مفتوح الفاء فكأنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وإنما هو يسكون الفاء
 من الأصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفايري مسافرون
 والمطرّد اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرّد وهو
 نعت لسفر باعتبار لفظه كأن يؤمّن عاد إليه باعتبار معناه . والمطرّد إنما يكون
 بمعنى الطويل إذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد أي طويل كامل تام بقوله

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» انخزلت المتون أي انكسرت الظهور «٦٩» والمصلح
 المنتصب قائماً الشمس المنتع لا يمكن منه أحد الخنابس الكبر المظن والتوي الشديد
 الثابت وهو من أسماء الأسد «٧٠» يدل بالشئ بجرى بسببه يقال أدل بقوة وسلطان
 وأدلت بحسبها وجمالها والأشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكثير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يومونك كما يوم المطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والاتكن تلك الاماني غضة ترف فحسي ان تصادف ذبلا (ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذا لم أصادف امانى غضة طرية فاني راض بان تكون ذابلة لا غضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨ وتفسير الذبول هنا باليبس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من الفائدة والنفع ولو قليلا وتلك القصة كفى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول اليبس كان كناية عن خيته وعدم نياله لامانيه وقوله «حسي» يناقض هذا كما لا يخفى (ص ٢٦٩) قد علمت فمشيت مشية أما كذلك يحسن مشي الخيل بالجسم (قد علمت الجتم) لعل صوابه ألجتم لأنه يقال ألجمت الفرس لالجته . ثم ان تفسير القدع بالالجام لا أراه صحيحا وإرادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن: القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كففته بلجامه لتنه من حدة جريه فالشاعر يقول ردعتم عن مراكم وكفقتهم عن غيكم كما تكف الخيل بلجامها فمشي مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصر دة وأخرى تجتم تلك التي رزقت وأخرى نهزم (مصر دة لا شجر بها) الأرض التي لا شجر بها يقال لها مصراد كفتحاح لامصر دة اما المصرة هنا فمن التصريد ومعناه التقليل ومصر دة له العطاء قلله ومصر دة السقي قطعه دون الري وشراب مصر دة مقلل قال النابغة

وتسقي اذا ماشئت غير مصر دة بصباه في حاقاتها المسك كارع

وقرن الأشجار بالتصريد هنا مثل قرن الوايل بالطل في الآية الكرمة .

(ص ٢٩٤) وبالخدمة الساق الخدمة الشوى قلائص يتبعن العبنى المخدم ما

(الخدمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لافي تفسير الكلمة الاولى «الخدمة» ولا في تفسير كلمة القافية «المخدما» لان ما ذكره من صفات التحجيل وهو للخيول . وكلمة القافية جارئة على العبنى وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سهر غليظ يشد في رصف البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للفائدة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلخال كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبديل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الفواهي زات الخلاخيل صارت ترتع فيه الذياق اللائذة ففعلها المشدود الرصف بالسير .

(ص ٣٠٣) قد قاصت شفتاه من حفيظته فخيّل من شدة التعنيس مبتسما
(قلصت كدت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليل في شيء . والتقليل له معان واذا اسند الى الشفة قليل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمرت علوا وهذا ما أراده الشاعر
(ص ٣٢٣) ويوم المصدفة حين ساموا أنوشروان خطبا غير هين

(ساموا اذا قوا) سام فلانا الأمر كافه اياه وسامه خيضا أولاه اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كافي الاساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بشئ ويريده مشترها على أقل منه . فقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أنوشروان على التوسط في خطب اعتدوه له وهو يحاول التفصي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقي بكل صائبة عن قوس غضبان
(تأمرت اتفقت) تأمروا تشاوروا كما تمروا واسناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه والاتق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام
(ص ٣٤٤) أمبلوا العيس تنفخ في براها الى قمر الندامي والندي

(البرى البراب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس اذا أوضمت في السير تجمل تنفتح ونفتحها يرم على تلك الحلقات المعلقة في
أنوفها لا التراب الذي على الأرض على أنه لا معنى لإضافة التراب إلى العيس
(ص ٤١٣) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لقادر غرييب

(لارب الابل السود) اللابة الابل المجتمعة السود على أنه لا يمكن أن تراد
الابل السود هنا قط لئلا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لأن الشاعر إنما يصف
الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج أنها كانت سوداء فكيف يشبهها وهي
سود بالابل السود. وإنما اللارب هنا جمع لوبق وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة إليها وتسمى الحرة أيضا لابة
ومنه لابتا المدينة.

هذا ما أردت محادثة الشارح فيه أو مؤاخذته عليه مما سبق إلى الخاطر
الكليل لأول وهلة ويخيل لي أنه لو بالغ منتقد في انتقاده لم يثر على أكثر مما
عدده عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب علي ظني تحريفه أو تصحيحه
كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته قودا ركوبا

فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح أن القود باقاف الخيل أما
البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
قضييب من الرمحان في غير لونه وأم رشاف في غير أكرامها الخمش

فقال الشارح (الخمش المحدث) والصواب أن الكلمة في البيت مصحفة عن الخمش
بالحاء المهملة وهي جمع أحش الدقيق الساقين أي ضليلهما وقد حشمت ساقه وهو
حش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة

وسباق مخلصها حمشة كساق الجراد أو أحش

ومثله ما في ص ٣٥

كلاجل الفطريف لاح لعينه خزر وأنت عليه مثل الاجدل

فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع أن الاجدل الذي هو الصقر لا يأكل
الاطعمة الدسمة ولا ينقض عليها وإنما الكلمة خزر كخزير ولا يزاخر لاراءه هنا ذكر

الارانب وهو من طعام الابدال يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالحقير يعلو صقرا
رأى أرنبا فجذ في أثره . ونظيره أيضا ما في ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولود وأم العلم جذاء حائل

فقال الشارح (جذاء بلا ثدي) فسرهما على كونهما من الجذ بالذال المعجمة
وهو القطم وإنما هي جذاء بالذال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لميب
خافي في ثديها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما
لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (منى) جمع أمنية (جيش أرب)
متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (احرج) أجبر (الحديث مراد)
سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلاقه)
تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المهرس)
المنزل (الاصطلاء) الالتهاب (الوابل) المطر (البنات) الاصابع (لاحب) طريق
من جاة كاسدة (النكال) المصيبة (الهبات) الامور (شكائم) انتصارات (اقتضى) طلب
القرض (يختر من) يخرقن - في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
فاحشا وجريمة لا تغتفر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبايع بالكلام آخره ، ألم أحدث بها حضرة الشارح
وهي أبي عدت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرهما بمعناها غير المراد
لشاعر كتفسيره للبرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما أنفا
فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بغير المراد منه غير موضع
للاعتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا
لديوان أبي تمام وعدا مؤخذتي له على تلك الكلمات مؤخذة في غير محلها وعلى
غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين
جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا للكلام
الله تعالى - وكنت اذ ذاك حديرا بسحب الكلام وطلب انفقو والاعلام اه

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح • لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعة النصارى في عصره فدلنا أن القوم هم الذين كانوا يعتقدون في الماضي كما يعتقدون في هذا العصر وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وأنه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى الجاهلية من العرب (٢) انه أثبت في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣) ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) ان ما هم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلعا عليها أم الاطلاع وأيد بيان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يمهّد في كلامه من البسط والايضاح • وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ والايضاح للمشكلات الفاضلة في الدين وغيره مما لا يوجد في كتاب سواه ومن أعظم مواضع المبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحقق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك (أي من العلوم الكونية الطبيعية ورياضية) هم أحقق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوثل الذين كانت غاية علمهم • وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلّمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الخلق في تلك العلوم
فصار حالة المسلمين ، أحسن معرفة وبياناً لهذه العلوم من المتقدمين ،
ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الإلهية والأخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانتقل من هنا إلى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم ، ولا شك أن
المسلمين كانوا إلى عهد أكل الأمم في علوم الدين والدنيا ، فماذا عساه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا إلى درجة صاروا يحاربون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه
العلوم التي كانت حالة المسلمين أعلم بها وأحسن بياناً من علمائهم؟ هل انقلبت الحال
واستحالت طبيعة الإسلام أم المسلمون اليوم أوسع علماً وأشد اعتصاماً بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الأولى إلى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذلك
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
وبمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح

هذا وإن الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القبانى بخان الجليلي
وفي مكتبة المنار وثمن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشاً صحيحاً

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أعجب الناس أن المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما ألفت عليه حوادث الزمان من كتب سافنا في
دارنا وما جذبه من طائفة العلم والعمارة منها إلى ديار أوربا لعلموا أن القوم
ما غادروا متردّ ما فقدوا فواعل الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
بعضها الأسس لبني أو بنوا لهم ونكل فنقصنا ما كملوا وهدمنا ما بنوا وعفونا تلك
الأسس حتى جهلنا مكانها ، هذا كتاب (صبح الأعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة غني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا والكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أورد فيه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامة فوجد جزءا منه فطبعه طبعنا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة وفي الأبواب فصول. أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول. وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان. وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ور يا حها وفيه ثلاثة أبواب. ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال أنه لم يترك شيئا يشغفه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقب والنسب ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومربعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتماويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله. وجملة القول أنه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواظ بدرب الحمامين ومن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره ان نشره بغير جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيرا لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبسا من دروس الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بملاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئا فمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تكميلا بالغرض من الكتاب قال هذا بالبسملة والحمد والتوصية

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وقفنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال مصر والتوفي من شرور المدنية الغربية، تلك المدنية التي أصححت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصححت، إذ فتن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيرا ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الأولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت ان أزيد في فوائده ومسائله، وأضخم اليه شيئا من أحاسن الكلام وعقائده، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في «الحياة الزوجية»، المنشأ الذي نعرف مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاما عاليا، وهديا سماويا ساميا، في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان أقرب به

صاحب « المنار » من دروس الأستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فائحة هذه الطبعة وها كه نقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذ كره . ففرض المؤلف أن تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما تحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، و يانهم الفرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدي اليها القسم الأول من من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح بتبديد تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلى ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحقق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمه المحرر بجريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصر في القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعة فصول اثنان منهما في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة سيفي بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأيي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الإطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم وأمل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن
الأوربين انتصارا لهم وقد كنم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى
الأخلاص من بعض أحداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في
ذلك الا ويقولون الوفا من الكلام في الافتخار والتبجح بها
افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملير في قوله « ان مصر بلد
التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة
المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدهش فيصير مضحكا » فليق اذن
يمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لتلا
يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه . وما أظن ان
المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم
الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويمن علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس
الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل
وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديدنا ه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس
من أقدمهم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع
بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى
تكون بنية صحيحة قوية فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم
لا سيما اذا كان أمة » وجملته القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب
والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينبغي شي الا الأثرية الاستقلالية المالية والعلم والاقتصاد
وانه لا حياة لقوم لا هم ولا أكثرين منهم الا التمتع بالذات والاهتمام بأشخاصهم
دون أمتهم ، أولئك هم الذين اذا اعتقهم مستعبد يسرقهم مستعبد ، فليطالب
المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكسارهم بقول قائل أو كتابة
كاتب مخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري
بخطاب ولي عهد انكسارهم بالمؤيد ، فحسب انكسارهم ان تبيع لهم كل عمل ومن لا يعمل
لنفسه كان من الخماقة ان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا ينع وجوب تذكرة
لجرائد الأمة بطلب الاستقلال والاستعداد له . وثمن الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الخمايز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعت إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقرير لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم تجمع
حروفه في المطبعة لأن ورقته سقطت من أيدي مرتبي الحروف كما ظن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر مناباته أخرج من بين الكتب التي يراد تقريبها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة. وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادها العامي. وطبع الكتاب مقرون ورقة نظيف وشكله
لطيف وصفحاته ٦٢٤ ويباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد إتقاناً. وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانياً ان لا يجعل الفهرس
خاصاً بالأبواب بل عاماً للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى انه
إذا وضع للمباحث فهرساً مرتباً على حروف المعجم يكون ذلك مفيداً في فائدته
وفي إقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حذتها وأضيف
اليها مقالة كاتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي) في حكمة تحريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتاباً يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجرة البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الغريب

من القصص المروية بالروايات محيية الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المصاحرات المترجمة وأن تؤلف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما اهدي اليها من هذه القصص - أهواء الشيبية ، عشيقه الملك ، مقتل هنري الرابع ، القواد الكليم ، القاتل المتكرر ، شرف الاسم ، سر ولاسر ، والخنجراتي . فاما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولاسر وقصة الخنجراتي الملحقة بها فخيرها ترجمة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلها والاخيرة تبين لك آراء الأفرنج وتخيلاهم في الترك وعاصمتهم ، واننا ننصح لصاحب المصاحرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشور وتشرح أعمال الفجار الارذالين بحال من الاحوال

(خير الدين)

«مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجمالي مدير جريدة (الصواب) بتونس» وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعا على ورق جيد مؤلفا من ٢٠ صفحة مصدرا بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب «أقوم المسالك في أحوال الممالك» وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحث على العلم ، فنيذة في الشعر المصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فتنتي على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، ونتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عيد افندي ميخائيل فييه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتنتي لها التوفيق والنجاح

باب الحكمة في الانكاز

(مسئلة العقبة)

بيناً في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدت له لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكازها تخلف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر بأقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لأن محاربتها في مصر إذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكازها على سوريا والحجاز إذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلاطون غير راض بإنشاء ناشط من السكة إلى العقبة ولما اضطر إلى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى أن انكازها أفقدت الجنود المصرية إلى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكاز أن العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الأمر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو أن الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك إلى أخذ الحذر من الانكاز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكاز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنحها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم إذا مدوا أيديهم إليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لأنها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وأن يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكاز ما توهموه من الدولة بإيهام من جنسه فأنشأوا يهودون شيعتهم وسائر الشعوب الأوربية بأن السلطان يريد تهيج التعصب الإسلامي على المدنية الأوربية وربما وجدوا لإيهامهم شبهة في ثروة أحداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الإسلام والخلافة ضحية يستغلونها وإن أضعوا الإسلام الذي لا يعرفون منه إلا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سور يا والحجاز
لما بات أن تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن أنكلترا حذرة من تركيا
على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تتوقع هيجان
مسلمي مصر أو تورعهم إذا استحكمت حلفاء الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت
بزيادة جيش الاحتلال. فإذا كان سبب النزاع هو ما يصرون عنه بسوء التفاهم فما
أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بحدود مصر
التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي الاعتراف الصادر الأعظم الملحق
بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتعهدها أنكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء
عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فمضى أن تحسن المخرج
نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال - وهي في هذه الحال -
أن تزحف على مصر أما أنكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة الماقل الحربية في شبه
جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعدا قامتها على أبواب الحجاز
أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون
ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه أنكلترا بعد
عجز الحكومة المصرية - وأمانني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة
قلوبهم - وان تظفر أنكلترا بتركيا ظفراً مبيناً وتزعمها بالاعتراف بالحدود كما تريد
وتجمل بعد أرض سيناء مسكرا ولو مصر يا فأت كل مسلم في الدنيا يتألم
ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض
المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح
الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورووسها (مضالها وحكامها)
ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة أنكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا
بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم
يرجعون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن
الاتيان بعمل يحبي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غيره مصر والهند بل لا حرية
للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(المنار ٣: ٩) الأمير حسين بإشراف رئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٢٢٣

أبريطانيا العظمى أن تعد هذا الاعتقاد عوناً لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتتجاسى مواقف الظنة فيه فإن امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة ، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظاً ومعا هذه المقدسة آمنة أعداء الأجني عليها ، أو تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالغوغاء ، فإن يد يذهب جفاء ، وإنما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿ الأمير الخادم للفقراء ﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية) استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء محصورة في خدمة الدهماء، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما قىء أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الأمة، وإن شرفهم ذاتي لطينتهم لا شرف الملة، فهم يرفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعترف لهم في ذلك بالمرأى بالخاصة، حتى في مثل هذه البلاد التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بمجد الآباء والأجداد، وصارت المعارف والأعمال، هي الميزان لا قدار الرجال ، — حتى قام الأمير حسين كامل باشا عم عزيز مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمر في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية في اختبار هذا الأمير رئيساً لها بعد الاستاذ الإمام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رئاسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه وجاءهم فيه فناناً ، فدعوه لرئاسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين ، وأطمانت قلوب الفقراء والمساكين ، وشكرت له ذلك السنة المسلمين ، بل السنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب إلى جريدة (ترك) من قبرص أن عدداً كثيراً من مسلمي قرى الجزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين إلى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار مثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاله تعالى به وموافقته للعقل والمطردة لا يمكن ان يختار عليها غيرها ويعهدون ان دعاء النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، وينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضعة سنين، الا واحد أو اثنان ممن أضاعهم الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد ينزل هذا العجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المملين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولغتهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن ير بي في أفرادهم احساس الشرف المالي والذمرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف المجازي والزمني أو يشفوا غيظهم بدم الحكومة التي تبيع الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . وليعلموا ان أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين تجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا للارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (١٠٤: ٢) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرا اندهم ﴾

كتب الناقد بقنا الشيخ محمد نجيب التوتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه:

(وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المحال المتعددة ذكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الأهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية إسلامية في الروسية فيمد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وأنه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الأماكن المختلفة وبلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري - جريدة سياسية علمية مليّة تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طاب (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغجه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم نسوان - مخصوصة بالإناث تصدر في إدارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية باغة أذربيجان والأخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم أخطر أساميتها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) العصر الجديد - مجلة كلتاها أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) أفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالأحسن الخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يثقوا بهد الرقعة الدائمة أصلحنا الله تعالى اهـ

﴿ إصلاح التعليم والمدارس الإسلامية في روسيا ﴾

كتب اليانا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختها بواسطة محبتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب إصلاح المدارس الإسلامية وكفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفزازاتي والنحو
والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا
يدرس غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا
من هذه التكاليف واستقلوها لاعتيادهم أكل « بلش الحجة » - طمام من الأرز
خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم
جان البارودي اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وأبتوا من لا يهتم بشيء من
الاصلاح وسموا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في
ضلال بعيد ، فيا أهل الغيرة والحمية الدينية ، ماهذه البربرية في زمن المدنية ، إلا م
نكون ضحكة الاجنبيين ، وحتام نعمة في جهاتنا أجمعين ، - فاسيدي هذا حال
بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تسمى مصر قد خاضت
في هذه المسألة في العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (بانجه سراي -
روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى
محمد جان والد عاليجان المشهور) بقران الى آبائهم
حضرات آباءنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها .
وكان مقصدكم من هذا هو ان نتعلم في المدرسة العلوم النافعة ونتعلم بالاخلاق
الفاضلة ونكون رجالاً نعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .
ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه

الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .
والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من
المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عالة على الناس نتعجز بالدين
أما نحن فلا نحتمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وايس امامنا سوى التاذين والامامة . وهذان المنصبان يشول امرها شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشقاء فان الالة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي تتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئاً من الاخلاق والتربية بل تعلم فيها الاخلاق السافلة كالجن والطمع وظلم الفقراء والتعلق للاغنياء والكسل نحن لانكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الخلائق علماء السوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر وتقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمعتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس .

وأما أساتذتنا فيملون أدمعتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، ويسوموننا لحفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤوس المرة مالا تعلق له بالدين بالمرّة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقوينا ولا بالعلوم العصرية تسليحنا . عبيد أو هام جبناء ، خلوا من العقول سخفاء ، ترتد فرائض الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين . نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بآبائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لمن يجاري المتعلمون منا في مضمار تازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا إلينا شزراً ثم سثموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يذكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيراً من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جدة ولم تخطر ببالها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركناها في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول و نرفع عقبرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا لا نأسف لخروجنا من هذا المدرسة ولن ندخل غيرها لانها كلها على نسق واحد حذوا النقطة بالنقطة ونختم قولنا بحكمة توجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس ! والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام » (المنار) ومنشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتنم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فغدر واعتدى فعلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيديته ليلا فزحف عليه الى روضة منها وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقيلا وقد زحف ابن مسعود على (حابل) وتلك عاقبة البغي « وما هي من الظالمين ببيد »

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوربا المسلمين بالفلو في التعصب الديني ويقولون في هذه الأيام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بر كان التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم اقامت قيامتهم على الشيخ محمد نجيب المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرطت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجد في أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الشريرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كسب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبهم العوام بلفو الكلام لا تعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(الإسلام على آل البيت)

كتب اليناح . ح أحد المشتركين في الجبل الأسود ما يأتي

إلى حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وقفتي الله إلى الاشتراك في المنار وإن كنت قليل العلم
قصير الفهم ولكن نفعتني كثيراً ونبّهني عن كثير في هذه السنين ما أتيتم بالخطأ
الاجتمتع بعده بالصحيح إلا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيراً وأجفّر
إن أكتب إلى فضيلتكم لما أعلم أنكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو سيدنا الحسين عليه السلام »
وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن عليّ عليه السلام » وفي ص ٩٠٨
منه أيضاً « من أثر عليّ وفاطمة عليهما السلام » فأظن الفقير إن لا يقال بعد ذكر
أحد « عليه السلام » دون الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فإن قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة علياً وآله دون غيره
من الصحابة الكرام وضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
أو الجواب الشافي من غير مؤخذتي لأن كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
لا يخفى عليكم والسلام عليكم اهـ

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الأنبياء فأجازها قوم مطلقاً ومنعها
آخرون مطلقاً وقال بعضهم تجوز تباعداً لا استقلالاً . وعن قال بالجواز مطلقاً
البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
أوفى » وأجيب بأن ما ورد خاص بالله ورسوله وبالثناء ابتداء وقال ابن القيم إن
كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
على الأفراد وإن كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

وأما السلام الرسول عنه فقليل أنه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكرة إن يقال « عن عليّ عليه

السلام » وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : ففلم الفرق والله الحمد أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لساثر أثمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لا من كلامنا

﴿ قصة المولد لديع ﴾

كتب اليانا من سنغا فوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهمون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجاء بالنيب وجراءة علي الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب اليانا رأيه مويدا بحجته ونحن ننشره مدعين له ان ظاهر لنا انه الحق أو ميينين مالاينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بن خيت ﴾

بلنا ان الشيخ بن خيت يريد الرد علي المنار دفاعا وهجوما وانه استمار بعض أجزاء منه لذلك . وانه ليسرنا ذلك وتتمى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مدعين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لا نسرياجا بنا الي ما ندعو اليه العلماء في كل سنة ونندعهم اليه بالانتقاد علي ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الي الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يهبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا يرد عليها

في الحكة من يشاء ومن يؤت الحكة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر الا أول الألباب

الله
١٣١٥

في عبادي الذين يستمعون القول فينبهون آياته
أولئك الذين هم أول الألباب

قل عليه الصلاة والسلام: اني الاسلام صوي و « منار » كمنار الطريق

مصر الخميس غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ مايو (ايار) سنة ١٩٠٦

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرهما في العدد ٤٩ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هو لا وأولئك شنف المسامع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية نعيما للفوائد ويانا لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالعلوية على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسليطها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسمى بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على سائرهما واضمحلت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتقلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمقابلة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليأس فقير الموت والفناء ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليعتدوا في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويعاد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لثم حكمة الله تعالى في بقاء الأنواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والفراصة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي بطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الأطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الا هوية ومنافعها ويقفون بتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبي وعالوم النباتات ليطلع خواصها ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخبرها بعلم الامراض واسبابها وكيفيةها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان قتلهم خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ بجعله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ويمين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفني ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدما يجب ان يكون شقيقاً وحياداً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقائه السم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من العرض الثاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكثر بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعنده أيضاً خير من وجوده وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من تقابلها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب وينهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبيت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة ربات شقياسي الحال وسقط في مهواة التبع والعناء المفضيين الى الحزن والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجرأة وخلق الخفاة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه
معتدل بحيث يستعمل كلاهما ليق به من المواقف لتحقيق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت
بتغلب الخفاة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن
نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يهدده في جميع أوقاته ولو ان الجرأة تغلبت
على الخفاة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهلك لحق ولفير
حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود
على نفسه أو وطنه. وكذلك لا بد من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان
يتقوم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا
اعتمد لا ولو ان الامساك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامساك عن قضاء لوازمه
الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية واللبسة مثلا فيضر بيده ولم يوف بمحقوق
مشاركه في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق
بينهم ويتأدى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب
البذل لا نفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينقذه في
الزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين
متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر
يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة الدنيوية كانت أو أخروية ولا
يسمنا المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس
يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المفنية
للعنصر الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والفرائز الناقصة وانفعال النفس
بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقليدها بآدابهم أو باستماع إغواء ذوي
الاهواء وتحويلات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للأفكار الرديئة
المؤيدون للمقائيد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة
فالنفس علل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها
عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولو ازمه لحفظ صحة البدن كما ينبت فالحكماء العاملون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاسد الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات وعمل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ ارقى منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامة أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيا ودرجات تدنيا في جميع الأزمان وان يسبر أخلاقها بحسب الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وأنه حديث أو قديم قوي في النفوس أضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكما أنه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافلة كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمخطام الدنيا ولا باقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطيين لا أطباء، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء، والسفلة والادنياء، فأذرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الأخلاق باسم أنها فضائل ويغرس فيها جرائم الشر باسم أنها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبيعه عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجبل المركب وهو شر من الجبل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلججه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نغم الرذيلة واعتقد ذلك ظلالا فلا يمكن المدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائفا أو دنيئا ينحط الى سفاسف الامور أو عديم

لشفقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلماً للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكدرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والمشيئة لقضاء أوطارهم الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أر باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاحلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلدتهم وإلا استحقوا الرفض والطرد والإبعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقدفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الو بائي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يبعده بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الأستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة وأبتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن مينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولاً جلية غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتثت ثمارها لغير غارسها ولم تنزل في بلادنا على كليتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها باناً جميع أقواله على البراهين الثابتة والمحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم وأيت من الواجب قياماً بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللاتقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرائد لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليتذكر من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها يتفأ ظلال الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكر، ليس له شعار ولا دثار، (ولكن خفيف أشمار) يقات نباتات وثمرات تحضرها له القدرة الآتية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والروح للاستكنان في كن يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاه الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، ويقيمه متحكماً في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومتقى سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفا عاجزا جاهلا حافيا عاريا يزعجه كل حادث، وتستقره كل نبتة، ويتهب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا احوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرهم الحاجات ولم تسبقهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فأنهم لم يزالوا على سداجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاياهم ولا يحسنون جواباً، الا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومداقة عادي من الحيوانات وجميع ما يعده الانسان المتمدن كالا وانسانية فهم بهيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بخاصة المعجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، ووك كل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حتى الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها. واهتدى بآثارها والنقط درر الحكم من فعلها
وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئا فشيئا تارة يخطئ وتارة يصيب، وطورا ينجلي له
الحق وآخر عنه يغيب، مرة تفوقه المواقف القدرية والارادية عن ادراك الحقائق
والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطرارا للوقوف عليها، حتى وصل الى ما
تراه من أحواله الغريبة، وآثاره المعجبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتقلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات الصاعب،
ويخترق حجب الجبال، منقادا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يا تبارك امرؤ،
ويتبع سيره تارة يتدرج الى الكمال فيقده مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما
يرشده اليه من التفنن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم
الاهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويغل
يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة
انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة)
حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في تبيينه
بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة المعهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع
التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما عليه من
اللازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل
الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياة مثلا قائمة مقام القوة
السامكة للجلود الغليظة المفردة للأشعار والأوبار الواقية لما أحاطته من صولة البرد
والحر بل القائمة مقام ترص يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة
المدبذو الاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والأنياب والسباع والطيور
وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وهالم يقع منها مقام ضروري أرحاها في
مقام كمال على ما يتضح لك بعد

واذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وغلبها مدار بقاءه في بيئته
كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الأربعة

ما قرره الحكماء الا قدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، لينبين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات والقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالمعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثير والقبول لا تعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالأفعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يهرق قولا لقائل ايا كان حقا أو باطلا فليس له حديقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين انه وان وقع كثير من صورته وكالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجنان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكني الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان وازع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تقوية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو مهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وانحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر إلى كاية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الأنواع من لوازم كماله أو متمماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الانسان لا يحفظ بقاءه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده إنما يكون بالاجتماع والالتزام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلا عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوما بيوم بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الانساني كبدن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص - مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضوا حقيقيا وركنا ثابتا يقوم بأداء عمل يعود على كاية الافراد أولا من طريق كايتهم و يعود الى شخصيته ثانيا ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الانساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كاعضو الأشل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالا باحية الذين يعتقدون أنه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاعوا أكلوا أو شبعوا واقموا ويثبون أفكارهم بين افراد النوع ليقتدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيتركون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون فأولئك كالأمرض السارية مثل الجذام والزهرى لا بد من قطع العضو المؤف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا باحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كانت بالتهذيب حتى يستقيموا أولا يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمرض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند آخراتهم واقتطاعهم لما لهم من العذر القائم اذ حيث ان مدبر الكون قد حرّمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبفوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملمعون من أنفسهم أيضا اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخلو بها انه تخسيس منقط الدرجة ردي العاقبة وان كان شقاؤه يقلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتوיד العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذرو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عباده ودعوا ذلك تبسلا واتقطاعا عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكفف وخلمهم بجلياب التعفف فهم بمنزلة شمر الإبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العفونات ان لم يتعهد بالتطهير ويسنحب ازالتهن وتنقية الهيئة الاجتماعية من درنهم فان بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمرا يدعى اليه

وذهبوا في الداس يحولون وجوههم عن الأعمال ويقلدون أعناقهم سبع المكر والحيلة
ويسر بلونهم بسر ايل التورية والتزوير ويهرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح
الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبة وطلب الدني من
الدنيا من كل وجه والحق والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من
التليس (الفير المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الاستار
طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بشمرات اكثسابهم باسم انهم وأنهم
وانهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالاباحيين وتحسم على كل ذي شعور من بني
النوع ان يسمي لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم
ويهود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجمله حيث تبين ان لا قوام للانسان
الا بالصنعة فمن أخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فعملها
ان تطرده من أبوابها وتمحوا اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير
ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو متوسطة لفعل الطبيعة أو مزينة له
فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كصهر
التياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي
مقنة القوانين وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات ومهيئة جميع الحدود وشارحة
حدود الفضائل والرذائل وبالجمله فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية ومن هذا
القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لما
غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة
والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال
القوى الحيوانية المساعد لها على آتمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلوين وغير ذلك
ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بمجموع موضوعه وشمول غايته وان أعم
الاقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان
اتخاذ في أعماله وأفكاره وأخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وإن كانت
عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيد الحاكم الآمر

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختطفت المنية في السنة الماضية رجلاً مشهوراً في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة المرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة تتضاعف من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذا كر مثالا على ثمر عمله الفتوى التي افتاها في ماذا كان يحل للمسلمين شمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم شمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الزمة التي ينتمي اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فعروفة في الهندا كثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشيرازي أنشأ مدرسة كلية في عايكده بالهند منذ ثلاثين عاماً والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فمملهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسهام نقد النافدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

أما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فهو صوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتظمون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سبيلهم . والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وغرض اتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء يكاد يسمع لهم صوت ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام إذ لا رب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشده اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتزم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

واعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي اقيمتها مدرسة عليكده السكاية المذكورة آنفاً والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتذمر ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايةها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم الذي يرجون استبداله به . فأتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديماً أضحي ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من الأكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقى قومهم الى درجة تلاءم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنفوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وقلت: إنها فكانت هذه السعة منهم في العقل والأصالة في الرأي أعظم خطر على مشروعاتهم في بادئ الأمر لأنهم لو دعوا جموع المسلمين إلى قبول رأيهم المبني على مبادئ لا تخالف الدين الإسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسر بها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين إلى المعارضة وأقامت على الجمعية القيامة. وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لا تظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئاً فشيئاً أمام شجاعة المصاحين وثباتهم ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسار جنك تأييداً مادياً من جهة ومعنواً من أخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضماناً عظيماً. وكان أعضاء هذه الجمعية متخلفين بأخلاق تجلبهم وتزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا أعداء خصومهم إلى أشد الأتصار غيرة عليهم. وقد مضى ثلاثة عشر عاماً (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعاتها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالاً في نجاح مساعيها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه» انتهى اهـ

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسمع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلو خستان وبلاد العرب وأوغندة ومويتيوس ومستعمرة الرأس وينياني أنه لو قصدوا الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:
« هذا وأنا أوافق السر ملكوم مكاريت على ما قاله عن الضربة
الثقيلة التي أصابت الإصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد
عبده فقد أشرت إلى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا أن الذين كانوا يشاركونه في آرائه
لا يخور عزائمهم بفقدته بل يظهرون احترامهم لذكره أحسن اظهار بترقية
المقاصد التي كان يرمي إليها في حياته » اهـ

أما ما أشار إليه من كلام السر ملكوم مكاريت المستشار القضائي في تقريره
عن المحاكم فما هو بنصه

ولا يعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن
أنكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في
شهر يولييه الفائت وإن أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت
هذه النظارة بفقدته فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشريعة
الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع إليه كثيرا للتزود من صائب آرائه
والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو
الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان
لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بمخدم جزيلة لا تقدر في مجلس
شورى القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد
الجنائية وغيرها من الإصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة
ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك
وإنه ليصعب تعريف ما خسرناه بموته نظرا لسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود أحد غيره حازر للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الأسباب اخشى ان نظارة الحقانية ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقد هذه الكلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروبا من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلا عن أوساطهم ودهائهم ، فوأيما أن نبين ذلك مع شيء من الشرح والرأي

العبرة الاولى ببيان حال المسلمين

ذلك انه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتعلمون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم ونقول انه قد بلغ من تنطعهم في جهودهم على ما ألفوا أن كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيتهم المعروف وحسابه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنظما وجهودا على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أوفي التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في القل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كؤدا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفرنجون الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه والله دره ما أدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لاقية لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أمتهم ، وسنعود الى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلمهم ان كل فساد طرأ عليهم فمنعهم عن مجازاة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتطمين في جمودهم والمتهتكين في تفرنجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكمه الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالتي من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بإرشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فتن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم تمكنه من عمل يذكر في غيرها سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسألة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما بينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن المنية عاجلته قبل ذلك فقدمات قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسيها كانوا من عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين الظن بها فكانوا خيرا منهم ممن جعلهم سوء الظن والكراهة بين معاد لعلوم الانجيز النافعة وبين خائف من كل عمل نافع لله، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعوننا ما ينفعنا الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضربا على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم علما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالاربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وانما كان المتطعون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون أنه ينصر مذهب الفلاسفة أو الممثلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتأدي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولاً لقائل . فالتحصرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخترعونه للظن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في أواخر مدته . ولا ينافي هذا قول اللورد ان مريدي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون فعسى أن يوفقهم الله المضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير
ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان مطمئن فيه على المنابر واستفى بعض
علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا
المبلغ ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد
أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم
وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبارة الثانية ثناء على الامام

صفوة العبارة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم
وعلماءهم فيعتد بقوله فيهم . واما العبارة الثانية فتريد بها ما في ثنائه على الرجل وحزبه
من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد
هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجي
اسمه (غورفيل) وطبعه باللغتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه
مهم الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين
يدبرون أمورها ويدبرون دفتها وقد ترجمته أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال
العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال ، لا يصدها عن مقاصدها قيل وقال ،
واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي
يعتقده في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم
الشرعية وبمناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمساريس
الحكومة . وقد كان اللورد العظيم يصع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كإبائه في ضرر
إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمته على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه
فهل يعتبر بهذا رجالا الذين يمنهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون
في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستناد
الامام بما أثبتا به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهاننا على
أن القوم رجال جدد يجلبون من يقول الحق في السمر والجهر ويهدم بالاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه ما لم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل
الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الإيجاز في هذا المقام
هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو
ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا في مناقب العلماء
والحكام وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهم
العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية أنه رجل جليل مصلح
قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد
قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين
وتنشيطه وحشه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه
وإتي رأيت صريدي الأستاذ الامام شاكرين اللورد ما كتبه قادرين إياه
قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

العبارة الثالثة حشه الأوربيين على تنشيط هذا الحزب

أني لأعلم ان من الناس من يحب ليقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون
بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين » وبعضهم يضمه موضع الظنة لا اعتقاد
المسلمين أن الأوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا متاوانا يريدون
الخير لقرمهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أوربا كافة على تنشيط حزب مصلح
ينفع المسلمين بل لا يفهمهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا
من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الأوربي وقد سبق لنا فيه قول وتقول هنا كلمة
وجيزة فيه .

ان غرض الأوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال
الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمارة فهم
يحبون عمران البلاد التي يبنون فيها ومن ثم سموا ذلك استعمارا وعمران كل بلاد
أنما ينمو ويعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف
على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه
على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف اذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومتى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وأحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فإن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الأوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وبامتيازهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شومى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة - لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للإصلاح الذي يعرف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الجانب الذين يعيشون معهم ويزول التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالأجانب قليلا فهي تضربهم كثيرا . فالأجانب العقلاء العارفون بكنه الشرق كاللورد كرومر واضرا به من سامة الانكيز يحبون هذا النوع من الإصلاح الذي ينفع المسلمين لأنه ينفعهم هم أيضا أنهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطمانينة كما قال المنار غير مرة ولكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قائمة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يبحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر اللورد كرومر بذلك

مثل هذا الإصلاح لا يأتي من جانب المتفرجين لأنهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبسدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الخرافات التي هي مثار الفتن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الأستاذ الامام لا غرض له الا ازالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الإصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يعارض ديننا من علوم أوربا ومدينتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجُمُيات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور. وبعثد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح إلا بإتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به وبجعل مداره على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها. ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاختلال وقد سألت الأستاذ الإمام عن رأيه فيه عند ما زار طرابلس عند بضع عشرة سنة فقال أنها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وإنما الشأن فيها لدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فإذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان، وهو ما لا دليل عليه الآن، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق إبريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشغل بنا يعنينا وهو في استطاعتنا من ترقية أمثنا بالتربية والتعليم ونترك مالا طاقة لنا به ولا يأتي منه إلا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الأمة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها وديانها وضةطأوربا عليها

هنا يقول المترض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثل في إصلاح حال المسلمين، وإن منتهى الحكمة فيها مسألة الأوربيين، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه أن المسلمين إذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب، أو يكون حاديا لهذا الركب هذا الحزب، والجواب عن هذا سهل وهو أن طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في المستقبل، فإن الأمة إذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التشييط والمساعدة على رقيها في آيات ضعفها ومعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها ويمكنهم أن يربحوا منها في طور القوة والاستقلال، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكسار هم القوم الذين لا يعاندون الطبيعة وإنما يسابرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه. وإلى لا أكون وأها إذا قلت أن فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لا باحت له العمل ان لم تنشطه وتساعدده . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد سي في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيينا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بانقوم بضرنا ولا يضرهم ومن انباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها تحمل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم . فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجلان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

العبارة الرابعة رأيه في المتفريجين

يظن هؤلاء المتفريجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثير من كبراء الأوربيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفريجين وفي ذلك من العبارة مالا محل لشرحه في هذا المقام واللييب من تكفيه الإشارة وأين اللييب فيهم وقد أفسدت الخور ألبابهم ، وأضاع القمار صوابهم ، فمسرهم في حسرة على مال الذي يجمع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفتي ثروته ، ومنتهى الفخر مدحهم كتاب غريب يسائر في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وقناة أوربية تخامر في المتزهات ، و تقبيح ما عليه قومهم من الآداب والعادات ، وعرف الأمر في الفن في الآلات ، وان أذاقت الأمة ضعف الحياة وضعف المات ،

فتاوى المتبائين

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشرط على السائل ان يبين صفة ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانما ذكر الاسئلة بالتمريض غالبا ورمما قد منامتأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمما أجبنا غير مشترك مثل هذا ، ولما بقي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله
(طريقة ابراهيم الرشيدى - من أسئلة متناقروه)

(من ٢٠) من أحد المشتركين في متناقروه
نبحث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لازال منار الدين به مشيدا وهو

انه نعم في هذه الاطراف طائفة تزعم أنها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدى و يقيمون في المساجد اذ كرا بلفظ الجلالة برفع صوت جدا و يشوشون على من هناك من المصلين و يلقبون أنفسهم بمجاهدين و ينشدون خلال ذلك اشعارا من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاتها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) و يجيب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباكون بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاتهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم و بأنهم انما يزعمون في حالة الغيبة مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاعت انقاسه منه و ما خرج على ظاهره فيزعم بلفظ (الله) واذا قاموا لذكر ليلا وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم منشيا عليه ذكر كان أو أنى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقه في يديه و يقول لهم (أش) ثم يخرج أحدهم منشيا عليه فيقيق به ذلك و يقول شاهدت في غيبي أحمد بن ادر بس وشاهدت الى ما لا نطيل بذكره قبل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة الممدوحة أو هو ما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاية الامور المنع من مثل هذا
(الجلد الخامس)

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأدر كونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله ... حي حي ... أو بالضمير كقولهم هو هو ... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية مانعه بعد أن أورد ما ورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أولا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ :

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمرة فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٩١:٦ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء . فإن الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال : من جاء ؟ فتقول : زيد : وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعا وإنما يعطيه قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشرعية إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره . وقد وقع من واظب على هذا الذكر في فنون من الاتحاد وأنواع من الانحداد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع . وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : أخاف أن أموت بين النفي والإثبات : حال لا يقتدى فيها بصاحبها فإن في ذلك من القلط مالا يخفاء فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا إله إلا الله وقال «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ولو كان ما ذكره محذورا لم يلحق الميت كلمة يخاف أن يموت في اثناؤها موتا غير محمود بل كان يلحق ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمرة أحد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى اضلال الشيطان فإن من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه والقلب قديتهدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم أن قوله (٧: ٣) وما يعلم تأويله إلا الله (معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) إلا الله وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ انه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فإن قوله (قل الله) معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهذا جواب لقوله (٩: ٦) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، قل الله (أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء)) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله أنزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«وما بين ما تقدم ما ذكره سيدي وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به إلا كلام تام جامة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» إذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمن

(٦) أول الآية «وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المحاطبات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يندكر أن بعض الأعراب من يقول : أشهد أن محمداً رسول الله : بالنصب فقال ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم فأن الخبر عنه الذي به يتم الكلام ؟

« وما في القرآن من قوله (٨: ٧٣) واذكر اسم ربك وتبذل إليه تبتيلاً وقوله (١: ٥٦) سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤: ٨٧) قد أفليح من تركي ١٥ وذكرا اسم ربه فصل) وقوله (٩٦: ٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » (١) فشرع لهم أن يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الأعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وهذا معنى اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسامين « — الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصليين محظور عند جميع العلماء سواء كان بذكراً أو نكلاً أو قرأه أو علم أو غيره ذلك فإن المساجد عامة بني للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وإن كان بمشروع فكيف إذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منه لذاته وإن لم يشوش على مصل . ولا أراني محتاجاً في هذه المسألة إلى نقل لأنه لا ينازع فيها أحد ومن أراد القول فابرجع إلى الجزء الأول من المجلد السادس ومنه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في تقييد كتاب أصابة السهام (٣٤: ٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالمجاذيب هو من الأحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر إلا أنها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والمرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على الإنسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأحمد في المستدرک وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه أيضاً أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالذكروالفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالباً اذا كان من يأتيها مستعداً له وهي الخلوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعاً مجيئاً نوبة بعد نوبة ويكون طباقاً ويكون قوياً وضعيفاً وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذاً عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجب ان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنّبوا مساجدنا وفي رواية مساجدكم صبيانكم ومجانينكم» الخ رواه ابن ماجه من حديث وثالة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساكر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعقات) هذه الزعقات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يسمعه فإذا كان عابداً وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عمرة ينفله وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقاً وسمع غناء أو شعراً بليفاً يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الأغبياء الجهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق الذي يتأثر بالمعنى الدقيق، جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب الموارد وغيرهما من متصوفة أقرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الغزالي في بيان أصناف المضرين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الفرور عليهم والمفترون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زبهم وهياتهم وفي أفعالهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمفكر وفي نفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ونظهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يشككون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة وينحاسدون على النقيير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهو لا غرورهم ظاهر ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز إلى الميدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يردد هاويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى أن الملاح ليترك فلاحته والخائف يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردد هاكأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقرين ، وهو عند الله من الفجار المناققين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الإباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هولاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها (فهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول إذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . وليعلم أن الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس إنما يكون بعد الحب والحب لا يكون إلا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون إلا بالملم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الأذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها أن لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه إذا أنكر عليه لاسيما إذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدّع كذاب وقد دخلنا في هذه الأمور وجربناها وكنا نذكر الذكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعم وكنت أقولهم ولكنني علمت أن كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء أن لا يزعموا لما زعموا ومن تأيب منهم قد اعترف بما كان اعترف والله الموفق (المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الارواح) قد شرحتنا حقيقة مسألة رتبة

الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلا نعيدها وإنما نقول أن المدعين كاذبون سراون باغون للشهرة وإن دعاويهم هذه أن صحت لا تكون من الدين في شيء إذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدّع كرميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا لإشارة من الخليفة يبدىها أو كلمة يقولها وجملة القول أن ما حكيم عن هذه الفرقة مما تصان عنه المساجد فإن صدقوا في دعوى التصوف فليهم أن يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وإن أبوا كان على المستطيع أن يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبة العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالماً بسمعة اطلاعه وجودة مدرسه ونحو ذلك فقال آخر حسداً لذلك العالم وجهلاً منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . إلى أن استشهد بييت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يعمل معذب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري مهلاً فانك تعلم أن الغيبة حرام فأليت يصدق عليك فانك
تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المفتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبة العلماء أشد الغيبة ضرراً لأنها تنفي إلى تنفير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم إن في قول ذلك الطاعن في العلماء جرأة أخرى وهي أنه يحكم في أمر من علم الغيب بييت من الشر وذلك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر نحره مقروناً بتحريم الشرك بالله . وقد قيل إن معنى البيت أصلاً في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لاحتج به لا بقول من لا حجة في كلامه . روى مسلم عن حديث أبي هريرة عن فوعا « أن أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جري . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار - ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم يقال إنك عالم وقرأت القرآن يقال هو قارئ . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار - ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار . فمن هذا الحديث أخذوا ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويعذب ولكن ما يدرينا ان الاولوية بالنسبة الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أو ان افضل ليس على باب . ثم ان الحديث في العالم المراتي لاني تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان اشتهر وتلقاه المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يقتاب العالم الذي يهتم بالرياء ويخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يقتاب الشهيد والمحسن المنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم العلم فما معنى تحريم النية اذا حازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن نحكم به على عالم ولا جاهل نعم ان مؤاخذه العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مؤاخذه من يفعل الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤخذ على الذنب وعلى الجهل معا فان الجهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكها السنة كثير من العامة فتجربهم على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جبلة مرسلا « ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل » وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة « ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

هو اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴿

(س ٢٢) ع ٥٠٤ ع بسنن فوره

سيدي : في (جوهر) الاسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في ضائر الابام مهجورا لا يصلي فيه الا خدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والنراويع وجعل

(المنار ٩:٤)

(٣٨) (المجلد الثامن)

لكل من واطب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالآت وللإمام ثلاثين ريالا فأجاب
طالبه جهم غفيرا من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال أنها غير صحيحة
ولم يجوز أخذ الدراهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والخير من جملة
الذين حضروا هذه الصلاة ولم آخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة
من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فأحكم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى
حكومتك والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجمل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى
بالمرة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه للال عليها غير جائز ومن سمى ذلك
شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها فلا شيء فيها لله في الحقيقة
وانما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الآخرين معا - الثواب
والمال - فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم
يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وانما صلى في ذلك المسجد
بعد نداء الوزير بالجمل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده
الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أي ثاب على قصد الثواب
بقدره ويعاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الفزالي
بالأول محتجا بقوله تعالى ١: ٩٩ ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره) وقال العزيز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة
في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة أتى
بصحف محتمة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا
فتقول الملائكة وعزناك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لسيري ولا أقبل
الا ما ابغني به وجهي » أقول وما ابغني به غير وجهه تعالى قسان ما ابغني به
المال وما ابغني به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٧٦: ٩) انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشلول عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لا على الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولو لم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لأجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله و ينحصر السؤال في قصده إلى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذئيب الفاسق وإذهاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سندا فوره

ما يخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتخذ المنار عن نشره وقال إذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣: ٢٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرعوا أن المراد بأهل البيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وإن إرادة الله تعالى هي مشيئة المخلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم إن معاصيهم صورية لاحقية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت إلى بعض الأنبياء وبهذا قال بعض الصوفية. وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه يخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفر دون المعاصي وقال أنه يكاد يقطع بذلك. وقال بعضهم أنها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات وبعضهم أنها تشمل معهم بقية الأئمة الاثني عشر فهم المعصومون والحق الذي لا محيد عنه إلا إلى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد بأهله هو ونسأؤه وذكر ضمير الجمع المذكور تغليبا للاشرف أي أنا بأن المنايا به ثم بين تبعاله أو رعاية للفظ الأهل والعرب تستعمله ومنه (٧: ٢٧) إذ قال موسى لأهله أني آتيت نارا ساآتكم منها بقبس (وقوله ٢٨: ٢٩ قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (٧٣: ١١) قالوا أنصحبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (والخطاب لامرأة إبراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويترأى من كل ما يخالفه فإن البارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فيهن بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الأحكام الخاصة بهن لا إرادة الخلق والتكوين ابتداءً فقوله (أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) ألغى هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والفصل والتيمم من سورة المائدة (٦:٥) ما يريد الله ليجعل عنكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم تشكرون) وقوله بهذا كراهية أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمة تعالى في تلك الأحكام ، وما فيها من الفائدة الأتية إذا هم عملوا بها لا يفهم منها إرادة الخلق والتكوين ابتداءً . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الخليل عند زيارتي له ببغداد في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله إن الله تعالى نفى إرادة العسر بنا وأثبت إرادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه ومالا يريد الله يستحيل أن يقع وإنما نرى العسر قد يقع كثيراً فيذهب باليسر فأجيبته على البدهة بمثل ما تقدم آنفاً ولم أكن رأيت لأحد وإنما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا تحمل الآية سواه إلا بتحر يفهما عن موضعها علم أن ما ورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية إذ يصير معنى الآيات يا نساء النبي لا تفلن كذا ومن يفعل منكن كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يا نساء النبي أفلن كذا وكذا إن الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي إلا إذهب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي إلى اللامة تطهيراً كاملاً . وإن رواية تفضي إلى هذا مما يقطع بطلانها وإن صحح بعض المحدثين سندها بل أقول أنه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلاً عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الأحكام التي شرعت لأجل إذهب الرجس بالعمل بها وإنما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الخبر بها ابتدائياً غير معلق بشيء

أقول هذا وأنا علي فاطمي حسيني الأب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام علي أزواجه أمهات

المؤمنين بأنها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فهو بها ممتازات على بناته وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بعض الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة. وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الأول وإن كانت مخالفة لصرح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبني المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الأول وحديث الحاكم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم والله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساکر. وروى ابن جرير أن عكرمة كان ينادي في السوق أن قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ولا يحتاج إلى شيء من الروايات في فهم الآية فانه في سياقها لا يتحمل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارئ له معرفة باللفظة. وقد علمت أن الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها أن الله تعالى شرع لمن تلك الأحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً إذا هن أمثالن وأطمن الله ورسوله ولا معنى لوعيد المصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه. فإذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك أن يستحيل عليهم الفسق فإذا هم كفيرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فإن لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والاول جنون والثاني حرام

﴿الممل بالبيع والشراء وغيرها بالعمولة العرفية﴾

(س ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب يستأفوه :

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يبعث أحدهم إلى آخر بمروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم ليشتري له بها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله ثلثة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو أكثر فهل ما يأخذونه جائز لهم شرعا ؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بآراءكم والله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١:٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالاستنجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بثمنه أو بمال آخر عروضاً معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على المبيع والمشتري أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل ان هذه الاجرة مجهولة بشرط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري لغيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون أجره الطحن من الطحين . على أننا نقول ان ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وانما يمال بالمصلحة يمكن ان يختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعلى الفقهاء ليست ديننا يتعبد باتباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نساق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدارقطني والبيهقي «نهى عن عصب

الفعل وعن قنبر الطحان « وفسروا قنبر الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الأجرة بعض الممول بعد العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحد، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الأجرة مملوكة خلافاً للمالك وأحمد فأنهما حكما العرف في ذلك فما تقول في الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب أن أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلّة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الأول ففي أسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي أن حديثه منكر ووثقه منطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم إن ما فسروا به قنبر الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم أنه قنبر كان يؤخذ زائداً على الأجرة وهذا هو المتبادر وهو المعبود في بلادنا فنهى عنه لأنه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبخشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح إلا أن إبراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض ألفاظه « من استأجرته » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي أن يكون بيان الأجرة أو تسميتها بكونها جزءاً من كذا جزءاً مما يبيعه أو يشتر به أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق إليها الغبن والعش . ولا نعرف حديثاً غير هذين الحديثين يمكن أن يستدل به على تحريم أخذ كذا في المنه ما يباع أو يشتري أو يحصل أجرة أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . والوصي حكمة فيما عوقد عليه

نعم إذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجراً أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف بمجيزه له فانه لا يجوز له أخذه وإذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقاً . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « لا نأمرهم أنما يعملون مجاناً » أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الأعمال مجاناً وقد علمت ما نعتقد في الأمرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(س ٢٧) مستفيد من سنننا فوره

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليداني أرى سادات اليمن وحضر موت المنتسبين
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم
مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أهل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل
أيديهم يكون مخالفا للسنة ومرتكبا محرما أو مكروها فقد زادوا في شريعة الله
فليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب
العادية ان تقبل أيديهم فصار ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به
لا يخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة
أقول هذا وأنا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس
في الصدر الاول ونقل ذلك ولا يكفي فيها بحديث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع
شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون
به و يبقى مجهولا لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل
عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة مانعه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان
المقبل يده عالما أو صالحا أو هما معا فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره
وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف الى ذلك
ان يكون المقبل يده ظالما أو بدعيا أو ممن يريد تقبيل يده ويختاره فهو الداء العضال
الواقع بالفاعل والمفعول به . ومن أعجبه ذلك منه لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد فهو
بالله من المخالفة وترك الامثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جدا لانه عدها بدعة دينية وله الحق في التشديد

في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعا أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين
والظالمين على بدعتهم وظالمهم . وأما ما ينقل بمقتضى العادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا
ترتب عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضر موت

باب التعليم في روسيا

اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضايق ذلك الجزء عن نشرها فقرأنا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

المدارس وطلبة العلوم

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسألة اصلاح المدارس . مسألة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثير فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسألة مهمة وجديرة بأن نمنى بها لان حياة الامم وبقاها إنما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سمادتها وارتقاؤها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضعت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة أخرى وبنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا خلفتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغفر على اخلاقها بل على النوع

البشري بأسره

واذا أخطأ الطرف في مدارسنا ترى الفوضى سائدة في أركانها : لا نظام ،

(المجلد التاسع)

(٣٩)

(المادة ٩:٤)

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كامتعة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يتبدى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة
ولكن الأمة اذا تصدت لهذا الأمر بمجد واخلاص ذلته مهما كان صعبا اذا لا يوجد
في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . ومامن غاية
قاصية الاوادركتها الأمة المتحدة ومامن ملك وعرا الاوعبرته الأمة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لانهاية
له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تفتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مشكلة اصلاح المدارس مشكلة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا
واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الأمة لم يكن له أثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسيما يرجع الى الأمة
بالخسار فهو لا يزالون بتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتمون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال ومبحث وتنقيب والبحث بمجاول الحقيقة ويطعم الكثيرين على مواضع
خطأهم وينقذهم من الضلال في غمرات الضلال .

انا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والهربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجرف فيها
ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نحتذيها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآنا ، وحروفنا مطابعا وغيرها أفلاتكون ديار
التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يربي فيها رجال المستقبل وقادة الأمة
مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرسا في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذات نفوذ عظيم في الأمة أورتيسا ليت من البيوت !
ولا أرى أن وجوب انتصاف هؤلاء بالفضائل الجملة وتخليقهم بالاخلاق الفاضلة

يحتاج في اثباته الى دليل !

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعا . وليست وظائف من يكون زوجها لا امرأة
أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لأن رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها « علم التربية »
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها قضية من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية معصومة غير منقورة الى الاصلاح ، وكيف ترجى الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس ؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح و بضعة كتب من
علم الكلام ألقت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في
هذا الزمان ؟

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلامس
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطيرا بحيوانات
مخصوصة : ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح نقيض وتستفيض بهد
الآن . والقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لا نهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يز يدعن عشرين في المئة على ان مدارسهم متقدمة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فما الذي يضطربنا الى اصلاح مدارسنا ؟ قلنا لهم :
كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك باقرى وما كان
المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقرائها أو كتابة أسماء
المراديين سجل النفوس اذا كان القارى . اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الأيام وتغيرت

الازمان وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم المنافسة في الحياة، وانه تنازع البقاء، وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشي من الدين وتعلم الكتابة. اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تخرج فيها هداة الامة وقادتها. وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم وينسوقونهم الى مستقبل عظيم.

اذا بقي هدائنا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسروا خسرانا مينا.

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة. وان كان هذا الامر مما كان يعد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جليلة كالشمس في وسط السماء.

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضمون نظاما في حاجاتهم الدينية والدينية ويرفعونه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأتمرون في شؤوهم المختلفة كراأينا اليوم باعيننا؟ فلا غرو اذا رأينا بعد هذا وكلاء المسلمين يجلسون متكاتفين مع وكلاء الامم الاخرى في مجالس عالية. وبالجملة انا نضطر بعد اليوم الى ان نعيش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح. واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين.

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية كما قلنا سابقا هو ان يخرج فيها رجال يكونون ائمة للامة.

المعلمون من الروس اكثرهم يعملون اعمالا نهار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالبريه الفصحى بعد ان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني. أيها الاخوان! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهوي لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزلازل، والامواج والزوابع، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبتته البرهان والعيان.

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيرا بمسلمي روسيا لا يزلله ما نسمعه عن جهود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفوذهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتما ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى
الموضوع ونذكر ما يصل إلينا عن مؤتمرات التلاميذ الذي عقدوه في قرآن وبعض ما أراه
واجبا في إصلاح تلك المدارس

أشكر علي بن الحسين

النقريظ

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدي أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما أطلعنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقا متفرقة فرأينا كلاما معتدلا ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة
منه شيئا ضاراً بعد منفرداً به بإثباته رؤية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك .
وأما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أرفيه ما يضر القارىء مثاله قوله
«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الأول الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية - فعلم الأمر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الحياة المجتمعة وهذه الأقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدي هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طريقة عين
والعقل أيضا محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه أنا أبداً وكل علم مدّ شرعه
في الأكوام انفق رتقه بهمم الأنبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجا»
فالعامي يفهم من هذا الكلام أنه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئاً ضاراً بعقيدة القاريء أو آدابه وإنما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان الأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة ومرد أكثر من ثلاثة معطوفاً بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وإنما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علماً بالله إلا بتأويل - فإن قيل أنه طوى هذا في العلم بالأوامر أي بالفرائض والسنن - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فإنا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يعدمه الا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لا حاجة الى ان تتعلم المباحات تعلماً ولا تتوقف معرفتها على السمع فإنها هي الأصل وإنما يتعلم من الشرع القسمان الأولان - الأوامر والنواهي - فيعلم ان ماسواها مباح على الأصل فما سكنت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أتم أعلم بأمر دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الخواص والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة - وما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض - ان اريد الا بيان ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضاراً بمقائد القارئ أو آدابهم كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبنى ما ذكره في شعبة الزكاة وهو «واذا تدبر اليبس يرى أن الوجود كله يتعبد لله بالزكاة عملاً بشريعة الإسلام - هذه الأرض التي هي أقرب الأشياء اليها تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والأشجار والحيوان والبحر والسموات والأفلاك والشمس والقمر والنجوم السكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهره يتسه

وقوائد مآدبه متعاقبت بهضه مع البعض في طاعة الله فأنع الزكاة مخائف لجميع الموجودات بل والأرضين والسموات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ابناء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة فيها البلاغ اه وهو كلام ظاهره شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة وبليت المؤلف توصل الى السلطان بالزام المسلمين باداء الزكاة لعله يحجب كما يحجب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يده معرفة تفندي ايمانه به وتنمي حبه في قلبه وترغبه في التماسي به فقد قال تعالى في كتابه (٣٣:٢١) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تتأسي به في أخلاقه وشماله وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يمكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تيسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا المصراع أن ألف فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة المتقدين الأميرية . كتاب لا تبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الإشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، وللمنحصر سيرة الخلفاء الراشدين . فأصبح لجميع نظار المدارس الأهلية ان يحملوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتتني لويم نشر هذين الكتابين ويقرآن الإمامة في المدين والقري . ولو كنا عارفين بطرق النشر لأدر كنا بعض ماتمني من مثل ذلك . هذا ما نرى التنويه به نافعاً بالأجمال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . يعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

الشيخ أحمد المايجي الكتي مناظرات مع دناءة النصرانية بهمر ورد

عليهم منظومة ومشورة ومنها (السؤال المجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فنادى الشيخ أحمد الى رد الرد في كتاب منظوم منشور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع وإذا كان الجدل مكروها وضارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به أنهم لا يتشدون ، وإذا اعتدي عليهم يتصرفون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقل فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو يحرر ما ليس بحرر ، أو يحكي به فئامات ، أو يقيم به رسالدرس ، وقد أهدي اليها في هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فإذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتطاولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهبة ، وأعد له عدته ، بممارسة الفن علما وعملا على أيدي اساتذة العصر فيه كالمرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذ الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرها ثم بمراجعة أديس بك راعب الشهير فجاء مفراحا فل الرى ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديرا بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنغم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الغناء وآلات الطرب والسمع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلا خاصا فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلا للنفات ففصلا لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيهما من الرسوم والجداول ما يجلي ما اشتتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها بفصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والمربية والناي والصوتونومتر والمبرونوم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق المزف بها ثم عقد فصلا مطولا للأوزان أو الأصول بين فيه أقسام الواحدة والأوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات إلى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولاً أكثر مباحثاً أدبية كآداب المفتي والسامع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المفتي واسماء ملحن الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك يدائع الموشحات ثم تراجم اصاتدة الفن وتلاحينهم المختارة . وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على الصلوات الأفرنجية المعروفة بالنوتة وهو ما لم يسبقه إليه أحد من أهل لغتنا فإنا نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين في ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الأقبال على الكتاب ونروجه وثمن النسخة منه عشرين قرشاً وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزء المادي لمادة الكتاب ، ويبقى لصاحبه حق الجزء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من التربية والآداب ،

﴿ أبدع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الفتى سنو الحسيني البيروني صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطيع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والآخر ومزجها بمنظومات لها أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديواناً جليلاً وقد وضع في ذيل الصفحات تهريفاً وجيزاً بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهناك هذه القصيدة مما اختاره لأحد الجاهل بن قال

﴿ ومن قصيدة لمدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بلبل تلومني	فلما غلقت في اللوم قلت لها اقصدي
أعاذل ان اللوم في غير كنهه	عليّ شيء من غيرك المردود
أعاذل ان الجهل من لذة الفتى	وان المنايا للرجال بمحصد

(المنار: ٩٠) (الجلد التاسع)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفنى
أعاذل من تكتب له البار يلقيها
أعاذل قد لا قيت ما يزع الفتى
أعاذل ما يدريك أن مني
ذربي فاني أمالي ماضى
وحُمت لميقاتي الي مني
وللوارث الباقي من المال فاتركي
أعاذل من لا يصلح النفس خالياً
كفى زاجراً للمرء أيام دهره
بليت وأبليت الرجال وأصبحت
فلا أنا بدع من حوادث تعري
ففسك فاحفظها عن الفى والردى
وان كانت السماء عندك لا مرى
اذا ما أمرو لم يرج منك هواده
وعد سواه القول وأعلم بأنه
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
اذا أنت فأكبت الرجال به جلس
اذا أنت طالبت الرجال نوالهم
ستدرك من ذي الفحش حقك كله
وسائس أمر لم يسه أب له
وراجي أمور حمة لن ينالها
ووارث مجد لم ينله وما جد
فلا تقصرن عن سمي ما قد ورثته
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم
ولا تلع الامن الام ولا تلم

وأبعده منه اذا لم يسدد
كفاحاز من يكتب له الفوز يسعد
وطاقت في الحجلين مشي المقيد
الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
أما من مالي اذا خف عودي
وغودرت ان وسدت أولم أوسد
عناي فاني مصلح غير مفسد
عن الحي لا يرشد لقول المفند
تروح له بالواعظات وتقتدي
سنون طوال قد أتت قبل مولدي
رجالاً عرت من بعد يومى وأسمد
مى تغوها يغو الذي بك يقتدي
فمثلاً بها فاجر المطالب وازدد
فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
مى لا يبن في اليوم بصرك في الغد
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فقل مثل ما قالوا ولا تهزبد
فهف ولا تأني بجهد فتجهد
بملك في رفق ولما تشدد
وراثم أسباب الذي لم يعود
متشعبه عنها شرب للحد
أصاب بمجد ظارف غير متلد
وما استطعت من خير لنفسك فازدد
وذا الدم فاذمه وذا الحمد فاحمد
وبالبدل من شكوى صديقك فافتد

عسى ماثل ذو حاجة ان منعه
والخلق اذلال لمن كان باخلا
وأبدت لي الايام والدهر أنه
ولاقت لذات الفنى وأصايبى
إذا ما تكرفت الخليفة لأمري
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر
والأمر ذو اليسر وخير منة
ما كعب مجدا أو تقوم نواحا
ينحن على ميت وأعلن رنة
تورق عيني كل بالك ومسمد

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لنذكر الناسى ونعرف الجاهل بما أوفوه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لعلهم يتذكرون فيوازنون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهلينا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليرأى الفرقين
أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي ؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ملته وأمته من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو لمحتاج واحد ؟ هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من القتل
وحمايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديقة الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباطه نجل ابراهيم بك أباطه وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
بأقمارح المعلمين وما نظمه من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض
الجمعيات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب
وقد أحسن في هذا الصل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ
أشدّه ويتم تعليمه جدير بأن يبحث عنه في كل سنة الى الارتقاء عما عرف الناس

منه اوقاه يعرفه الناس ومن كانت حديقته الادب له بداية يرجى ان يكون
فيل الادب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجديدة لابن زيدون)

وصاتنا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجديدة عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحسن والتكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، واطلاع
واسع، لا يفهمها على سلامة عابريها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما تومي اليه نصيب من العلم، ومن ثم كانت الطلاب وكثير ممن يوصفون
بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بغير معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
اقترح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى العناني أحد مساعدي التفتيش بنظارة
المعارف ان يشرحها «شرحاً موجزاً يتكفل بحل المفردات، ويبين مقاصد الكتاب
من العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلا انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجابها الى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبعا على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل منها قرشا ونصف قرش

نتيجة الاملاء

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى العناني وهي على ايجازها
مفيدة جدا في هذا الفن حتى تكاد تكون محببة للضروي من قواعده وقد طبعت
في القطع الصغير ومن النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتّابها البارعين (عبد
الرزاق الفطاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإبداء
الرأي من غير محاباة للحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ما هنا مضاد فيها
قد كرم وقد اختزل العدد الأول دوننا - ولعمري! إن هذه الطريقة هي الطريقة
الحق وقها الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لاخير في سواها

بسم الله الرحمن الرحيم

(مؤتمر الأديان في اليابان)

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها بهذا آخرى في ذلك (راجع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ و ٨٠٨ و ص ٧٥٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقها وغربها حتى ان بعض أهل الفيرة وعد ببذل المال في هذه السبيل عند ما تظهر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل اليها حوالة مالية للإشاعة على ذلك ووعده بتأليف جمعية تجمع المال من المومنين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضميما غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسعى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما بعدهم لاقامة هذه الفريضة المحترمة فامتدنا بعض أهل الرأي والفيرة في ذلك بهذا كره الحاضر ومكانة الغائب فأجهمت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تمضيده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهم وتوجيه النفوس الى العمل وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بحره وتفرقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف وكان من اقتراح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والمدارسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وما سكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس كلهم به خبر المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني منذ سنين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرون فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حقا مفيدا للبشر والعمران ويقال ان أولى الامر في الأمة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الأديان ، وأعوذ بها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت «الجرائد المحلية» وهذا الخبر فشفل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم - عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفقه في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الأعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الأمة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون الإرسال أهلا لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الأديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكمته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الأديان الشهيرة الاخرى كالبودية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى العارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الأزهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الأزهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيره وغيره من يحب

ما أجدر تلك اللجنة اني جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تنازعه الأهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلهم يقتنعون ،

أما الدولة المليّة فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكاري قريب عهد بالإسلام، وان في ذلك لمبة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

رجونا ان تحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا ما رجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالذائكة بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكثرا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتنجيب الى تعيين لجنة بمحدد الحدود على اوجه المألوب وتندرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكثرا الى ما طلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كما بقه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا منا كل ما تريد في تركيا ومراكش وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) لاملو كنا يتوبون عن استبدادهم بالاسلام ولاأنتنا نتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهالتها . والمعجب الذي لا ينقضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون أنه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهون الامة بان كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

هو الشيخ علي الجري

رغب شيخ الجامع الازهر الى الامير أن يجعل الشيخ عليا الجري مدرسا واعظا في المساجد المصرية . وبين له مراتبا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي (بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر قد سمحت انكادم السنية بترتيب ستة جنيحات شهريا لحضرة الشيخ علي أبي النور الجري محسوبة على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبش العلم وارشاد المسلمين الى خقائق الدين الاسلامي واقضى تعمره اسماءكم بلبغا للاسراء قدم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجماله واعظا في جميع المساجد له ان يعلم ويعظ حيث وجد وأتاهم بين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا جوال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . وما ميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز بالذات فانك ترى العالم الازهري من أصحاب الدرجات الرسمية ان وعظ لا يحضر مجلسه الا الآحاد وترى الجري - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يعظ فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظ في كتاب يقرأ ويعرب كلماته ويبين لعمامة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى الجري يعظ بنير كتاب فيفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الازهر يقرأ درسا لعمامة في مسجد عينه فيه جمجمة مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث «العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة» فمكثت في المسجد ساعة لم يتحدث بكلامه فيها البحث في المصابيح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير لتفنن أم هي أخص منها . . . وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصابيح . فانظر ما اذا يتحارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجري لا يفعل مثل ذلك وإنما يتكلم على الناس بما يتقدأه يفيدهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم وفقنا الله وإياه إلى السداد والاختلاس آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية ينبغي ان يجاجها وثباتها وفيه أنها انفتحت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنينها منها ٤٣٤١ جنينها وكسور من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتذكر لأعضائها الفيورين منهم زادهم الله توفيقا

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني : كأفحوص القطاة وصوابه : كأدحية النعامة . وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الذهن الى الأفحوص ما ورد في الحديث من تشبيه المسجد العنبر به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث : فلا والذي يتعني السماء والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند علي بمعنى الذي



في شهر جمادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

هو في الحكمة من يشاهد من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و٥ مناراً ٤ كنار الطريق

﴿ مصر الخسيس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيحة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والا بصار محدة تحيط بما
يشغل فيها من كل امر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من اخبار الارض ما تعرفه
الشمس ان كانت ترى الاشياء كما نراها الناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة
كالمدنية الواحدة سهل على من يشاهد امرا في رجائها ان يفهم به الى من
في سائر الارحاء . فالبرق الخافق ما بين الخافقين ، يفهم الى الغربيين باخبار
المشرقيين ، ويضيء المشرقيين بأعمال الغربيين ، فطرق الهجرة مبتدعة ، ورواحل
الهجرة مدلة ، وجنى العلوم والعرفان دانه تناوله الأيدي من كل مكان ،
هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان لم يدع انفسا لشعب أو جنس من الناس ،
اذا لم يجارو يبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عمدنا من طبيعة اطفال هذا النوع ان
يقلدوا كبارهم الذين ينشئون بينهم في كل ما يروونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أعوام
معدودة ، وعمدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمر تكون لهم مزايا
مشهودة ، فالقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواحي
الطبيعية ، هما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبهما يتدفع عالم يجد ، فهما الجناحان اللذان
يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعدادوا له من الكمال
ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصغ الاذن الى ما تسمع من
أخبارهم في كل يوم ، تعلم أن جميع الشعوب والأجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية
التي أومأنا إليها ، فما ماعدا المسلمين فاتهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير
طبيعة البشر لكنهم ادونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين
ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان
تقول ان أحدا منهم ماوى شعبا من شعوب المال المجاورة لهم ؟
قد انتقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا وهو
الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركيا وعربها وكردها . - أرقى منهم في الحكومة

والمدينة، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والأجتماع ، ولك ان تستغني عن ذلك كله بأن تقول أنهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا وبالا وحقوقا في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكسارا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها .

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الأوروبية قرونا كاملا ؟ انه لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محرزون لشيء من العلوم بل لم تسم همهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق حاكما ولا يخافون فيه لائما ، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقيتها انكاد تخرج أيضا بما يمتلك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيائها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا تطيل في وصف حالهم فجرائد اليومية تقينا عن ذلك بما تنهب فيه آنا بعد الآن . فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان .

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهميين والمجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قدامسوا وراة هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسم همهم لمسايقه من هم أكثر منهم عددا كالهندوس ، ولم ينجسوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالمجوس .

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجرى أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لأنفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيبا منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمعاتهم في بومباي يشبه ميدان

(المنار ٩:٥) مسلمو الهند ووثنيوها ومجوسها. الخلو في الشيخ عبد القادر ٣٥٩

الازبكية في مصر وقد أحقق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه إذا اختطف غراب عظما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة الكفار فن الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعت يذكرك تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه ولم يخصها أن مر يداله مات فحمل أهله الشيخ على أحيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المريد فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها بإذن الله إلا بإذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح إلى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نبجراً على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أجيب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وإنما ينكر الأكترون كل دعوة إلى الإصلاح بالعلم الصحيح والهرية القويعة كما حاج أرباب المآثم في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «أخرونا الشبهة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأنهم لا يذنبون في مولد الشيخ من البقعات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لو في به في الهند حركة اسلامية جديدة يرجي خيرها ولكنها ضيقة المنه بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الأخرى في سمعهم وجدهم فإذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين إلى أسفل سافلين ؟؟

بيننا غيرة مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم ففشاره ضرورهم بدنيهم أو ابتداعهم في دينهم أو جعلهم بدنيهم أولبهم لدينهم كما يابس القرو مقلوباً . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وإن كانت ناكسة له على رأسه ، أو ناسفة له من أسامه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وإن كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سجاج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خربت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الالف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالمعادات والتقاليد المتبعة هي المحكة دون ما يعتقد البرهان، أو يعترف به لأنه منصوص في القرآن ،

لا نطيل في شرح هذه المسألة ولا ندع التمثيل لما يوافل المسلمون بأسماء ديني والديني أو الروحاني والجهاني - أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات إنما شرعت للتذكير بهذا الأصل والامداد له والحفاظ على وجهه ومن معناه أن لا يلتصق الانسان شيئاً بالامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الأسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئاً ما من غير سببه العام ، المبدول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فإن جهل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده اهله يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الأسباب الوهمية ، وما يخلوه لبعض الناس من السلطة والآية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخاص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الديني جعل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وإن أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأسي الذين تخبرهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضاً . فهذا الأساس في التسمي الديني من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الأحكام المدنية والقضائية وفروض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الأساس شراً مما فعلوا بالأساس الأول لأن نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قدرضي به جميع المسلمين في بلادهم فيها ساطة الا مالا يخلو عنه الزمان من افراد ينكرون هذه السلطة بالسنة دون أن يوافقوا جماعات تقوضها على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اکتفوا بانكار القلب الذي ساء الرسول أضعف الايمان ،

للإسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه من منفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرّة غير محدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمَن يرجو النجاة في دينه من ترك الاصل الأول فجعل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نقما ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين : وكيف يرجو النجاة في دنياه من رضى بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدّما غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣:٢١) لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الأول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أوردى بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كباد الاصنام طال الزمان على احوال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة الساطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لسلطان المسلمين في الاحكام الشرعية وما امتاز به عند بعضهم أنه اذا نظر الى امرأة

(الجزء التاسع)

(٤٦)

(الاربع ٥)

متزوجة واشتهاها فاتها محرم على زوجها وتحمل له !! وهذا كفر صريح
وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يعتقدون أن السلطان
مخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحية أخضر
أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فإذا
فقطوا الحق عمل سيف ابطال عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضعف
الايان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضعف
الايان - من يمدح المستبدين و يدهن لهم ويدافع عنهم ؟ هل يصدق بهامن
يعمل لهم و يقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟
هل يصدق بها من لم ينل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سرا ، تأليف
جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهرا ، وتقسمهم عليه بقوة الأمة قسرا ، فان الله تعالى
ما فرض القيام بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
الأمة الا تكون بأمر من المستبدين ، ميطرة عليهم باسم الدين ، فإذا فعل هؤلاء
العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسهه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الايمان»
إذا ادعى هؤلاء المعجز عن ذلك فإذا يقول العلماء الذين لا يمنهم مانع من
الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
في غير بلادهم . إذا كان علماء كل بلاد يخافون بأمر حكامهم فإذا يمنهم ان
يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
(٤٢: ٣٨) وأمرهم شورى بينهم) ؟ إذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
سلطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان
يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تفيد ولا تنفع ؟ كيف
وهم يعلمون ان بعض السلاطين بهم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الأعظم من المسلمين ؟ أذعوه فأرضوه ، أوخذوه فغلوه ،
لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الإصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يتمنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أثار الدماء طلباً للاصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يهودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعود علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم أن يجعلوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بمجمل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية وإذا تحقق ذلك - والهاياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين اذ لا يعقل أن يقضين على تركيا ويقيمن على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

إذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤسائهم الدنيا لم يتم إلا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان طول الأمد على هذا الإفساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الإسلامية لم تسم للنهوض بإكراه حكامهم على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحية واحداً بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم أن الدين يوجب طاعتهم على الإطلاق - وكان الحق المجمع عليه أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - إذا كان ما ذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر أن يبينوا الملوك المسلمين ولعالمهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بمدان يبينوا للعامة في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الأمة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

أهل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تنهافت عليه الدولة العثمانية لأن أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساوئها - على أنها لا تعرف إلا النزر اليسير - وتحلونها بالفضائل والنقائص المنتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوروبا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن إصلاح أمورها الداخلية، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الإسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك إلا خيراً والحق الذي عرفناه بعد البحث الدقيق والنظر الطويل أن ضرر هذه الخطة يرجع بجميع حسنات الجرائد وإذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فإن بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانها ولكننا نلفت الأفكار إلى البحث في مسألتين منه (إحداها خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوروبا إلى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الإيقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بواحد ونعوذ بالله من أواخره (والثانية - داخلية) وهي مناصبة الدولة للمسلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لا سيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنايات وتشد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الأموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

إذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم أن انتقاد جرائد المسلمين لإدارة الدولة ومطالبها بالإصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم إن نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياماً بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيراً ضاراً؟ ما أظن أن الجاهل النفي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقاً فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام إذا كان الدين عندكم لكل شيء فلن تقيموه حتى تهملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام): الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولا أمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فأبلى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير
ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء أن يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم أن
يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها
فأنا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل انقاذ هذه
الامة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بإرشادهم والسلام على من أجاب
داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بن خيت عن رسالتي والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بن خيت رسالة سماها (إزاحة الهم والاشتباه ، عن رسالتي
الفوتوغراف والسو كورتاه) أورد فيها ما اتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار
ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من
المكابرة والتناقض والتهاوت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط
الناس لا اعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال أنه قد دافع
عن نفسه وفند كلام المعارض عليه ولما أوغلنا في القراءة ترجح عندنا أنه هو نفسه
لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه
مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوباً اليها
وانتابين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئ

﴿ أدب الشيخ بن خيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رسالتي « وانما قلنا عبارة المعارض بطولها
ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها بروداً من
لسيخ خيوطها » اه نصه البليغ !!

أقول انني أعترف بأن في عبارة قد المنار لرسالتي يوسنة وأشرت الى السبب العام
لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وأنا متألم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين
كافراً واستدلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلصت له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذر ولم أجد في قوله ولا حاله منفذا لتور الاخلاص فكتبت « تحت عامل التأثير » كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة اللهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من التبرز باللقاب ' ومجاوزة حدود الأدب ' والتشديق بالتعظيم والاعجاب ' واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد أن ذكر أن مستقيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة « وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صبغة الحقد (١) والحسد (٢) وملؤه نقات النفثات (كنا) في القصد (٣) نستعبد منه رب الفلق (٤) كما نستعبد رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نحاري هذا المعارض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بندي القوة والحول ' ونفوض أمرنا إليه ' وتوكل في جميع شؤوننا عليه ' فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ' ويمنعهما أو يسلبهما ممن يشاء (٦) ويتولى يفيض العلم والعلماء (٧) فيخلق ما شاء أن يخلق عليهم (٨) وينسب كذا ما شاء أن ينسب اليهم (٩) وأن لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ' أن أجيب عما جاء في الخطاب ' وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بنصه التزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الأسطر من السب والشتم والتبرز واللمز والعجب والتعظيم وأنه ليس فيها وراء الشتائم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ' والترفع عن مجازاة المعارض عليه بالسباب « هذا وما فكيف لو »

ووصف المعارض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص ٢٦) إنه عاب الكلام لأنه لم يفهمه وتمثل بيوت (وكم من عائب) الفخ وقص منه لفظ (صحيحا) و(السقيم) نزاهة وقتنا في البديع ولا يتزهد عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٢٩) : جرت عادة المعارض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الغيظ حسدا على أن يمتنعوا علينا الأباطيل ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الخاسدين على جناحه ' ولا يجري ذكره على لسانه ' قال : ولكن الحمد يعني ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعارض أن الأعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعارض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا تقول بقول هذا المعارض الخالف لكتاب الله: فانظر الى أدب هذا الأستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمنين والكافر والمنافق واستتبط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية وباليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب له يعلم ان المعارض عليه لم يقل الا بما به قال النغويون والمفسرون اجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بان المسألة خلافية بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعارض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جبراً على الأحاديث لافرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعارض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعارض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراه انعامه ليسا مظنة (الخلافه) الخ فهو قول من لم يؤثقه الله فهما ' ولم يذق للكلام طعماً ' : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من النزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتقاد المعارض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لاثمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد
وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما ما قاله المعارض من سوء الأدب في العبارة فانا نسامحه فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الأمانة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند رده ما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فيا ليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والنزاهة والادب هزت الأستاذ الفاضل للعفو والسماح عن المعارض ماذا كان يقول فيه ' ولو لم يلذبا لتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



﴿الاختلاف في عدآي القرآن﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهندي ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته
سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعبرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو
باحاطي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وأنه عند مراجعة
مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا
وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك
في (راكواز) (*) فأنهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها
أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا
ومراكش وبلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا
الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف
ان لا يتفق المسلمون في الآيات والصور لكتاب صغير الحجم

واني لا آسف على اني لا أنحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي
أعلى توضيح أفكارى باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني
رجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا
بالصحة والعافية

صديقك المخلص

م . كريم بكاش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكماليات والتجسينيات
من كل شيء تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فبينا كان اخونا الهندي يفكر في
مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها
رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجي
رسالة الاقتراح من الهند فرأينا ان ننشرها بمرمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

حاشية البرهان القوي

في

﴿ الحاجة الى عد أي القرآن الكريم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فإن لنا معشر المسلمين كتابا كريما
ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أر باب الماني وذلك
الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصاييح الهدى علماء
الأمة الإسلامية في كل عصر ان تلبس بخدته تاج الشرف فأمضوا في ذلك
اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهقات أقلامهم حتى أشرفت على
اللام ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز
الثمينة تذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراءاته
وعده آياته وحصر ما وعمل المسححات المتنوعة للاقتداء به . ثم تلاهم في الوجود
ذلك الخلف فبرهن بجملته على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتاج مسالك
الآباء وتغذية النفوس بما تغذت به أرواحهم فقللت قيمة ما ورثوه في انظارهم ومقتروا
الذاكرة في شأنه مقتا إلا بقية لا تزيد على عدد الاصابع في هذا الجمع الخافل أودت
أن أمبت يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زمينهم بعمل خدمة للقرآن
الكريم وهي (دليل للاقتداء به) فأعددت للعمل عدتي وشرت عن ماعد

الجهد فسرنا بالعمل شوطاً بعيداً قاربنا به الوصول إلى ما أرتضيه من الفأية ثم
وقفت مفكراً في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدد آيات السور في جميع
المصاحف والتفسيرات التي تبادلها الأيدي عددًا خالياً من المبالغة والخلاف ولا جيل
تنبيه فكرة أخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي
مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها إلى ما شاء الله أن أصل من الثقة بالنتيجة وعلى
أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الإخلاص إلى وضع هذه الأسطر اليسيرة أبدى
بها لأصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والمقد وأرباب الأقلام
نموذجاً من عمل في تحقيق عدد الآيات وبيان ما هو الأولى بالاختيار لتعميم المد
بموجبه مؤملاً من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده
وتنقيحه بما تحسن الحاجة إليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالإشارة إلى وجوب عدد
آيات المصاحف والتفسير بالمد الذي يقر عليه الرأي ويشار إليه بالاختيار طلباً
لتوحيده ومنعاً من تعدد المدود رغبة في أفراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب
الله الكريم في مشارق الأرض ومفار بها والله الهادي إلى سواء السبيل

١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الأولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والأخيرة
سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار
معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة
عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية رأس الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة
٢- كانت الحفظة من الصحابة تجيد مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد
آيات كل سورة من سورته وعدد كل آية من سورته وبذلك كان إذا قرأ
القارئ منهم بعضاً من سورة قدر ما قرأه بما فيه من الآيات . وكان إذا أراد
أحد أن يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي
ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا إلى أول تلك الآيات
بعدد الخاص بها وإلى الأخيرة منها كذلك ومما يشهد لهم بهذا أولاً ما جاء في
الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الأشعرين) وهو حديث عن علقمة قال فيه
 (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء
 الشبان أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال
 أجل قال اقرأ يا علقمة فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أناس علقمة
 وليس باقرئنا أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت
 خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن... الخ)
 والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات وثانياً ما جاء
 في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب
 السابع والحسين من أبوابه (باب ربنا إنا سمعنا منادي ينادي للإيمان... الخ)
 وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خاله
 ميمونة وقد كرهه الإمام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا
 الموضع زيادة قوله (ثم قرأ المشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى
 شن... الخ) وفيه الإشارة إلى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين
 السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الأخيرة . ومن قبيله ما ينقله
 المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت
 أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد بجران... الخ) وكذلك ما ذكره صاحب
 لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن
 بن عوف أخبرني عن قصةكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة
 آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك»... الخ).

**

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما أسمعناك
 به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ
 المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك
 الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين بتب
 معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورته وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم
جُمع ما قبل عن ذلك في كل مصر وإذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في
مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين أن
اثنين من تلك الأقوال الستة نقلا عن أهل المدينة عن الإمامين الجليلين أبي
جعفر يزيد بن القمقاع وشيبة بن نصاح و يعرف أولهما بالمدني الأول وجملة
الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الإمامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني
بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله
ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالميكي وفيه
روايتان أحدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير
أبي بلا تبيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام
عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان ويعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦
وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي
كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن
أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ويعرف بالبصري وجملة الآيات
فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائليه في ستة مواضع
المدني الأخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
الميكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يبين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجحة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالإشارة إلى آياته بمددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم ٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع إلى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فهدت آيات السور أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويصرف بالمصحف الميمني والثاني عده باورويا مستشرق ألماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة وكلمة وأشار إلى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآتي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآننا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتتقيب عن المعارف المرئية ما لم يحصل عليه أكثر المتعلمين من أبناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عدد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصحف الميمني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الألماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحدهما المحدثين المذكورين واحدا من الأعداد المنقولة عن السلف ولا جل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتتبع أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت أغلاطا في كل منهما فأحصيتها مشيرا بالصواب أمام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله

المعين واليك بيان النتائج التي وصلت إليها

١- جاء اختلاف عدد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عده من الفواصل ما لم يمتد لها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء
الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
٣	٤	٥	١٨	٤٣	٨
١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٦٣١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به القول عن المدني
الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود
اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأما في المكي
فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهمل الراوي نسبة الاضطراب في
المواضع المضطربة الى احدي الرايتين . (انظر الى قول الثالث من رقم ٣-
٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم ٧- بعمل تفصيلي مثله لكل سورة
من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل
و بعض التفاسير ولأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن سورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان
باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها
الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها
« (الم) عده الكوفي (الإنجيل) الأولى عده ما عدا الشامي ١٠٠ الخ » ثم سردت
الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا وإذا بها
في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عمدا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول - أ -

نمرة مسلسله	اسماء المواضع الخلافية	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	آلهم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الأولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما تحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت منها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات المذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول - ب -

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ما عد من مواضع الخلاف في كل قول					
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول يضم المحدث فيه من الفواصل الخلافية إلى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط لتتمة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عدّه (فلوجل)
فكانت النتيجة مأساً ذكره والله العليم

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١
وبالتأمل في المصحف العثماني وجدناه أهل منها سبعة وواقعهم في عد ٦٠٩٤ فاصله
ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦) ١٤٥ موضعاً
وانفرد به خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة
مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عدّه (فلوجل) وجدناه أهل من الفواصل المتفق
عليها ٨٩ موضعاً وواقعهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعاً ورأينا عد من الفواصل
الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعاً لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف
و بذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨
واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المدحف العثماني	المصحف عد فلوجل
عدد	عدد
٦١٠١	٦١٠١
٧	٨٩
٦٠٩٤	٦٠١٢
١٤٥	١٠٨
٥	١١٨
٦٢٤٤	٦٢٣٨

والنتائج المذكورة إنما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة بما فيها خلاف
على النسق الآتي وليكن التبيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب - ٣ - سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

المصحف العثماني	المصحف عند فلوجل
عدد	عدد
١٩٧	١٩٧
١	١٣
١٩٦	١٨٥
٣	١
١	١٤
٢٠٠	٢٠٠

تفصيل لهذا الأجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنون) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ماعده من مواضع الخلاف فثلاث هي آلم الفرقان - الانجيل - الثانية - وأخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد بعده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للإيمان)

وأما المصحف الذي عده فلوجل فالمواضع الاثني عشر التي أهلها من الفواصل المتفق عليها هي السماء - المصير - رحيم - العالمين - العليم - الدعاء - وأطيعون - الحكيم - الكافرين - الكافرين (الثانية) - المؤمنين - البلاد - وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ماعده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان - آخر آية ٣ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من انفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب ومن اتبعني - المحراب - قائما - سبيلا - اخوانا - ما يحبون - للإيمان - الطيب - شر لهم - النار - فأما من بعض - الأنهار - قليلا

فانظر أعانتني الله وإياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك
الفرص ونبهني على ما تنبيهه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخرى

١٠ - رأيتني أيتها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ . ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم - ٣ -) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزیز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالبني بما أجيب به اذا سئلت
عن تعيين ذلك المد وتحديدده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن
رأبي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عدد من عدود السلف الستة للعرض الذي تشكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي روى الوحي بها على
غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقتنين منهم في غيرها من البقاع
الثاني - ترجيح ما لم تضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شا كل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قللت فيه المعدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عدة في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعدة مما لم يجيء
عدة الا في قول واحد

الرابع - ترجيح المد الذي يجزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بين
الخامس - ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلاف على غيره لان الخلاف في موضع

موجب للشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادي ذلك القول في عدد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعده والاخر لا يقول به (الخلف يقع من العادين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و يعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدني الأخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تدبته من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أوجب به ذلك أيها القاري الكريم الشأن فيما تدبته في الأولوية والارجحية لاني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم البقعة التي نقل القول عن أهلها	عدد المواضع المضطربة	معدوداته الفردية	جنس الرواية	مواضع الخلف	اعداد سلسلة	اسم القول
المدينة المنورة	١	٣	١ مجزوم بها	٦	١	المدني الاول
»	٠٠	٤	١ » »	٠٠	٢	» الأخير
مكة المكرمة	٤	٥	٢ المجزوم بواحدة منهما	لم تعدد	٣	المكي
بلاد الشام	١	١٨	٢ مجزوم بكليتهما	١	٤	الشامي
الكوكة	٠٠	٤٣	١ مجزوم بها	٠٠	٥	الكوفي
البصرة	٠٠	٠٨	٢ مجزوم بكليتهما	١	٦	البصري

ولست تجد في هذا الجدول عدا أجري في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الفردية عن غيره مع التثبت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم

— ١١ — هو بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام

(ومن ألف في ذلك)

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وإن كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الأسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن) * (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) * (٢) و (مفتاح كنوز القرآن) * (٣) و (مرآة القرآن) * (٤) و (تحليل القرآن) * (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها وبيان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الحيران — هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علت أو انزلها ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها محدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان — يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنيكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنيكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنيكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بالمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة نرسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي شريفاني وهو خط بالكتبخانة الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانسا

غير معدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطالبة دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل متنوع إمام من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإدخال مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل يذكروا مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكروا الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماماً ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلاً ٦٢ - بقره - الله لا اله الا هو (الحى) القيوم) معناه ان كلمة (الحى) التي يسبقها (الله لا اله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير معدودة بالعشرات ولا غيرها صار من العسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تبيينه - اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعدد موحد بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف . لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا . الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعدد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الاف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره . وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان قصور تعميم الانتفاع به للكشف واضحاً

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلاً آيات المبرات مجموعة تحت عنوان المبرات والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ويكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثير المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فمنعته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عند (فلوجل)
الطبع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الثناء على واضعه الاجنبي
عن العربية وأهلها

تنبيه — مزاراً يناء في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب
(حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من
الفرق الاسلامية على مذهبه. وبما أن أغلب المستعربين من المسلمين لا يحفظون
القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يبين على الكشف
في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها
والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني وإلى معجم لغوي ينقسم إلى قسمين يذكر في
الأول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة
بحسب أوائلها. وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضمت لهذه الأغراض قبل
زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما يبناء فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه
آنفا أن أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عدد موحد تعد به الآيات في المصاحف
والتفاسير التي تتبادلها الأيدي أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميمها

الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال

ذكرناها برقم — ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهنيتي دليلي لتبليغه ودعائي الى عرض هذا الفكر على
السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والأفكار الثاقبة ليروا فيه رأيهم
وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضع بالمطالعة من القراء
الكرام و بشاركني في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرّح
فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له
و يشير بما يترأى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكتابه وحروفه وكتبوا في ذلك
صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات، وفي
الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بعددها وقد أشار الى ذلك أحمد
أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاتقان أن سبب
اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤس
الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة
والخلاف مع هذا قليل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمادنا
وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا العصر لسهولة المراجعة
ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي
عند إرادتها وانني لأراجع الآي بفتح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو
أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب
في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب
للصواب هو استعداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تتقن الامور
الضرورية والحاجية . ولذلك رأيناه أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية
والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عدد الآي وضبطها وعد احاديث البخاري
وعمل جدول لأبوابه ولا غرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي
بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال موفياً

﴿ المدرسة المحمدية بقزان (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقزان
الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى
سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتني بعد مفارقتكم مع ضرور سبع سنين من
تشرقي بمجالسكم لعذر يطول يباهه والعذر عند كرام الناس مقبول
أما بعد فيا سيدي : اننا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قرآن مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبها من غير إخراج انتصاراً على من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، ونجمة الكتاب المقترح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كذبهم وافتراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والاعدادية -- والعالية . ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الاعدادية أربع أيضاً ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضاً

فاللغز في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقاً على قواعد اللسان -- وصحيح الاملاء -- وحسن الخط -- وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد -- والضروريات الدينية من الاعتقادات والعبادات والمعاملات والاخلاق -- وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمارين القراءة البركية الثمانية ، ومن الحساب تمارين القواعد (الأربع) بعلمياتها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقراءتها وقواعد مدحها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضاً . وتمارين الخط . ومخطيط الاشكال الهندسية لتعليم

الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ، ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبدع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظرية والعملية (الطريقة

المحمدية) ، والأدبيات العربية والمثانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي،
والتفسير (للجلالين) والحديث (للإمام البخاري)، والهداية (في الفقه الحنفية)،
ومن الطبيعيات الكيمياء. ومسائل الحساب كالركور الأربعة المتناسبة والفائض وغيرها
ويلتزم في القسم العالي: التفسير - والحديث - وقته أبي حنيفة - والأدبيات العربية.
والمقائيد المدونة مطابقة لحالة الأمانة الحاضرة (كذا)، والتاريخ مع النقيض، والجغرافيا
مع تاريخها، والطبيعيات، والبيداجوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)
هذا. وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء
هذا البر وجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق. أعني
هل يصح بعد هذا قولهم: إن مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات
اليونان والفتازاني. وقولهم: ولا يدرس فيها غير ما ذكره لا من التفسير ولا من
الحديث وغيره. وقولهم فأخرج من مدرسة عالمان مثان وعلمون طالبا من ذوي
النهي وأبقوا (أوتقي) من لا يهتم بشيء من الإصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا
من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الأولى للصنف
الإعدادي، وهل يمكن لهم أن يكونوا من أهل النهي دون الباقيين مع أن طريق
التعليم فيها وخيم (كما قالوا). وهل يصح أيضا قولهم: والعلوم التي تحصلها في
مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا. وقولهم: ولا يعلموننا فيها من الأخلاق
والتربية. وقولهم: نحن لا نكون بما تعلمنا فيها إلا مصيبة للعوام وعلاء السوء. وقولهم:
أما اساتذتنا فيملون أدمغتنا بالخسرافات والأسرائليات، ويشوشون عقائدنا
باليونانيات والفتازانيات، ويسومونا حفظ الخواشي والتعليقات. وقولهم وقولهم.
فخرجوا من جذابكم أن تنشروا هذا البر وجرام في المنار وإن لا ندنسوا وجه
المنار بمثل هذه الأقوال السافلة والمخلفات الباطلة.

ثم يسألنا قراء المنار، فما سبب انتصار هؤلاء الرعاع على الباطل؟
والجواب: إن ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وإن لم يقرؤوا
بالسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقى والتقدم الحقيقي (كما
يفظه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتدين على أهل المدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان
 تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق
 المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا)
 إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء ونشئت المدارس الحاضرة أيدي
 سبائهم جميعها على الأساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا
 الإلقاء والنشئت واسطة كل ما يفسر لهم من الأقوال والأفعال . منها اغواء
 الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لأن جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من
 جهة المدرسين ولا من جهة الإدارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة
 الحال ولا من جهة المال . وليدرس في المدارس الدينية الفنون المصرية واللغة
 الروسية وما يتعلق بها أصلاً والمعلوم الدينية تبعاً وليحول المدارس الدينية مدارس
 دنيوية وهكذا . لأنهم لا يحسون الاحتياج إلى المدارس الدينية كما كثر أهل
 فرانسا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تدرس وتفي بنفسها بعد
 ما تناسى المدارس الدنيوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الأمر ولو بسنة .

ونحن نقول : لا تمسوا مدارسنا الحاضرة ولنصلحها بالتدريج ، لئلا يكون
 حالنا كحال جنين ، وابنوا أنتم وأسدوا المدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها
 من متوسطها وعاليها وليدرس المدارس بعدها بنفسها (على ما نزعون) ، ونحن
 لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس وإلى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية ،
 بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس إليها ومع ذلك نحس
 الاحتياج إلى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل
 اللغة الروسية إلى المدارس الدينية أيضاً بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساساً
 لما ينعمل فيها ولكن هذا يقتضي شيئاً من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصديق
 انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في
 الممالك الغربية والأميريكية مع ارتفاع المعارف فيها غاية

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنف
 الماليه فانتبه المتبحرون منهم ولم يساعدهم بعده في حركاتهم فتفرقوا فقتل

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فمجزوا .
ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك إصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون
للعلم الدينية كما نهم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس مانسبها علوما دينية
بل غيرها وهكذا . اهتصه وفيه غلط قليل أشرا إلى بعضه ولم له لم يراجع

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والتربية مهمنا جدا ، لا فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدري بتلك الحال . وما ذكره من ريب التعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما نسب إلينا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد
وحاجة إلى الإصلاح وباليته يتفضل فيرسل إلينا نسخة من البروجرام لنبدي رأينا
في ذلك على بصيرة نامة وقد اطلعنا على ما كتب رضا الدين أفندي الشهير في
إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذه الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
بابا جديدا من التروي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعاملون لغة الأمهات ويظهر لنا أن اللغة التبرية
ويعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبث ثقيل فإمل صدقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الأمهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا أنهم يقرأون ماملات الفقه في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكر مصطلح الحديث . وذكر من المطلق الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الإسلامية فأبصافه ببعض المبشرين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، وبهنا ان تعرف مشار هذه الأفكار ،
وكيف السبل إلى تلافيا ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود إلى البحث في ذلك

فتاوى المفتين

فتاى هذا الباب لا جابة أسئلة المشترين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظائفه) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً قد صامتاً خيراً السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه ورماً جيناً غير مشترك لئلا هذا . ولما يفتي على سؤاله شهر ان اولالة ان يذكركه مرة واحدة فان لم يذكركه كان لنا عذر صحيح لا نقاله

هو اشتراط القبول في الوقف عتبا لا يجاب وعدم جواز بيعه

(س ٢٦) أرسل الينا أحد العلما في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم
وقعت عندنا مسألة يظهر افضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه الى حضرته راجين من فضلكم ان تبينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يديكم ويتولاكم
رجل وقف وقفاً مؤبداً على اولاده وهم ابناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بآه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها ان يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لولده فلان ثم لا كبر اولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن فمده فيه الرشيد فالنظر لمن شرط له بعده فان لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجوداً مثلاً) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف كل شهر قدراً معيناً في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها ان يصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدراً
معلوماً لا يحتاج اليه صرفه لصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين لانه كمثل حظ الانثيين . ومنها انه اذا
ماتت أخت الواقف أو زوجته فسيهم كل منهما يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الوقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائماً وأبداً في ابناء أولاده ما تناسلوا لئلا كرم مثل حظ الاثني وليس لأولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكر مثل حظ الاثني . ومنها أنه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفي فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنذر يسير ومقدار معين قليل لا يزداد عليه . ومنها أنه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولداً صلياً فإنه ينتقل سهمه الى اخوته لئلا كرم مثل حظ الاثني فإن لم تكن له اخوة فالى أقرب عصائه وهلم جرا حتى اذا انقرضوا عن آخرهم نصرف الغلة في جهة البر وقد بينها وحيث يكون النظر لناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضاً شروطاً أخرى منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها أنه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فإنه يسلم الكرى كل شهر قدر ما ييسر من عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فإن لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان للناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها أنه ليس لأحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطاً واحداً هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء مما يوجب من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانياً فللناظر أن يقترض لأجل البناء فإن لم يقترض بضمانه فليبيع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عرضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الوقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضاءهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المتهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم المميين فإن كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعل في هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يبيده وقفاً واكرهنا على الامضاء
 ما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف بشروط الوقف
 وجعل يسلم سهم الوقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على
 ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت المعتد للكنى وجعل يقطع من
 سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهمهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها
 توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف
 فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين لذلك مثل حظ الاثنين وجعل
 سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده لأن
 المذكور فجعل يحذو حذو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الوقوف عليهم
 المذكور فسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقاً ليكون الوقف
 قد بطل بردهم كما علم فإني هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم
 في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الوقوف عليهم كماهم وليس لاحد
 في عين الوقوف حق ما

فأقام بعض الوقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندنا كم البلد
 الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقاً بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر
 وباقي الوقوف عليهم كذلك تبموا الاول في الدعوى على الناظر المذكور
 ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفماً للدعوى عليه (حسب ما يقتضيه
 قانون المحكة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه
 فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى
 عليه ويحلف أن ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الوقوف عليهم قد ابطالوا
 حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم
 هذه هي الحالة والمشول من فضيلتكم ان تبيينوا حكم المسئلة على مذهب

الامام الشافعي

أولاً - هل يلزم هذا الوقف الوقوف عليهم الممينين الذين ردوه عند ما علموا

به من غير تراخ

ثانياً - هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان تلتفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود

ثالثاً - هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم رابعاً - ان قلم بطلان الوقف بالرد فهل يطل كله أو بعضه فان قلم بالثاني فاذا بقي وقفاً

خامساً - ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك للموقوف عليهم نظراً الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم انفعلة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلي هذا فامعنى بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً - هل يأنم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على الميعنين فيحكم ببطلان هذا الوقف بأسره وبجملة من تركه الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا يأنم عليهم لان النظر الموجود أبي ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولا نه لم يقيم الدعوى من أقالها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعلة في ملكه قهراً بغير الإرث بعيد كما هو ظاهر وذا كره الرهلي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج أفقونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاصدة وهو تفويض بيع الموقوف الى الزناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه لشمس الرهلي مانصه: (ولو وقف شيئاً بشرط الخيار) له في الرجوع عنه أو في بيعه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل) الوقف (على المصباح) ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيعه بحال - واذا كان الوقف باطلاً من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرهلي في شرحه باشتراط القبول عند الإيجاب أو بلوغ الخبر

أي فإن تأخر بطل في حقه

وأما جواب الثاني فالظاهر أنه يصح مع ائنة إذا لم يترتب عليه التراخي كأن
يبرئ عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فوراً أنه قبله وأما الامضاء على
أوراق تقسيم الملة فهو ليس من القبول على الفور وإن استأزم الرضا بالوقف مع القرينة
وأما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فإن رد الأصل
بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعدله» وقال ابن حجر في شرحه للمحتاج (التحفة) أنه لا تأثير
لرد بعد القبول كهذه، فلو رجع الراد وقبل لم يستحق شيئاً ولكنه قيد بحكم الحاكم على
وجهه وكتبه ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم
يعدله وقول الروياني يعود له أن رجع قبل حكم الحاكم به أميره مردود كما بينه الأذرع اهـ
وأما جواب الرابع فهو أنه إذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة
دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبرايمسي على النهاية «فلو وقف على
جمع قبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملاً بتفريق الصفة»
أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على أن الأصل فيه أن يكون في البيع
أو ما هو بمناه كالصالح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه. ويترتب على تفريق
الصفة هنا أن يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون مظه من تركة المورث أكثر.
فإذا قيل بطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للأذهب والمعدل معا
وأما جواب الخامس فهو أن ما بدل وقفه يكون ملكاً للواقف بل هو لم يخرج
عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

وأما الجواب عن السادس فهو أن أقام الدعوى لا بطل الوقف لا اعتقاده أنه باطل
في نفسه لا شبهة على الشرط الفاسد فلا يتم عليه لأنه توسل بذلك إلى إعطاء كل ذي
حق حقه. كذلك إذا اعتقد بطلانه رد البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة
فالأصل في المذهب أن صحة الوقف تتوقف على الإيجاب والقبول على الفور وإن رد جمع
الموقوف عليهم بطله لأنه يكون منقطع الأول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم
والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المحتاج أنه لا يظهر أي من قولي الشافعي ولكن
قال الرمي في شرحه «ومقابل الأظهر البطلان في الجميع تنظيراً للحرام على الحلال قال
(المجدد الطي)

الربيع واليه رحم الشافعي آخره» ثم رد الرائي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لافي الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في فريق الصفة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك لثورة وبعضها وقف على من قبل في لاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتبطلها كلها ملكا فظهر وترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال إن لصاحب الملك ان يطلب ملكه وإن أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما يؤل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود له وإنما يجيء بالتبع وهو الأقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر الدائمة لأجل منفته العاجلة وهو الأورع . والمسالمة دينية يستفي فيها القلب والله أعلم

التعريض من باب الآثار الطبية الأدبية

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقلل الأرواء للبشر حتى قال أهل الإحصاء انه يقتل في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو باجتماع الأطباء ينتقل بالعدوى ولا آمنون لمدواه وفنكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك معادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبعه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأنواعه وكيفيات معالجته بالهواء والرياضة والمتنقيير والأدوية وختمه بالكلام في زواج المسلوبين . وعندي انه ينبغي لكل قارئ وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارئ وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بالفجاة ومن مكتبة المنار ومئة ١٠ قرش وأجرة البريد ١ ملجا (اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة المؤلفة وهي قصة تاريخية معاصرة تمثل قناري كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فإن في القصة من غرائب القسوة في الظلم من

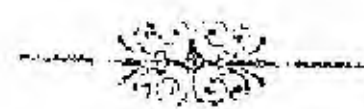
الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولاكن لا يعتبره الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مقاومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتشكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما نراه مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، وثمنها خمسة قروش صعيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى من الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد ابدلوا جهدهم في وقايتها لانها ركن من أركان الصحة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهتم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه يمكن وقايتها فهل للقارئ من منهم ان يقرأ كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقلي ويعملوا بنصيحته

(نيل المراد) في تشطير الهزلية والبردة وبانت سعاد هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكنا ظميا في المدح وبيان السيرة النبوية والشمال القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعا مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة نجمة الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة الميمنية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي كل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حنين وكتب عليها «ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمثقفين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥٠ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الأول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد المصرية



باب الحكمة والآداب

نادي المدارس العليا - مآل الطفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السالبة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية اني ولدت فيها الأمة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستبداد قرونا عديدة ، وهي لا تزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشباب والكهول من الامم الحية ، ومانحزرت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فقام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكتاتيون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد المذل الى أربابه ، قبل ان يخرج الامر من اهابه ، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكانت الاستعداد آتم ، والداعون أنهمض بالعمل وأعلم ، وماالداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وماالداعون الا أمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الافرنجسي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دارالعلوم » والأزهر . وقد دارت النظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من انقلاات اني كتبت والمباحثات اني دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط وانصارى سوريا وأرغما لكل أهل النيل فرارا من التعصب ، وكخطر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ، قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لا نأرا أننا التیار مندفعاً الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادى حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن
قُرِن ذلك بحظر المباحث الدينية والسياسية . واكتفى لم نلبث أن رأينا أن مجلس
ادارة النادى قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو
المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا إذ صار النادى
شراً من بيوت الابرار المعروفة بالقهاوي والبير (البير كمال والبارات مواضع شرب
البير وغيرها من الخمر) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث
الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . وما زاد في أسفنا وغمنا تعذيبهم
إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ
المشاركين في النادى بسوء القدرة فانهم إذا رأوا من يهدونهم أرقى الآلة علماً
وأدباً يأتون في ناديتهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعاً فكان أغنى التلاميذ
عن هذا النادى لو تبصر أولياؤهم

بيننا نحن في ألم خيبة الأمل في النادى وإذا بمجلة المجلات العربية قد وافقتنا
بأثنين وعشرين بنصفحة عن النادى فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملاً
لنا على كناية هذا الفصل ، وأنه لقول فصل وما هو بالهزل ،
قالت مجلة المجلات في فائضة كلامها : « إذا ذكرنا الأعوام الأخيرة فأنا
ندكرها بهجين جذلانين لانا شاهدنا فيها قبسا ما علم أن بات أخيراً نار هدى
ونعني بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالعها منذ أعوام وظهرت
اليوم في كبد سماء المجد بدراً كاملاً يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء فتسرب به
النواظر ، وتقرله الخواطر ، وانا لأنر بد اليوم ان نشرح للقارئ تفصيل هذه النهضة
السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيداً لما سنورده من الكلام عن

الناشئة المصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر
هل قد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ، أعمال يؤخذ
من مجموعها أن في سوء بدء رادى النيل رجالاً أكفاء اكمل عمل مجيد وإن ساء عصر
يستظلل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء
ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقل أمها ها إحدى كبريات المسائل ، وذكر

ناديا أنشىء ، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل
«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك
الاعتقاد الذي يهده الكهنة حجة مسدة لا جدال فيها وهي أن المعصرين شعب
مكسال لا حياة أنبية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائمين « قد اتفقوا على أن
لا يتفقوا واتحدوا على أن لا يتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شبانا قد خسرنا ذلك
الاعتقاد ضربة جملته هباء منثورا وأترا بعدعين

«وقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شبانا حتى صح أن يقال فيهم
ما قلناه اليوم . سؤال لا نرى جوابا عليه أبغ من القول ليقصد كل امرئ نأدي
المدارس العليا ليشارك بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ
القلوب غبطة ومرورا . ذلك النادى الكائن في أعظم أحياء العاصمة بجوار فندق
(صافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره
ذلك النادى الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد . ولا بدع
في ذلك لأنه غرس أيدي شباب في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن
لا يقوم به إلا الكبراء وسراة الأغنياء ولكن ناشتنا برهنت على أنها قوة عظمى
تخطم في سبيل إرادتها كل عقبة كؤود ، وتدوس بقدمها الشوك الذي يسترض
وصولها إلى زاهي الورود »

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادى وفوائده وذكر ما كان من
مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتباج الأمير له إذ جعل ولي عمره مشتركا
فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

«ومستك الختام لهذه الجملة المطولة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادى
إلى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامنة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا
بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل أننا أمة حية لا نقصنا للقيام
بكبر الأعمال إلا الإرادة وطرح الضعف جانبا فمضى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من
الوصول إلى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بمنه وكرمه » اه
الله أكبر . ما هذا النادى الذي كبرته مجلة الحيات هذا التكبير ، وفخت

هذا التفخيم ، وجماله البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة
عليها ، قد ذلت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة
من أسفل السافلين ، فخرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة
أوسمتها ، فإن لم تكن سميتها فقد ساوتها ، اكان هذا النادي فتحا مبينا ، أم
كان استقلالاً للبلاد عزيزاً ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجوراً ،
وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فأراد أن يجذب اليه
الهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذ لا يحل مثله أنه ناد قد خلت
من قبله الاندية فمألاً منشئوها مواضعهم فخراً ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السالكين
عزاً وقسداً ، ولعل هذا هو الأقرب فانا لم نكد تم قراءة ما كتبه في مجلته
حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيد لما سمعنا من
بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كانه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضائه

نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيادة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد
انشئ بعد كتاب المكتبيين واشترك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يأنفوا
الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاوي والبارات ولا يخرج على النادي من
المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع
اليدين ويحتج بعضهم بعدم المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارة . والبعض
الآخر بوجود أصحاب مههم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع
عديدة جئت أتمثلت أنظار حضرات القائمين بإدارة النادي لتلاني ذلك على
قدر الامكان خصوصاً فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتكم
نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ١٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا نتقد من هذا النادي عدة أمور
 (١) وجود التلاميذ فيه ولا يسمع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله
 (٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلمين) كمدرسة المعلمين
 الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمض للعلوم
 العربية وما من متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين
 في دار العلوم وان قوما يغمضون لغتهم وأساتذتها لا يرجي للامة خير في اجتماعهم
 بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
 الاجتماع في الاندية تقرب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
 المحترمة وعلم الازهر في مقدمتهم ولا محال هنا لشرح ذلك ولأشك ان علماء
 الازهر وأساتذة دار العلوم أبعد في مجرعه عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب
 من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في النظم
 بالأديان وكل ما ياتي المداورة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
 المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
 ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منسها وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين
 (٥) سرعة ملئ المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات
 المؤذن بقلة الثبات ، - فهذه الامور كلها من دلائل طفولية في الحياة الاجتماعية
 ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
 نرجو تلافي كل خلل والاستمانة على ذلك بنقد الناقدين ، وإطراء المادحين ، واننا
 لا نريد لهم الا النصيح والاصلاح والله الموفق والمعين

(خطبة الأمير علي العلماء في الاسكندرية)

ظفرت بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
 الجزء عن نشرها مع فوائدها اخرى منها مقالة من أويل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
 طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتقريرات متعددة وموعظنا الجزء السادس



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً ومبارك منكر الأول والآب

الحمد لله

١٣١٥

في شهر جمادى الثاني يستعملون القول فيقيمون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وآلئك هم أولو الآب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و منارا كمنار الطريق

﴿ مصر - جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين • في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكركم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك

جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الأمراء والسلاطين ونهيمهم وقال في أوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وإن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الحل على الحق بالضرب والمقوبة • والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس لأحد الرعية مع السلاطين فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المذوور أكثر • وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التمرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتمرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٣) ولما علم المتصليون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وإن صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

- (١) الحديث قال المافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الأحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام هـ ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله أنه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالتهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الأمة أشد بالانحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . وسنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فاننا إنما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الأمراء والسلاطين تذكرا للعلماء وكشفنا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الأمة عزيزة قوية والدين راسخا معمولاً به

ندع مما أوردناه الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لئلا يقال انهم لا يقياس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وإن كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آثما عقوبته ليقينه بعدله ودينه ونذكر شيئا مما أوردناه عن بعدهم قل « وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريرته وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم وصوله فتماهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

يا بك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألنا حاجة لفبرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف »
 أقول هذا نصيح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معان للاستبداد في الإسلام حتى قال علي المنبر : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : وابن ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته ألا انهم احق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون ! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويحك أمرتك أن تدخل إلى رجل يحدثني ويسأرنني فأدخلت إلى رجل لم يرض أن يسأرنني بالأمم الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبيب أعده الله لكل إنسان جائر في حكمه فصمق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مفشيا عليه . فقال عمر لعطاء قتلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد . ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال مكثت سنة أجد ألم غمزه في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة أن الحجاج دعا بفتها البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد إلى التي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقمده عليه فجهل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضاً على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قل اخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فملي من هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وخخته على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا أن يحول بينه وبينها وأقول إن كانت ليلي هنة فالله حسيبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعديل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن الدبر بره مضياً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلم بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت أن سلت فصدقت أو سكت فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك وأشد في التهمة .

« قال وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حملك على هذا ؟ قال ما أخذ الله على العلماء من المواثيق « لبيته للباس ولا يكتونه » قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أسكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في المبرة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم ثنى وركه فزل وهشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً إليه تجافى له عن ناحية بجاءه قل سميد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فلما قطع الحسن كلامه . قل سميد قتلت في نفسي لا بلون الحسن اليوم ولا نظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه ان يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحواً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ ويرفليكم بهذه المجالس وأشباعها فأنخذوها خلقاً وعادة فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتونا على هذه المجالس لمرفقا بفضلها . قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكف فرساً وبطلاً وأكف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من البطاء وانت لي سبع بنات من الميال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصعابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله أنخذوا عباد الله خولاً وما من الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابية (أي العالية اشترقة) وعلى البغال السبابة وإذا أغرى أخاه أغزاه طاوياً راجلاً : فلما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح المييب وأشدده فقام رجل من أهل الشام كُن جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشا بالزمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلبا رأيته فأعرافاه بضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قصد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالسوا الرجل فطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسمى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك وتوكل اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبالك تحرض علينا الناس أما اننا على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمرا يريد المنزل فيبدا هو يسير اذا التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجموا فما بقي هذا من قلب العبد

قال الغزالي بعد ايراد هذا الاثر : فهذه العلامات وأمثالها تتبين سوءيرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا ارحم الراحمين . اه

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فان المسلمين اليوم على خطر وأمرؤهم وملوكهم لا يذكرون مع ملوك بني أمية وأمرؤهم حتى الحجاج فأولئك قد منعوا الممالك وهو لا أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ما عدا جعل أمر المسلمين شدي بينهم فأهم جعلوه ملكا قوامه العصبية وهو لا أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من حملوه وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعل لا يعلم هل تدفع مجاملته للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث رواه العسكري وابن المبارك والخراشي بهذا اللفظ عن ابن عباس وزواه غيرهم بالفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الأحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون إلا من نازعهم في أصل سلطنتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يفظ لهم وينفر الناس من أهل سلطتهم ويضبط أئدهم سيفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أحوج الآن إلى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فرضة النصيحة مادام في القوس منزع وفي السلطة الإسلامية رفق .

(الآثار بقية)

التعصب وأوربا والإسلام

الكلام دول تحالف دول الحقائق نارة وتخالقها تارة ، ورب خلاف يجر إلى خلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قديتهم الخلق بالعشق حتى يجعله التهمة عاقبة ، وقد ينكر الكذب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الآديان ، ومنبت جميع أصناف الإنسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الغلو في التعصب نشر معشار ما وقع من أهل أوربا الذين اتحدوا باسم الصليب على إبادة المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربا معشار بر كان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الأولى لما رجعت دول أوربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ما حددته لها تعصبها عالة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والأدبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتعول فاستغادت من الانكسار ، ما لم تستفد من الانتصار ، وما زالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفرق والانقسام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم المكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبعت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أضر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والدنيوي وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا. وإن الكفار وهي أحسن استعمار وأقرب من اللين والعدل لم تبلغ بهش شأواً والخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الأمويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة.

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمنون شراً أن يقع على الخلف لهم الأذى أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماعهم والفساوة على أبصارهم ولكن انزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يعد تعصباً !! لماذا ؟ لأنها تقول : أنهم متعصبون للدين وإننا غير متعصبين له ، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين ، الغربيون غير متعصبين لأن أقرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية ، المسلمون متعصبون للتصاري غير متعصبين ، التعصب الإسلامي خطر على المدنية المسيحية ، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر ، ما يأخذ الصليب من الهلال لا يهود إليه وما يأخذ الهلال من الصليب يجب أن يسترد منه ، :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطالبين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فانتقدوا أن أوربا متعصبه عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم إلى من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وبما كانت تجارهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون إلى تحقيقها ولكن روح الإسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو ما سنفه في هذا المقال.

تخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حينما من الأهرام لا تلبث السياسة أن ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الأيام وزير خارجية إنكليزاً في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركيان قال — والعهد على ترجمة الجرائد — أن روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الأيام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قل كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أنه السياسة الإنكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطالب من الوزير أن يبين عند الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها أركان وترى مجمل خبرها في باب الأخبار من هذا الجزء.

عندي بصوت المعتذر في مقام الدفاع أن يكون خافوا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع، قد كان أشد من دوي المدافع، خشمت له في المجلس الأبصار، وخشنت له الأصوات، ولم يلبث أن جعل البرق في الأرجاء، فكان مع البرق رعداً قاصماً في جميع الجواء، رددت صدها الأقطار، وكانت الشغل انشغل لصحف الأخبار، فأما الجرائد الأوروبية فقد صدقت الوزير في قوله، ووافقت على ما يريد به، جارية في ذلك على نهجها المعبود، وتقاليدها المتبعة، وتبعها من الجرائد الأفرنجية والمغربية في مصر من يرى أصحابها لحسم فائدة من تقيط انكساراً من المسلمين، وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الأفرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف يذكر.

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لما قبله ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بمنتهى ما ينولد بين الفيرة والوجل، من فنون الحجاج والجلل، وربما كان في دفاعهم ما يمدد التهمة لهم مثبتاً للتهمة عليهم، ولم أر منهم من شرح ما يريد به الوزير من التعصب حكماً اعتقدتم احتيج على بطلانه بما يرجح أن يكون مقنناً للمنفذ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ما قال. أما أنا فإني أقول إنها عيان بالتعصب غير ما فسر به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها.

هل يعني الأفرنج بالتعصب الإسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والمعنوي فنقول لهم انكم تشاءدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحاداً وتناصرنا، وأشدّها تفرقاً وتنافراً، هل يمنون به بغضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه أن يعيش بيننا فنقول لهم إذا كيف أصابت هذه الثروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملوك وكيف صار منكم رئيس الخاصة الخديوية وكثير من مستغذميها ورؤساء دوائر كثير من أمراءنا وأغنيائنا، بل كيف عاش بيننا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكما بنا ونبيتنا؟ هل يدعون به محافظتنا على شر بيتنا من جهة الأحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الإلهية والمختلطة ومدرسة الحقوق ونظارة الحفانية نفسها حجة عليكم فأننا تركنا معظم شر بيتنا الإلهية إلى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكمانا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خمركم حتى عمت المدن والقرى ورجحت تجارة بورصكم وبقاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد أغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام، أضاف الذين يزورون بيت الله الحرام، ولماذا ولماذا ولماذا... هل يدعون به أن مصر تريد أن تتبع سائر الأنظار الإسلامية، بالاتحاد على الأمانة التي يهر عنها بالجامعة الدينية، فنقول أخبرونا عن قطرين إسلاميين اتحدت حكومتاهما وتحالفت على دولة غير إسلامية كما تفعل دولاكم في تعاطفها وتحالفها. ما كانت حكومتان لنا متحالفتين لإعلاء كلمة الله لا ينافي هذه الأزمان، إنهم إلا متخالفون لوجه الشيطان، بالأأس قامت دولاكم على دولة صراكش الإسلامية فاتحدت على ما شاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس أن يكون لهما منكم سهم ولا قالت واحدة منهما كلمة تشهر بالفيرة عليها أو المساعدة لهما بل هما الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحذتان على إفتاء ما بقي للمسلمين من قرة واستقلال فذاك كل منهما بالأخرى. على أن الحكومات هي التي تمقد المحاللات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي، بل ليس للحكومة نفسها من دوركم أمر ولا نهى، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الإسلامية وإنما يصلون بما أرشدتهم إليه من العصبية الوطنية، فلو وجد فيهم كثير من يعدون المسلم غير المصري فيهم دخيلاو يابون الاشتراك معه في أي عمل وينتفرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

إذا ما ذا يريدون بهذا التعصب المصطنع، المتحفز لمواثبة الدول، المحرّب لئبناح،
 المحرّب مزليمد الباع، المترّص لئقتال الثروة، لأروية، الموثّب لئسحوآية المدنية،
 ألا أنهم يعنون ان المسلمين جريصون على ان يكون حكمهم منهم وأشد
 ما ينكرون من ذلك أن الاملام قد جعل من حرق الخليفة على المسلمين،
 أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخالفين لهم في الدين، ويمتدّون أن
 السلطان عبد الحميد ما أحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية
 بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليجتمع نفسه بهذه
 القوة المنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل
 هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما يحدث له من الشواغل والمراتيل في كل وقت
 وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهانه وقد أعطي هذه
 السلطة الدينية المحيية . هذا ما يعتقد الأوربيون في التعصب الاسلامي وهذا
 ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر
 فيها بمظهر الشدة والحزم أولا ورأى ثروة بعض جرائد المسلمين فيها بمحقوق الخلافة
 والخضوع بمغليّة واستنادها في بعض ما نكتب على مختار باشا الذي أنيطت به
 هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد نجحاً
 بإيجاز امبراطور ألمانيا التهور على استئصال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
 الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية
 في ذلك إذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواء . فهل يفتأ الكثيرون يقولون
 ان اللورد قل ما لا يعتقد وكذلك الوزير ؟ وهل تظن الجرائد بما أ كثر من
 الكتابة في التعصب انها فلتت في الثروة والفارب ، وأقامت الحجّة على اللورد
 والوزير وسائر الاجانب ،

الحجة الالهضة على تبرة الاسلام تنسب من هذا التعصب المزعوم هي آي
 القرآن ، الطائفة بتحريم العدوان ، وأن القتال الديني خاص بمن يقاتلوننا في
 الدين أي يقاتلوننا لأجل منمننا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره .
 وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب النصف

منها قوله تعالى (١٩٠:٢) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٨:٦٠) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبوءوهم وبتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لوقته الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأدعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بهالكات كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به الآيات الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يقاتلوا المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعلماء والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن محاربين وأما الذمي والمأهدة والمساكين فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز القتل بمن يجب حمايته من عدوه؟ أما الآيتان الأخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين انافي الدين الذين نهانا عن موالائهم في أول السورة وفي سور أخرى وبين غيرهم. قال في أول هذه السورة (١:٦٠) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الأعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمومنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا الذي والى إخراجهم لكونوا لهم أعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم ويسلطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفوا بعد الإخراج والذي عن عداوتهم. بعد هذا قال سبحانه (٦:٦٠) ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لا ينهاكم الله (الآخر الآيتين) فهو بعد إطلاع المؤمنين في تحويل المداوة بينهم وبين أولئك الأعداء إلى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهوؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجوهم من ديارهم او
ساعدوا المخرجين لهم على تفهيم وليس نهيا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهى عن
ولايتهم ومخالفتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين المسلمين .
هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة
اعدائهم واعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكل وجهه ؟
أليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال
في دين جاء بهذا الكمالات الأعلى انه خطر على البشرية لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن
كانوا مسلمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنجى بلى ولكن أكثر الافرنج
يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال
المسلمين وغوغائهم أو الذين يتبعون السياسة ويجهلون الدين آله لها وهم بجاهلون
إذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون
ويسمونها تعصبا فأنى لا أبرئ كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب
طاعة السلطان إذا أمر بمقتل المخالفين في الدين وإن كانت الأمة الاسلامية قد
أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق ومن أكبر المعاصي الاعتداء على
غير المقتدى . وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ
حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استغنى شيخ
الاسلام ابا السعود في إزام نصارى الروم بالاسلام أو ابادتهم لان بقايتهم متبغين
بمخريقتهم في الدين والأمة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم
لا بد أن ينهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم
يقته ابوالسعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين
أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى
وكانت القضية

إذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة
السلطان إذا أمر بقتل المخالفين ففي غرس الاوربيين الدين اثاروا تلك الحرب
بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس وينمو به بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن
شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأي أفضل ، وأية السياستين شر ، أراي مسلم يظن ان اعتقاد
الأوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تجميع المسلمين على النصراري متى شاء من
عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان ندمهم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسي ان ينجف ضغطهم عنهم تحت ملابستهم من المسلمين ويقل تحاملهم على الدولة
العثمانية ، ام رأيت أوربي أو نصراني شرقي يتهم المسلمين بالتعصب وانتهاز القصر
للإيقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة المثل التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى ويمكن لهم في الأرض ، فيبلغوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان تأتي كل من السياستين بنقيض ما يراد بها فيكون إهمام
المسلمين للأوربيين بأنهم مستعدون لتفككهم عند ما يحركهم إرادة السلطان جاءها
لكلمة أوربا على ابتسار الشجرة قبل إرطائها ، أو جثث الشجرة قبل أن تستوي
على ساقها ، أو يكون إهمام الأوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
المغربيين منهم بالشرقي ، والمغربيين بالعجمي ، وروافد منهم عنصرية تجعل الظن
يقينا ، والألماني منونا ، ولو بعد حين ؟

أليس مما يدعى له كل منصف محب لحير البشر أن انادة انتم خير من
إيقاظها ، وأن إزالة الاحن خير من إثارها ، فمن أنظلم من علم هذا فأعرض عنه
واستبدل التفريق بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية ، ووجهه على معاداة حكومته الحقيقية ، أو تلك الفرقون فر يقان - هذا
يقول لاوربا ان المسلمين متعصبون ، فخذلهم بالعذاب لعلمهم برجعهم ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويهلق أمانيتهم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كاذبة كما يوجد
في الجرائد الاجنبية والمنفرحة من ينفر النصارى من المسلمين كافة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، اذ الوقت أواقعة ، وكانت خافضة رافعة
أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل أن يجعل مجردة من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين
عامة وعلى الأوروبيين خاصة لأن الدولة دوائهم بانتراف انكثرا وسائر دول أوروبا
على أنهم لا يرضون ترك استقلالهم لها ولا هي تطامع بذلك، ثم أن موضع العتبة من
جزيرة العرب وكونه سيكون بالاحرمين الشرقيين بحاله محطة لسكة الحديد بالحجازية
واعتمادهم الديني في الحرمين معروف فإذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو
حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم مهذرون لأن هذه الأرض المقدسة
بمنزلة المساجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معا بده ومعا هذه المقدسة
تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ وليس القائل بأن هذا من التعصب هو أشد

الناس غلوا في التعصب وأجدرهم مثال « رموني بدائها وانسلت » ؟
إن أكثر الذين يرمون المسلمين بالتعصب يظنون بلسان السياسة والسياسة مسريرة
لا تعلم ، والله لا نكاد نفهم ، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق أو تنطبق عليه إلا
بعد وقوعه فإذا كانت السياسة تريد عملا يتوقف على رعي المسلمين بالتعصب فهي
ترميهم به تهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لأننا لسنا من أهل
الشورى في سياستهم ننتول هذا ضاربنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن
فيه سواء أذربا كانوا في هذه السال يشكون من التعصب ظاهرا ويبفون في الباطن
ابجاءه ان لم يكن موجودا وحينئذ نزع الاستقبال خطابهم فهو أقدر على اقناعهم
وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتهربين منه فأننا نقول لهم بلسان الصدق
كله ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لا نذكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر وهما
انخطوا ولا نراكم تهيئوننا وتماقبوننا على كوننا من البشر ، ان تريدون بتسمية هذا
تعصبا لاننا نرى بعض الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لنشور عليه وهو لا مسلم روسيا
حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم
ولا تنسون ما فعل بعض نصائى البلقان من قبال وما يفعلون الآن في مكرونية ، ان نحن
ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقتنا على اننا أصغر أهل المال تلو بأول سلم عاقبة
ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فإن ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم .
 وإن كنتم تبغون الأثرة فينا والافتيات علينا ونعدون عدم الرضى بذلك سرا
 وجهرا من التعصب فاعلموا اننا منهصبون لأن طبيعة البشر قد جبلت على النفرة
 من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط
 عليهم إلا إذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وإن كان متفقا معهم في الجانس
 واللغة والدين والوطن فكيف إذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ إذاً العلاج
 لهذه النفرة إلا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وهذه الزايا ساد الإسلام
 أكثر شعوب الأرض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا
 التي نحكمها بآله بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
 على أنه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كهلي بن أبي
 طالب وإنما تعصبون لأننا لا نرفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فيجازي
 الله رؤساءنا الذين أذلونا بظلمهم وجهالهم واستبدادهم وأضعفوا حججنا كما أضعفوا
 سلطتنا حتى صار بعض الأجانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الإضافي
 ولولا ذلك الأذلال لما كان هذا الأدلال)

وجهة القول — ان الإسلام اعدل الأديان وأرحمها بالمخالفين فهو صنف الأفرنج
 ومقلديهم آياه بالتعصب المذموم ظلم منهم انعمت له سياسة ومنهم الملائكة القسوس
 والسياسيين فيهم وإن المسلمين إذا كانوا لا يسامون من التعصب فيهم أقل تعصبا لأميائنا
 في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم — وإن الأفرنج والمقرنجين
 هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأفوالهم وأفعالهم ولذلك ترى العارفين
 بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب إلى التعصب من المتعلمين في
 الأزهر — وإن هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا
 في غيرها إلا إذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وإزالة ملكهم — وإن
 السلطان نفسه لا يقدر على الأمر بالتغير العام في غير هذه الحالة إذ لا يقويه شيء
 الإسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لأن هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكليز قد عني بالتعصب ماذا كرنا تبعاً للورد كرومر
وها يعتقدان أنه قد تهييج في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكليزاً كان من العقل والسياسة - وانا
نعتقد أنه لم يكن هناك خطر على الأوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
بمتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احياناً مجرداً
من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكليزاً
قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم - وانها خسرت بهذه القسوة
معظم ما ربحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بحكمها الا انها خسارة نزول
وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها وان المصريين أشد المسلمين تساهلاً وأقربهم

للمخالف في الدين مودة

هذا وإن المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلم
أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الدمى والمعاهد وهو من بيننا وبين
دولته عهد سلمي كأهل أوربا الآن والمستأمن وهو من دخل من الحر بين بلادنا
بنأمن منا - وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين -
يحرم الاعتداء عليهم وايدارهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الا نداء عليهم
ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطراب وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
ومنتهى ما عنده هؤلاء ما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف ولا تبساط
مع المخالف لعدم المودة . وأما العوام وهم الصنف الثالث فانهم كما قلنا يعتقدون ان السلطان
اذا أمر بالاعتداء على كل مخلف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه
وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجمله ماثراً للفتن الا في
الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام التصاري كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان
كان فالتعصب هو المعتدي والعوام يتجهون علماء الدين فإذا حدثت أمور يخشى
معيها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب
في العوام وفي الجرائد مثل هذه البلاد فإذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشورة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افضل من كثرة الشرط والجنود
وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين لعلوم الاوربية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشهورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع
الاوربيين ، وسماهم لا قواهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب بسياسة
لاتدينا ولكن روح ناسهل الاسلام غاب عليهم حتى لا يعلم منه المارق منهم ،
وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومنه سطيهم يقولون : انهم يتهموننا
بالتعصب باليه كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من
الدين ، وأدنا منا منه أجعلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيهم لاسيما من
ذاق حفيظنا منا فمشار التعصب أوربا بالالاسلام نفسه واذا ظنت أوربا على اتهامنا
والافتيات علينا في شؤوننا فيبرشك أن يجرى يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما
نساء الله أن بقي البشر شره والافان في استلاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعقلون ،
ويسرون ويألمون ، وث في خلقه شؤون ، وهو يعلم ما لا تعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ نجيب ﴾

(٢ - وصفه الفونوغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الأول انه وصف الفونوغراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مخبريه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قوتنا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قل (كما في ص ٢٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ و يعني
بمطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفقا على ان الفونوغراف آلة ناطقة !!

الأهل من قارىء فيفهم الأهل من متفكر فيعجب : الأهل من عاقل
 منصف ، فيقته كنه هذا المصنف ، : أنا انتقدنا عليه وصفه الفوتغراف وهو الآلة
 الناطقة وصف من لم يره . نعي ان الوصف غير مطابق للموصوف . فإذا كان
 الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لافي تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد
 علينا بأن المنتظف وصف وصفا آخر نتيجة انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ
 في الوصف وأنا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ إذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانتقال
 فذكر أجزاءها وكنية تركيبها وطريقة رفعها للانتقال فأخطأ أحدهما في الوصف
 وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على
 من ينتقد وصف الخطي بأنه أي الخطي ، موافق للمصيب في كون الموصوف آلة
 رافعة ؟ وإذا كان قوله أنه موافق للمنتصف في كون الفوتغراف آلة ناطقة فقل
 اعترافا بأنه مخالف له في وصفه بأننا صيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المنتظف
 وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفوتغراف آلة ناطقة الى ايرادها إذ
 لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال أنه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اعترافا
 على دعوى الاصابا في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطأ وما يقتضي
 انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على أنه حجة له ، هل يعلم العاقل المنتصف بأنه
 فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد القول ، قول ونقول ،
 وإن لم تصل ما يسمى دليلا بالمداول ، " سيعلم القارىء " مما يأتي ما يدل مع ما نقله
 هنا على أنه كتب بغير فهم وإن اتألف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل
 التي تراد من مظاهرها (أي من المواضع التي يظن أنها توجد فيها من الكتب)
 وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه القول
 موافقة لما يدعي وإن كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه
 انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتغراف وفي قوله ان السائل
 الذي سأله مقيم في الاناضول في الرومالي الشرقي بولاية مسلاتيك للتنبيه على ان
 العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه
 ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفاصيل عند الحاجة اليه فإن المسائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه يجهل ذلك نعدراً أو تيسر عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصفه للاحتقار والازدراء . ولم ينبئ هذا الفرض اعتماداً على اكتفاء اللبيب بالإشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يروينا بقلة الأدب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما افترضنا خطأ أحد المشهورين من علماء الأزهر بمعارضة الإصلاح وضم العلوم التي يسمونها المصرية لتبنيه جميع من على شاكلته إلى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . واننا والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة إلا بعد ان سمعنا الناس في بعض سمارهم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لا حاجة إلى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة المقطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لأن هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونغراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف وهي : يشبه حنجرة الانسان وان المرض من ادارة الزنبك ادخال الهواء في الصندوق لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام . وان الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لأن يتوارد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها التكلم وثانيهما ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فإنه لا بدع في خطئه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم وامراراه على الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكل في المسائل التي من شأن مثله ان يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

(المسألة الجغرافية)

قال الشيخ بن خيت في أول رسالة السكوداء : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلا نيك الثانية يتضمن : كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الرومالي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوربا دخلت في امارة البلغار وان سلا نيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، ونحن لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلمهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يهد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نهبنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقال مانصه وفيه عبرتان احدهما في العبارة والثانية في البراعة :

« ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل بلى وجهه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يملها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما افناه (محل الحادثة بلدة دراما بولاية سلا نيك في رومالي الشرقي) اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا

أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جراه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايها القاري ان مثل هذه المسألة لا تخفى عليه والايهام دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك أنه كان ينظر في قضية بالحكمة الشرعية قيل عزله بزمه وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بن خيت عن بلده فقال خانيه فسأله أين خانية قال في كريت سأله أأنت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بن خيت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بن خيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدق الشيخ بن خيت وصدقته حسن بك صبري وكان

محاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بخيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كريت إذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم ينزل مجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري بعد علما اخذنا صيا بمسلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خير في مسألة تتعلق بالبلاد ومواقعها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه : فقال الشيخ بخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغت ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لأنهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذين وانه يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا بعد العلم مبذلا لا غضاظة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الأزهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الامن تعلمها في هذه السنين

- (ثانيا) قوله «وقد جرى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكره» فانه ليس له وجه وجيه

- (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة دراما بولاية سلا نيك في رومالي الشرقي» فيجعلها طبع أهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروالي الشرقي بولاية سلا نيك الصمانية» فن مثل هذا الابدال واقلاب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم «وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظننا أنه لا سؤال ولا مسائل اذ لا يمكن ان يوجد مسائل مقبها في أمكنة مختلفة
فما هذه المراءوات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه اننا نحن ندم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة
عاطلة » الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نختار عليه الا باطل . ونقول هل
ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضاه
(نابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف
العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن
صاحب المؤيد لم ينسب فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم
من النكالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النقائص لهم لأنها تضعف عقولهم
عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت
لامر ما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟
أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسد فجوابنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم
منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يبتلينا بمثل علمه وتأليفه وأن يعافيه هو من
الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا
بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل
في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعاذ بالله تعالى » اه وأقول
ان من له ذوق يدرك به مراحي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا
« انتفعت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان
العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيما لا علاقة
له بالبلاد والمواقع ، وإنما فهم صاحب الذوق أنها من باب الكناية أو التعريض
على ان الاجتهاد المطلق الذي يكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام
في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لأسباب في هذا الزمان الذي
صارت مسائل الحدود فيه بين المالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق
ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلام . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بجيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار) ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاذ منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبراًفتى ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت وهو ألف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان نقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثاً الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبيكات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا مما . والفريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفهرست او لسان العرب على احتار مثلاً يؤخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرون من اكابر الثمراء والفقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعمالها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته اللغة كل هذا التضيق وما الذي يهتدون به في الاخذ بهذه الحطة التي أخذت يفتنق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم بآدابها على القياس وتناسبة أوضاعها له حتى في الحركات
والسكيات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الفزالي
في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إجماع العوام فترجس لي ان كلام الامام
هناك استهوى القوم فقاءوا عليه اكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى
قياسهم هذا لسوء الطامع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث عس الحاجة
الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او تقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد
والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم
واستغفروا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام
الرد عليهم والياك بعض كلامه قال : وحققة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث
من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقرب
(٢) التصديق (٣) الاعتراف بالمعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف
(٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان
لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان
منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد
والاعراب والتعريف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم
من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين
ان يقف عليه فانه مما تتناول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل
زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الفزالي في هذا المقام
الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فصحوا
الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن
وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين
استعمال القياس حيث لا يحظرون من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالاعراب

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتساهلون في القياس الا أنهم يتأبون كل لفظ قاسته العامة أو استعماله على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظا آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابره فانهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نابأد في مسألة كذا وتنا بأرا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبأ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاثفوا على كذا من الكتف ولا يرون أنها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد التكبير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله للعامة مع أنها (كما قلنا الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأنتهم أو من عال الشيء فلانا أهله ومقادها بالقياس على عائلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهملونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخاص . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جبر اليه ما استهوى اقوم من انقواء الموضوع لتعزبه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألبنا اليه . فيالله متى نمدل عن هذا النخرج الذي يقضي القتل والنقل بتركه

« ولا يسعني الا ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته وليرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه — ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتأنشء الناس من كل جهة — فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحا كانت لفظة — يتأنشء — فيها شيء من العامة وعندي ان هذه العامة هي في منتهى الفصاحة وبألت الكاتب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فاتها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتقرب حتى عن العامة اه
 (لنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالنشية والجمع الصحيح وما
 هو غير قياسي وهو ما يبرهن عنه بالسماحي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن
 أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة
 أخرى فذا علم أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير ونحير واستعار فقط اكتفينا بها
 ولم نزد عليها أحدا حارة وحار محاربة واحترار اختيارا وتحاير تحاير وحير وحيرة وتحير
 تحيرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه
 القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف
 للمنتقدا أن يكون في المسألة خلاف في كونه مقيسة أو غير مقيسة فيذهب
 كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل
 كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والدخيل ما يستحسنه
 بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئين . ولو جرى الناس على هذا الرأي
 في جميع الاقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب
 المراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية
 المدونة في الكتب ولاحتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحو وصرف وبيان أيضا
 لكل قطر

رأيت المتصربين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة
 في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو
 نشاء لأرينا كم قلما عرفتهم بسلامهم . واتعرفتهم في لحن القول) والثاني أناس يودون
 انفساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر اللفظ لا في المعنى شئت
 المعاني وهم على سمة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف
 ولذلك يوجد في كتابه من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه
 في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر
 أفندي حتى ضيقوا أبواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بأمرية من يتول في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الفراء في صفات الباري سبحانه وتعالى
مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلاً يمتنع ثنيته وجمعه كلفظ
حين فقد ورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا
ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقدم احداهن بصفهم بالجمود يقول لا يجوز
ثنية شي من الفاظ العربية ولا جمعه الا بنقل عن العرب ؟ اني أجزم جزماً بأن رأي
الفراء في غيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل
العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لاسيما البصريين منهم وأنه ينبغي لنا ان
نسال في اللغة مسالك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والذريب والتجوز وغير
ذلك ولكن يجب ان لا نجد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجد في كتبها والا كانت
الزيادة تكثراً يثقل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تمصيل الحاصل الذي لا يرضى
به عاقل فكلمة اختار مثلاً لا حاجة اليها لانه ورد بها حار وتحرير وكاتب هذه
الطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطاق العنان فيه للأفراد لما يترتب على ذلك
من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من
العلماء يبحثون في ذلك ويجعلون له نظاماً وينشرون ما يرونه صواباً في الصحف ليتم
الاستعمال ، ويؤمن الاختلال ، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة
اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاماً جديداً بعد المشاورة والمذاكرة
خلا ما يضطر اليه الكاتب أحياناً من الحاجة الى كلمة وقلم يقع ذلك من عهد
ومن هذا القليل استعمال لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسر بها
في عنوان المقالة (تطور الأمم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضاً على من ينتقدون الخطأ النحوي
في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيح
بذلك . وسندكر في الجزء الآتي شيئاً مما خالف فيه القياس لتساهله

﴿ حال المسلمين في تونس والإصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونة

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
أحييك أيها المصلح المخلص النصح الغيور منشى مجلة المنار الفراء الأستاذ
السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، نحية تعرب عما في الضمير
من الشوق الى مدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك
حق قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الإصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى
سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجؤا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين
ونحملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من هج رعاع مع كل ريح
يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والمنة لله -
لم يشب ذلك عزائمهم فإوهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض
سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والنشبت بأهداب
العادات ، والتمسك بما قاله الأقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون
ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجارز حده اتباع لغير سبيل المؤمنين
ولولا ان من الله على الامة التونسية برعيها الفاضل العالم المصلح الأستاذ . . .
لم تبرح في أدوية الضلال بهم حتى تخرجت من جامعا (الزيتونة) نشأة هذب
الأستاذ إياه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة
الارسان تركض في ميادين الحرية وأناي لتصرف في أداء ما يجب من شكره على
ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن
استقصائها ، ويكل البراع اذا كف بإحصائها ، وحسبي ما أثقل به عاتقي من منة
التمريف بذلك الأستاذ الامام قدس الله روحه فقلت والحمد لله من قوم زعموا
ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . . بل أقول « والنجم اذا هوى » ما ضل صاحبكم
وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العتلى ، لم

بندق مذاقك من الفضل ، ولعمرك الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الفراء
في ترجمة هذا الفقيد علم مصيبة رزته على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي
يهدي الله لنوره من يشاء... لا برح منارك يبعث من أشعته ما يهتدي به الساري
فيدأب القالي أن يطفي منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأن الله
الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين
بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في
الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشي جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا
النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن المعجب أنه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم
استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندري أنسي
ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكينة ، لا يروعه جهل الجاهلين ،
ولا يبالي عذل العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق
والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بئنه وكرمه

حالة المسلمين في حضرة موت والأصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرة موت الى السيد حسن بن شهاب
في سنا فور (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرة موت يدعو بها الى الخير)
فرايانا ننشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :
كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله
أيامه ، ورفع على هام السماء اقدمه ، والروح الى وسيم طلعت شيبته ، والعبرة لما
منيت به من البين متفرقة ، والقلب مطبوع على الود له وائمة ، وقد اكتظ
بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكتمه وانا منه في غنا ، حتى
احتج على بقول أبي الطيب « وألذ شكوى عاشق ما علنا » وبقول الآخر فصرح
بمن هوى ودعني من الكفى « فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كفه ، وبشت هذه البطاقة
منهية لكم ما لدي من الشوق المبرح ، والبين المطوح ، فأني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، ونحلت مناد ما تكم الراقية ، استخفي الطرب ، وهزني اريحية الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لأشكت ان أطيرو ، لا قضي حق قرابته التي لا تجدد ،

ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد
ان يفرق نسب يولف بيننا أدب أقناه مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادبا ، يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام
ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شققا ، عدم أنيس أتلى به ، وانتهزه فلامحه
وأدبه ، لأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويعب الروح
مقامه ، ويدك السمع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف تخطي
إذا جئت في استفهامها عن ، وعلى كل حال فالحر حينما كان مصاب بيليه ، كالمصحف
في حانة خمار أو بيت بغيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبكم أثنيتم فيه
على الايام ، وشكوتهم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
وإذا تأملت البلاد رأيتها نشق كاتشقي الرجال وتسعد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع غنمتها ، فوجدتها بارعة

المبني ، رائحة المهني ،

إذا سمع الناس ألقاظها خافن لها في القلوب الحسد
غانية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما يرميها به الناقصون من القدح ،
ولا بد للحسناء من ذام ، وإنما ينشأ ذم المسك من الزكام
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولقد نثت الكناية ، ونقضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ،
وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا
أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومنتهم
أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يندم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غيرك
قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتعارجوا لشئنة عس فوها
عن أبي زيد ، لثرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ما شأن أولئك الا الإحالة

على الاماني الخائبة ، والمحرقة بالقصاص والباطيل الكاذبة ، وقد استنصر بأرضنا
بغائهم ، وكثر لاقرانهم تراهم ، فآله الناس من خدامهم ومكرهم ، فقد ضاقت
الحزام عن الطيين .

اما ما طلبت من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القتاد ،
كيف وقد أدرجوه في ثقافت الاغراض ، وبرقوا بحياه بنقاب المداينة ، وجملوه
فريضة لاستجلاب الأبيض والاحمر ، هيئات هيئات اذك أعز من مخ البعوض
فلا تبع صبرك بصداء الجاد ، ولا تضع تفنك في رماد ، فانما شئت خليا ،
ورأيت مرابا ، واستطرت جهاما ، فارجم البصر ، لانفرك الشيات والصور ،
انما كل من نوى بهر ، ودونك فالتس انصمتك أناسا غيرهم ، اما هم فما أمهروا
تخطك الا بالاعراض ، ولا قرضوها الا بلساني القراض ، وبالجملة فالعروف بينهم
زمن ، وجدير بان يمثل به بيت اخي خراقة ، وقد اخلاق انت يدفن في
الرمس ، وينهار في العيس ، ويصير كأن لم يكن بالأسس ، غيراني لا اقنط من
رحمة الله ولا آيس ، وأترجي من الدهر ان ينشم ويتنفس ،

فلا تنجم من بعد الرجوع استقامة . والبدر من بعد الغيب طلوع .

ومنذ أيام أنشأت رساله في زيف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه ، وقراءة احاديث وحكايات في فضله لا يقبلها الا سفيه ، وهي
واحدكم في ملي هذا . فانظروها بعين الرضا الكفيلة ، وما وجدتم من خطأ
فاجعلوا الصواب يدرك ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشهم النبيل ، محمد بن عقيل ،
وان رأيتم حذف شي منها أو زيادة فلكم الرأي الأعلى والمأمول حكم طبعها
ليحصل الانجاء بها أو ارسلها للاستاذ الحكيم منشي مجلة النور لنشرها في مجلته
وقد ارتضاها من رآها وما لمساند حجة لا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاحلا بأنه يفضي الى الملاك ما جاحلا ،
ودمتم والسلام .

عبد الرحمن بن عبيد الله
بن محسن السقاف

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا انما له النفس ويضيق منه الصدر فان اولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة احد أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه اليها أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا فاما لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم اولادهم وغير ذلك مما يرقىهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموما وعربها خصوصا استشهدوا واشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسيرة على نهج الآداب وتعليم اولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أهد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه وموجب اقيامه في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عازمة على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقا ف قام بذلك (جزاه الله خيرا) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في اتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدير الرأي الآن في القيام بتزويد الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وفتح مدرسة كبيرة

هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الأول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لأظلال له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة

نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله أن يوفقها لخير مما عملت ونقول لأعضائها الكرام بلسان الإخلاص أن خير هذه الأعمال التي ذكرت هو إصلاح ذات البين ولكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن إصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع أقطار الإسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالإصلاح بينهما ؟ أبجوز أن يهجرها سائر أعضاء الجمعية لا نتادها على مسلمي سنغافورة تقصيرهم فيما يرقهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعمد الاحتفال بأمراء المسلمين وأمثالهم ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) لترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الإسلام والتاريخ العمومي الذي ينير العقل ؟ أين العلوم المصرية التي هي أساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل أعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويعودون إلى الاعتصام والتعاون على المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزواج الهندي بالشرعية

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فأينها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها أن الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر عن اعتماد أو تحيز فإن نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء المزار . فإن قال قائل إنك أفيت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي أو النظر فيه والمقابلة بينها وبين ما يظهر به ذلك أنه الحق نقول إن الفتوى كانت على حسب السؤال على لا حسب الواقع الذي لم نعلم

عليه . ونكتفي بأن نقول لقراء النار هناك أننا لا نرجع قول أحد في هذه الرسالة
تليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي أدن وأحية

ملخص هذه الرسالة ان شيئا مما يفت النار لان تعليمه يقلل من كسبه
واكله يديه جمع زينة لمقاومة محبيه وقراءه وتكلم فيهم بالباطل ثم فقد اجتماعا
وعا اليه بعض عولاء الحبيب للنار بعد ان أسددهم من العلم ما ظن انه أظفرو
بهم قام عالم عنهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان كنتم تحبون شأن المؤمنين
فقد قال رب العالمين (إنما كنت قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فعملوا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فاعلموا انكم
الانكليزية متوجهة الى ابواب واعفونا من السباب : فبهتوا وعلموا أنهم عاجزون
عن حزب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وأما لم نشرها
بنصها لان كانيها خالف طريقة حزبنا فطعن بهولاء المتعرضين وذهبهم ونحن
ندعو الله تعالى ان يهتونا ويأمر الادب والصواب ويحسن لنا ولهم المرجع والمآب

الشيخ محمد رشيد رضا

الكتاب السادس - التربية الدينية والفلسفية (٥)

لوف من أواسم الى أميل

قد عززت يا وليم مقاصدي في تربيتك الدينية فاني أردت ان أنجلي بينك
وبين معانك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة قائمة لما تجري عليه الامور عادة
ذلك ان العاقل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة
الدينا فيشكل وانما يتقلب دينا محتجين فيه بعدم أهليته (وهو أمر بين البساطة)
لان يحكم نفسه ويسبق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليده يفتة الى تحديد الدين

(٥) تابع ترجمة كتاب أميل الثامن التاسع عشر (راجع أميل في فهرس م ١٠)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدین اذا فضلا ذلك لانهما يعتبران أنفسهما تأييداً عن الأمة في القيام عن المولد قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني أقول ان كل من حق الأمة أن تؤدي إلى المولد ديناً كان حقاً عليها أيضاً أن تختار له حرقاً وعلماً من أعمال الحكومة وإذا نصير في حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي أن تجعل ولادة المولد سبباً لسلب حريته فإن انقسام الوالدین في ضروب الوجدان واختلافهما في الأفكار حتى في أيمانها هذه يجعل ولايتها عليه مشكلة مرئية ذلك أنه لا حرب إلا حرب البيوت فإن شأن الوالدین في الدين غالباً أن يكون الأب كافراً والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان المؤثران ؟ أقول أنه يكون كأهل زمانه حيران عاجزاً قائماً كثيراً ما نلاحظ في الناس شباباً مشغولين بترقيع مراثيم يخرق من مذاهب المتدينين ، يخططونها مع آراء الأحرار من المفكرين ، وينصادف آخريين شاكين حائرين ، مع بقاء استنساخهم بأوهام الواهمين ، وقد فشاني الناس التباين والتناقض وعم ينهم التشوش والاختلاط وأما أنت فأنك والحمد لله لم تبطل بشيء من هذه الحسن لأني وأنت لم تعتقد أن من حقنا أن نقسم فرصة نوم عتلك فدعوك إلى اتباع ما نحن عليه بدون أن يكون فيه رضاك ، وأعلم أن لي ككل انسان غيري رأياً في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئاً ولا ينبغي أن تجعل : « أكرم أباك وامك » ولكن لا تطلع الاقبالك فأنت حر ومن حقك أن تسعى وراء معرفة الحق مستمينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة ولقد كان هذا السعي إلى اليوم خارجاً عن وسعك وبسيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عتلك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة أن تبحث فيها وتدرسها فإن مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلامها مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى إلى الضحك من

(المعارف ٩:٦) غباوة المرضيين عن أصول الدين . الاستغاضة بالعلم عنه ٥٧

وقاحة أحداث الذكارة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض
بها أمثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايبنز (٤) وهيغل
(٥) ليست خلية بالتفاهم وميلهم للأجولة الأغبياء منهم كالمطيطون بها في هذه
الأيام وهي قول أحدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي
ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة
الروح والجسم أو تغايرهما فحسبي الاشتغال بالعلم »
اننا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستشاف عمل الديانات سالكا فيه
طرقا أخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبيا
ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون
بلوغه من طريق الهداية الإلهية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج لبلوغ
الحق وان كان من المتعسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقها حالة
المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يفدنا في بعض ما قد بهمنا
استقصاؤه من المسائل الأشياء من المعرفة قليلا جدا فاننا اذا استثنينا علم تركيب
الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي اليها من معنى الانسان على ما فيه من
المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وشام طبقات الارض لأنه قد فتح اعقد لنا
منافذ نلج منها على بعد منتأ الحياة رأينا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف
فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق وله
سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كير بونت فرانك سنة ١٦٢٣
ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٤ اعتزل في بورديو
دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير ولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيغل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العمل الأولى التي هي أهيج اشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني بحجيب بأن هذه العمل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من متناول العقل فأقول له ما هي غاية علمك في هذا أظن أن ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه ومساكنه المتزايدة أم تريد أنه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على ما يحمله لينيم طمع عقله ويحمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتمد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكافة له أما لشرف في طبعه أو لحسة فيه

ولو أنه كان يكفي للتخلص من المسائر العيرة أن وصف بأنها مضلة لاجل لها لكان التفصي منها في غاية السهولة. كل حي يطلب النمو لجسمه ما عدا الانسان فإنه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات العضوية بطاب الارتقاء بفكره الى ما وراء حاجاته المادية فطابه الارتقاء المكري موحود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ما عسى أن يعود على العالمين على إزاله من المائدة بتكف احتقاره والزراية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزع من النفوس الشعرية فإن تطله الانسان الى ما وراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يطلبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تمير عقولنا أو تنوع عن ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مروبات الوسوس والاهام والاعمال المنبثقة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شفات من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التمرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا نرى أنه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وأنه يبعد عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافي

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذهب الدينية والحكمية متقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الأديان المقررة في أيامهم بل اغوا من تعاطيهم لهظالم وناجرتهم بالسراير ومعارفتهم للفظائع مبلغا بها بالعقل في اشهر نزاره بن سبرتهم الى الجحود المطلق فالتفسيرون

هم دعة الاتحاد للاتاديون .

ومن الثور تجسيم امر الاتحاد فانه ذنب خفيف في ذاته يتزلزل مذخورا امام وجدان الانسان وانما الآثام المينة والجرائم القوية الحقيقية بأن تدافع نور الهداية والعرفان هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التستر برواء الدين نعم تلك الآثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز المسائل وهو قلب مشوون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يحار حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عقائد متكبها لي بعض ما يقتضيه من ضرر السلطة والقوة تسع بعض المتفكرين اذا راعهم قلب الشر على الخير يصيرون قائلين لأن لا يكون لنا الله خير من وجود الله ظالماً (١).

ويجب أخروفت على المذاهب الدينية والحكومية أنها لم تبين للناس بياناً مقنعاً شيئاً من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار ولا اختيار وأنا أسلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلا منها قد ساء بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأحيا من الطرف والمخ المولاه لظالم محمواً في مجاهل الضم وكما يرى من يودون بحوال الدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكير فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا ومبادئنا فهم يقولون أنه رؤيا خيثة رأها النوع الانساني في منامه وأنه بنشأه في طور التدلي والهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيأت أن يقتعوا واحداً من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدينتنا الحاضرة إنشاء حسناً أو سبياً خلافاً لاثابن باطلها وأحثك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصولها لأن

(١) اجندر بمثل هؤلاء النظار ان يسموا محبياً فأهم هموا عن سنن الله تعالى في الكون وجهلوا ان الشر الذي يضحجون منه انما تنبع من مخافة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بخلام للعبيد » وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون « تعالى الله عن الظالم علواً كبيراً » من هاشم الترجمة

٩٠ تعليم المسيح وكون النصارى على تقيضه الاستقلال وترك التقليد (المنار ٩: ٦)

ما يخص اليك من مطالعة الانجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الانجيل مثلا ان المسيح كان يابى دائما امثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزيارة اليهود عليه رلوههم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يمزج لسماع بعض المواضع الانجيلية فليس ذلك يذبح فان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صفاتهم وسوا المستضفة من منهم ووجوب تكريم الطفل والحنو على المرأة الخاطئة وانك لا تجد في غير كتابه أكثر مما تجده فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحقق ولا أكثر من ضروب الخراء ان المتكبرين المستأثرين الذين يتفخرون بالعلم على غيرهم من المخلوقين وقد كان لديه لفتراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وامثاله الرائعة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وتأييد مزايا الانساب وفرط التغاير في انتمى لم يحصل الا ببلوغ رجالها في السكر حدد الاعجاز فذلك الامم التي نسي انفسها مسيحية وفتقد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت مامن أوقات وجوده لا تعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكومية وليس علي ان أتعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يؤدك اليها بحثك اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاحول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلني ولا وسيلة غيره لتزوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء اثقات المشهود لهم قد عهد اليهم بتحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يتأدون على ان يفكروا بمخاخ بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على ان ثمة أمراً لن نتعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فمالك ان تطلب الحق في نفسك مستمينا في طلبة جميع مالدك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احترامك وتيقظك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطئ في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا ننس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتمام

وفي ختام مكثري أقول لك من صميم قلبي اني وليك الحميم

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وأنه مادفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الاتحاد لانه ذنب ضيف في نفسه وأما الذنوب القوية التي يمز زلازلا هي التي تقرف على أسما من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة القائلين لم تبين شيئا من نظام العالم ولنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب وعذره انه لم يطامح على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراج محاسن الانجيل وتصريحه بأن النصراني غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها

أخبار علي بن أبي طالب عليه السلام

لامية أبي طالب في الشعب

ما أنظر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الإسلام عظم ذلك على قريش فتصدت له ومن آمن به بالأيذاء بل اتهموا به وأزعموا على قتله فتمه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فنادتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكانت يثي على النجاشي بأنه لا ينال عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الأسواق ومنعتهم الرزق وأجمعت على أن لا تناكحهم ولا تتكلم منبهم صلحاً ولا أخذها بهم رأفة حتى يساءوا له لقتلوا بذلك صحيفة وعثوها في الكمية وتمادوا على ذلك ثلاث سنين ناشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرضة لحست صحيفة قريش إلا ما كان أساء لله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط ان هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فاحست ما فيها فان كان كما يقول فأفريقوا فوالله لا نسلمه حتى تموت وان كان يقول باطلاً وفناء اليكم فقاتلوا رضىنا ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يامعشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين امنار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال
هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة
جدا لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهي أنجل من المطالبات
السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة
وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خايلي ما أذني لأول نازل يصفوا في حق ولا عند باطل (١)
خايلي ان الرأي ليس بشركة ولا تهنه عند الامور البلائل (٢)
ولما رأيت القوم لا ود عندهم وقد قطعوا كل المرى والوسائل (٣)

(١) الصفوا كالخبراء وصف من الصفو وهو الميل بذال صفوت اليه واصفيت
يقول ان اذنه ليست بذات صفوا الى حديث اول نازل أي لا تسمع قوله سماع قبول
وانا كان لرحاته ورويته لا يقبل قول الاثم الاول - وهو ان الذي من شأنه ان
يستري السمع ويستخف النفس لتعاجبه بما ياتي من القول - فهو أجدر بأن
لا يصفو لتعادل الثاني ومن بعده

(٢) التهنه كجعفر الثوب الرقيق يشق عما وراءه فاستعاره للرأي النسير الذي
يظهر ما وراء الامور من العواقب . والبلائل كالزلازل الهولم والوساوس جمع بلية
أو بليال كزلزلة وزلال . ولعله يعني بالرأي رأي قريش الذي يشرح في الآيات
التالية يقول انه ليس بالرأي الجيد الذي أثمره اشتراك العقلاء فيه ولا بالتفسير الذي
يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصوابي نفسه لا يكون عند الشك
مشركا مقسما ولا رقيقا يذرك الحضم مقبته ويجوز ان يريد بالتهنه الضعيف . والمراد ان الرأي
عندئذ يجب ان يستقل به الناقل ويكتفه اربابهم به

(٣) المرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي
كل ما يتقرب به يريد انهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي
يمكن ان تقرب بعضهم من بعض ليربطوا بها في المستقبل

- وقد صار حوتنا بالمدواة والاذى وقد طأوعوا أمر العدو المزابل (٤)
 وقد حالقوا قوما علينا أظنة يعضون غيفنا حائنا بالانامل (٥)
 صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأيضض غضب من تراث المناول (٦)
 وأحضرت عند البيت رمطي وأخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٧)
 قياما معا مستقبين رتاجه لدى حيث يتضي خلفه كل ناقل (٨)
 أعود برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو مالح باطل (٩)
 ومن كاشع يسمي لنا بهيمة ومن ماحق في الدين مالم نحاول (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (١١)

(٤) صار حوتنا بالمدواة جاهرنا بها حتى صارت صريحة خلسة من شوائب التأويل . والمزابل المفارق المباين والصدو المزابل تصعب مصالحته وموادته ولقاء الأعداء قد يذهب بالمداء

(٥) التحالف التماسد والتناقد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر نفسه حبسها والسمراء السمحة النماء اللدنة تسمع لحامها بالهز والطعن والأيضض الغضب السيف الفاطم والارث والمناول جمع مقول كثر وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستشار إذ يكن من آباؤهم ملك

(٧) رعط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة بيانية كانت الكعبة تكسيها

(٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والناقل مؤدي

النافلة وهي التطوع بالبادق ويعني بحيث يقضي الخ منام إبراهيم

(٩) المالح بالشيء المواطى عليه وأصل معنى المادنا التصوق

(١٠) الكاشع الصدو الباطن المدواة كأنه يعاوي كشحه عليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراداه وهو تفسير بالأعم وقال في الأساس طلبه بحيلة وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والنازل هو من يصعد فيه للتعبد زمانم ينزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

وبالبيت حتى البيت من بطن مكة
وبالحجر الأسود اذ مسحوه
وموطى ابراهيم في الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين الى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
يطاع بنا العدى وودوا لو أننا
وبالله ان الله ليس بغافل (١٢)
اذا كنتوه بالحجر والأصائل (١٣)
على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
وها فيهما من صورة وتماثل (١٥)
ومن كل ذي نحر ومن كل راجل (١٦)
وهل من معيذ يتقي الله شائل (١٧)
تسد بنا أبواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة)
فقوله حتى البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله
من بطن مكة

(١٣) ا كتنفوه أحاطوا به والأصائل جمع أصيلة لغة في الأصل وهو ما بعد
العصر الى الغروب وجمع أصيل أحال وفي قوله الأسود حاف يعيب مثله المزلدون

(١٤) موطى ابراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت العرب ان
ابراهيم وطى هناك حافيا تأثرت قدمه فيه والتماثل لايس التماثل ورطبة حال من
الصخر ولا يريدانها كانت رطبة بعابها بل كرامة له

(١٥) أشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو السري
الى الناية ويطلق لغة على الزاية والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التثنية وهما
علمان بمكة يسهى بينهما تسكاً وقوله الى الصفا معناه منتهية هذه الاشواط الى الصفا
اذ به يحتم السعي وتماثل أصله تماثل جمع تماثل حذف الياء ليستقيم الوزن

(١٦) ليس فيه قول غريب

(١٧) الإشارة راجعة الى ما ذكره وهو رب الناس وتلك الأماكن المقدسة
والاعمال الشريفة والبادلون اناسكون وهم الحجاج فهو يقول ليس بعد هذا الاشياء
ما يعود ويأتى اليه النائد فهل يوجد معيذ نادل وسير منصف يعيذني تعظيما لما عذت به
(١٨) العدى بالكسر والضم اسم جمع العدو وفي رواية الاعتداء وهو بالمد جمع
عدو وتصر الوزن وفي اناج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا والترك وكابل

كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩)
 ككذبتهم وبيت الله نُبزى محمداً ولما نظاعن دونه وتناضل (٢٠)
 ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
 وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢)
 وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأ نكب المتحامل (٢٣)

(بضم الباء) صنفان من العجم . كذا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كامل من ثغور صخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً . والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم أن لا يقبلهم العجم أن تصدوا اليهم فضلاً عن العرب وأن ينفوا اليها فلا يهودوا (١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا نتركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل ووساوس وروي ثلاثه وهو جمع تلتة بمعنى الاضطراب (٢٠) يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النبي كالذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير «تفتؤ تذكر يوسف» أن القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كان على النبي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النبي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا تغلب وتقهر بمحمد والحال أننا لما نظاعن أمامه بالرماح وتناضل خصومه بالسهم

(٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصرع الشديد يقال صرعه إذا ألغاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليمة وهن الأزواج

(٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء وأحدثها صلاصة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأداود والقربة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصلاصة الماء في المزادات والقرب .

(٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والردع بالفتح اللطم والآخر من الدم وركب رده

وإنا لعمر الله إن جدد ما أرى لتلبس أسيافاً بالأمثال (٢٥)

يكفي فتى مثل الشهاب سيمدح أخى ثقة حامى الحقيقة بإسـل (٢٥)

وما ترك قورم لا أبالك سيداً يحوط الدمار غير ذرب موركل (٢٦)

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧)

غمر لوجهه على دمه والأُنكب المائل إلى جهة والمتعامل اسم فاعل من تعامل عليه إذا فعل عليه وجار، يعني وحتى يخر الحقد على محمد مطعوناً يركب رده فعل فعل الأُنكب أي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الأبل في منابها قتلها وتمشي منحرفة

(٢٤) جدد الأمر اشتد وعظم والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه والأمثال الأشراف يقسم أنه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عنه فيها

فإن أسيافهم ستخالط وقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شعله النار والسميدع بفتح السين والهمزة المهملة السيد الموطأ

الأُكناف أي الممهد الجوانب التي تأوي إليها الغفاة والقصاد، والحقيقة ما يحق للرجل أن يحصيه والبأسل الشجاع الشديد، يعني فصاحب الصفات التي صلى الله عليه وسلم

(٢٦) يحوط يرمي ويحمي الدمار ما يندس له إذا نيل ويقولون حامى الدمار وحامى

الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل ما يجب عليه أن يحصيه، والذرب بفتح فكسر

القاحش البذيء اللسان وسكن الرأه هنا للضرورة والنواكل من يكل أمره إلى غيره

على سبيل المشاركة في الوكل، والوكل بالتحريك من يكل أمره إلى غيره محجراً أي

كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره

(٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت قبله وفروء هنا بالكسر فتى الخزانة

قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالياض فيقال له عندي يد بيضاء أي

معروف وأورد هذا البيت: والنعيم السحاب والبال بالكسر النيات والمليجأ حيث قومه

ويضعهم عند الحاجة والعصمة ما يتصم به ويستمسك، والأرامل جمع أرملة وهي من

مات زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا يجد ما تلا، وقال ابن السكيت الأرامل

المساكين رجلاً ونساء وقيل لإطلاق الأرملة على الرجل غير قياسي وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩)
 بميزان قسط لا يخس شعرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل (٣١)
 وكل صديق وابن أخت نعمة لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا قد زادهم وانتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يجد له ملجأ
 سواء كما يقال ترب فلان وأرب إذا انتروا كما يقال فقر مدقع من الدقاء وهي الأرض
 لا نبات فيها والتراب. حمل قوله يستقي النمام بوجهه على الحقيقة وقالوا أنه لا تباينت
 على قريش السنون استسقى عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاما فسقوا رواه
 الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادر أن الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم
 مصدرا للخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيرا ما سمعت النامة يقولون في ذي الوجه
 الحسن لاسيما إذا كان مهربا أن رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع
 الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

(٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المورز والصعلوك السي الحال يطلب فضل ذوي
 المال. والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس واحداها فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لهم ولدان أمين وكان
 ولدا أعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
 قصي قال في الخزاة وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب يوم بدر

(٣٠) القسط العدل ويخس ينقص والمائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا
 الذين يعادون وتاويون ذواتنا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعيرة وصف هذا الميزان بأنه
 يشهد لنفسه بالفسط أر إن القسط نفسه يشهد له وإن هذا الشاهد لا يميل ولا يجور. وما طلب
 أبو طالب جزاء القسط لأعدائه إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الأشراف مستتارة من ذؤابة الشعروهي
 الحصلة من شعر الرأس

(٣٢) القب بالكسر العاقبة أي خاب أملتنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
وزعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشهم من الشم البهليل ينهي
إلى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)

أمري لقد كانت وجداً بأحمد
فلا زال في الدنيا جملاً لأهلها
فمن مثله في الناس أي مؤمل
وأخوته دأب الحب المواصل (٣٦)

(٣٣) المصقة النقوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكثير تقول اني براء من كذا وهم براء منه وبالضم تخفف من براء ككرماء ووزنه غماء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب. والحسام السيف الطاع والخمائل ما يحمل به السيف جمع جملة وهي الملافة وقيل لا جمع له من لفظه والمجرد المجرد. وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحماماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشهم ذوالشهم والسيد الكريم ذوالأنفة. وكانوا يتمدحون بشهم الأنف وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه. والبهليل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضيافة وقال ابن عباد هو الحي الكريم وحومته الشيء معظمه وجهه

(٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولمت به. وقوله وجداً معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لأنه يشمل كل ما يجده في قلبك من التأثير الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه. ويعني بأخوته أحمد أولاده الذين ضمه إليهم بكفالة إياه وهم جعفر وعقيل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا إن ألم أب فأولاده أخوة. وقوله دأب الحب المواصل يعني به أنه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفعل الحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشاكل ما يلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم فأي هذه هي الدالة على الكمال

حلیم رشید عادل غیر طائش یوالی إلہا لیس عنہ بغافل (٣٩)
 فأیدہ ربّ العباد بنصرہ وأظهر دینا حقہ غیر ناصل (٤٠)
 فواللہ لولا ان أجيء بسبہ تجرّ علی أشیائنا فی القبائل (٤١)
 لیکنّا اتبعناہ علی کلّ حالہ من الدھر جدا غیر قول التہازل (٤٢)
 لقد علموا أن أبنا لا مکذب لدینا ولا یعنی بقول الا باطل (٤٣)
 فأصبح فینا أحمد فی أرومۃ یقصر عنہا سورۃ المتطاول (٤٤)

والتفاضل التغالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش النزق والخفة وهو ضد الحلم وموالاة الآلة اتخاذه ولياً وناصرأ
 (٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
 يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج
 منه نصله أي حديدته

(٤١) السببة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتجرّ من الجريرة وهي الجريمة والجناية
 (٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تعال قد يأتي بمعنى فصل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه
 أبلغ من المجرد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب
 قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس بممازحاً لهم ومتهازلاً معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
 سبيل الجد . وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

(٤٣) قوله يعنى بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهماً معنياً واستعمل قليلاً بالبناء
 للفاعل فقالوا عني كرضي والأبطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

(٤٤) نوّن أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل . المتطاول في الأصل هو
 الذي يتجدد ويطيل قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
 وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول ان يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
 الذي يمد قامته وينصبها ان يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشئ بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا
 سورة الحمز بمعنى حديثها وسورة الحمد بمعنى ارتفاعه وأثره وعلامته وسورة السلطان بمعنى
 سطوته: والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
 وكل هذه المعاني المضطمين تظاهر هنا فأنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدثت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل ٤٥

(تقاريط)

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندي الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري بيلدة (افارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) ببلبنان . وهي تعريف بيلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . امام موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما أسلوبه فيمثل لك أسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار ، والمصنفات في علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بايضعونه من الاصطلاحات الغيبية الملكوتية بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

هان الحقيقة فردية لا تتجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعى ، هو لاء لا يفتشون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هو لاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسمه المركز لاهل الكرة الأرضية ، ودعه مركز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمعتدين من رفعة وشرف وسطوة ووحدة

٤٥) حدثت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالأحباب لا تمنع عنه الأذى يقال حذب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذرى أعالي الشي جمع ذروة والكلاكل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو غالب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونبيه ولكنهم لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضله في حماية الاسلام ومن جاء به لا بد ان يخدمه أحد في ذلك الوقت وقت المعجز والضعف فجزاه الله خيرا الجزاء

البسمة والدينية، وسماه الطبيعة ان كنت ممن يصبح بأن «امادة لا تتجدد ولا تنعدم»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألته أحد طلبة «تناسخ الارواح» ! وصفه بالجرشمة
(الميكروب) ان تجهورت في نظرك الذرات ؟ وعرفها بالتخلق ان درست علوم
النشوء وتاجت (داروين) ، وسماها الصوت ان كان لك ميل في تعرف النغبات
الموسيقية وفهمها، ونادها صورا متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل
من الفنون والافتن، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفها بالذرة ان كنت ممن يستمين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهرية
«الميكروسكوبات» واصطلح عليها سياسة لاقتصاد للجامة الانسانية ان
وددت تسير الأمم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بمن تخلق ونشأ فيه،
واغتيا «الكربة» ان درست معلومات هارفي ومن اتبعه، وأقرأها الحرف في
كلم الفونين . وسماها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب»
او محب استماع مناغاة الطيور على اوكارها . أو تميل الى تفنن الضاربين على
الاوتار والمطر بين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت
جبتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في افلاك بأسر مدبر دقتها . ومبخر مائها ومهرق
قائها ان تعالبت العلم ولو في الصين واجرها سيارة بارادة قائد هاروقوة جاذبتها
ورافقها ان كنت تبغ حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لاصابع بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لأعمى بين الخروع والشبعم . لانتقال بين الحركة والسكون لافرق بين
الابيض والاسود . لاتجزئه بين الكل والفرد . لاهيولة بين الجوهر والمرض .
لاشفاء بين المرض والمرض ولا تغليل بين البيت والحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين القائم والماتم . لاصوم بين الشك والروية . لادفا بين
الماء والنار . ولا نعيم بين البطلان والرجحان . ام المثال بتصه وضبطه
حسب القاري، هذا فقد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياة كلام . بهذا الكلام .
الفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والجفرية تشبه خروا من

أنواع شتى وضع في علبه وخضع حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخرج فظام
نظما غير مأوف ولا معروف . فياليت شعري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما
ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابلوه بتصفيق الاستحسان ، أم
بصفير الاستهجان ؟

﴿ الزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من
الفوائد الفلكية والتاريخية والأدبية والسياسية والإدارية والتجارية مالا يستفي
عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولانا سيدي محمد بن الخوجة من أفضل
الكتاب في تونس وأوسعهم علما وإطلاعا على الكتب العربية والأجنبية ومن
فوائد القسم التاريخي في زنامة هذا العام كلام مسهب لأحد علماء جامع
الزيتونة الإعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوباً
إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأرواح
بوعلمهم ولم أر هذا العهد إلا في الزنامة ولم أسمع بذلك أيام نشرته جريدة اللواء ومنها
تاريخ صيد المرجان بعمارة تونس وتاريخ شركات الأخبار التلفزيونية وتاريخ
خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المدنية بتونس . ومن
فوائد القسم الأدبي معجم لأسماء الإعلام الإسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس
ومدة التماسح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها
وكذلك القسم الإداري وفيهما كل ما هم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم
وصور كثيرة منها رسوم بعض المماهد الحجازية الشريفة وقبور حواء أم البشر
وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . وثمن النسخة من هذا الكتاب
١٥ فرنكا وهو يطلب من إدارة جريدة المنبر ومن محل الحساب في القاهرة
(طوابع الملوك) «مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي
مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميرياً . وكنا
كتبنا تقريرا معلولا لهذه المجلة الثمينة في هذا المصنف فضايق عنه الجزء الماضي
ولما لم يرد إلينا بعد الجزء الأول منها شيء . وقد مضت أشهرنا كتبنا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريرا جامع ولم ينشر ثم فقدت وهي لا تزال تصدر بانتظام فتشئ لها طول البنا والارواح بالتوفيق للخدمة النافعة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن الوصف والتعريف لشهرتهما بتحريرهما في المؤيد بالبين الطوال وباشتغال الاول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم المؤيد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما متيدين برأي غيرهما ومما يتوي الرجاء في نجاح المنبر وغبة كثير من الكتابين في أن يكونوا من خطبائه . فنسأل الله تحقيق الامل ، مع اتوفيق خير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السور بين بجر بدته ويستفيد من اقبالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفكه في الكتابة يشوق القاري . لاسيما اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألطف من مزج الماء بالراح كما يمزج الهزل بالجد فيجمع للقاري بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والأدبية تنفع للناس من عنابة غيره بالمسائل السياسية والمذهبية

بَابُ الْحَبْلِ الْأَلْوَنِ

﴿ زيارة الأمير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الأمير شيخ علماء الاسكندرية رغبتة في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لرؤية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فظلم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمس المعلمين بتلقين أفراد من كل فرقة مسائل يمسر الأمير سماعها وزينت مصلحة الأوقاف المسجد والطريق اليه زينة جميلة وبافت حاشية الأمير (المنية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرها من كبار الازهر رغبته في حضورهم
هذا الاحتفال و بعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسعدوا من الامير
النصائح التي تتفق بشؤونهم وقلد يده الشيخ شاكراً الوسام المجيدي الثاني وهم
ينظرون فيبين لهم بالقول والفعل رضا عن عمله في ادارة التعليم
لهج الناس بما للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية وما قيل وكتب
ان الامير اعزه الله واعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمونها الجديدة
كتقويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه وأخطابه ففرحنا
بذلك وسررنا لأن هذه ضائتنا المثيرة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد
يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير لعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك
وقد طلبنا فحفظنا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيّب كتب
ما سمعه بعد الخروج ونحوى فيه الالفاظ بقدر الطاقه وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مبالاة الى تبادل الآراء النافعة

والسعي وراء الصالح العام

« انه كان في مدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات
رسمية لأرى الا الرؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى
ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الجهول
ومن ذلك الوقت عزمت على رفقة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مراتب تقوم
بمحتاجهم وكان نتيجة ذلك المأاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا
الى بعض العلماء من الازهر تسميا للمواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان
بينهم وبين الاسكندريين غاية الوثام حتى داخلهم بعض الدسائس التي أوجبت
زيادة النفرة فيما بينهم وقاسى فيها الشيخ شاكراً بعض المقاساة كما قاسى في المدة
الاولى من الحصاد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا فمررنا على « مائة علماء
الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الجلالة الاولى لولا اننا أملا اصلاح
الجمال ومناجاة العمل النافع

«غير أن ما زال يوجد (الأصل «في» بدل يوجد) بعض أفراد يحبون أن يستعملوا «الفلسفة» لأنهم لا قدرة لهم على العمل لأنه ليس كل متعمم شيخ فإن بعض الناس يظهرون بمظهر العلماء ولا يحسنون شيئاً من العمل مع أن العمل قد وضعنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكثرة) وصار الاختلال به مضر جداً

«وإنا أوصيت الشيخ شاكر أن يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على أكثر أو الأقل فيزوم كل واحد السكينة ويلزم الكبير برحم الصغير والصغير يعتبر الكبير وإن يترك «الفلسفة» فإني إن شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الأمل في أن تزيد الماهيات والمرتبات حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«إنا اشتد على الشيخ شاكر بيئي وبينه وداء أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي أمل شديد في حصول المطلوب كما أنني صررت جداً من حالة أبي العباس والطلبة ورأيت نجاحاً باهراً ولي أمل أن شاء الله أن يكون الأزهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الأزهر تقول - وفي رواية قوليه - أن بعضهم قال - نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جداً استعناهم فوجدنا الأمر فوق المرام بهمة أفندينا) الحمد لله لنا أمل قريب يظهر علماء من الاسكندرية ينفعون وطنهم وإذا خطب أحدهم لا يخشى الإنسان من سماع خطابه ولكن هذا لا يكون إلا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما أننا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لا نحب المجاهرة والنفوغاء بين الناس (وهنا التفت إلى شيخ الأزهر وقال له) أحب أن يكون الأزهر متحداهم الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فإن حالة اسكندرية تسر جداً وأرغب أن يكون الأزهر كذلك ثم إني أحب جداً لزوم السكينة وإن لا يحصل شيء أبداً حتى إذا جئنا من السفر لا نسمع إلا ما يسرنا» هـ

قال الكاتب أنه لم يترك شيئاً مما قبه الأمير إلا كلمة أشار بها إلى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفلسفة والوشاية فأمرزكي أشافكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول: أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار القول من

الشيخ من الأمير وقته الله. وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الأزهر
وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا
خطبته عند إلباس الكسوة لشيخ الأزهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

انتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذا كرم الاستاذ
الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى
تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الاغنياء للاكتاب فكتبوا
في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا
مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة »
وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعتهم يذكر الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون
نخشى ان نكون مقطعا ثانيا ومن الناس من يحزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء
الأعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا
الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائلين بهذا
العمل وقصدتهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم اضرار مصلحة على مصالحها، وأنهم
يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ايست مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لها
والمحتلين أعداء لاهابها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهب الجرائد عند
كل عمل منتقد للحكومة صائحة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين،
وأنهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متعمدين، كما يعلمون أن من
الخيانة للبلاد السكوت عن انتقاد مايجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها
بالدليل والبرهان، مع أدب القلم واللسان، وذلك هي الطريقة المثلى، في هذه
الخدمة الفضلى، وسبى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء
مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يعد هار كنانة يشبه ولا
لرفته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة أقوى
من الرجاء في إخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يقولون كتابتها
وتحريرها فانا ظنر مجلس ادارتها بالكتابيين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشرعية
والقوانين ممن لا تنبسط أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استمال أمثالهم تسمى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كلها والمرجو
واذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة وآها الناس دونه لا نهم ينتقدون أن
تكون أكثر اتقاناً فهم يزعمونها بهذا الميزان

سجل حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لاصيد الحمام الداجن في
جهة دنشواي التابعة لكرشين الكوم وكانوا الموابني سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفق ان تشتعل النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانهم فاضوا بعض الفلاحين لصددهم عن صيدهم حراسا عليه وخوفاً على
أجران غلاتهم ان تسرق من نزل بنادق وفي أثناء المناوبة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بنار بنادق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المناوبة ملاكمة وضرباً بالعصي ولطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضروبين بالسير الى المعسكر لطلب
النجدة فسار في حرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلموا أسلحتهم
للفلاحين فمازاهم ذلك الاخشوة وعذروا وقد سلموا من انهم باط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المخاضين لأن العز يزعد الإهانة الصغيرة كبيرة
ومن يسهل الهوان عليه فأجهوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
الخاصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكماً لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالشنق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل سنة وعلى خمسة وخمسين جريدة فقط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبمنضمهم
ينظر الى بعض والاهل والاقربين ينظرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان
وكان الجسد في نظر الناس أشد من الشئ فكان لذلك أشد تأثير المزعج للناظرين
ثم لجميع أهل القطر فبت الجرائد للاتقاد والشكوى وكثر انعط الناس بظلم
الانكليز وقال المتقدمون منهم انما كان ذلك اللين السابق قبل تمام التمكين في
البلاد ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبقا قال انظر خارجية انكلترا في التعصب
وقد اشرنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزء حتى قصرت السنة الذين كانوا يشنون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول
يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندي أن الأوان هم المنتصرون لأن القوم
إذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو انصاف بالمساواة في مثل هذه
الواقعة يجري الفلاحين على جيش الاحتلال لمصعبهم أو لحشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن مما لا تطمح النفوس الى الجراءة عليه فإنه لا يمكن للمخالفين ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقفال هذا الباب فان السياسة النجعة في كل زمان
تقول لهم أصبتم في التكيل بضمه رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص المادي لمنع حدوث فن ربما أدت الى قتل من لا يحصى من الرجال
وافساد كثير من الأعمال . واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لاسياسي يقول
لنا المنتقد ابن القانون أو الشرع الذي بني عليه الحكم ومضى كان الرأي المجرد
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم
طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لشقائه أيام معدودات ؟
فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ
الأمن وتهذيب الفلاحين ليعلم العدو الذي تأصل في البلاد بضمف الدين وقوة الجهل
وزوال هيبة الحكومة وان لا يهود مثل هذا الخطأ في الفهم بين الخنئين والمصريين آمين

وقد أشر بفلسطين الى اليمن والثورة

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لها الى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع للدولة العلية . والدولة لا تزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعا والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كله وأنى لنا بهما

لدولة ومؤتمرا لاديان في اليابان

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزء سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمرا الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طالبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستانة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب واني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

(الى وكيل المنار الصديق في تونس)

قد بسطنا رجاءنا لو وكيل المنار القاض في الجزء الأخير من السنة الماضية والجزء الأول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجروا بنا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نهد إليه بالوكالة وكفنه القبول كتب إلينا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وأنه أرسل طائفة من النقود التي حاسبه عليها وأنه لا يثبت أن يكتب إلينا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا إليه نذكره فلم يرجع إلينا قولا ولكن جاءتنا طائفة من النقود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقين الأديبين اننا أخرج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لأن سنة المنار التاسعة قد انتهت بهذا الجزء ونحن لا نعرف من سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بإرسال ما عليهم إلينا ولهم لا يبلغون عشرة في المئة من مشتركى تونس ولهذا يشذروننا ان نطالب أحدا منهم بشي ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فسي أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليتنى لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار ، ونستريح من ألم الانتظار ، ونشكر لهما الشكر الصميم ، وأما الأعمال بالخواتيم ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الأنبياء

المعراج
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون
أو لعل الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأنبياء

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

(مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦ هـ)

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيطة الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت
حطيطة ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال
إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول
في ؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال
فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرمائك
وأنا أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأنتهى
به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا
يمدون أقصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للحجاج
أنه في آخر ريق فقال أخرجوه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية)
فأنتهى أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة فقال شربة ماء فأثروه بشربة ثم
مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي أن عمر بن هبيرة (والي العراق لبني أمية) دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هاهذان - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو أني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا أحب حفظهم وتعمد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجده عليهم فيه فأقبض طائفة من عطايتهم فأضمه في بيت المال ومن ينبي أن أردده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحر فيكتب إلي أن لا تردده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور واجبة فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت أصلح الله الأمير انما السلطان والله يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعمد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة وأنني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» (١) ويقول أني رأيت قبضت من عطايتهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضت على ذلك النحر فيكتب إلي أن لا تردده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فإنه

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على عمالك يا ابن هيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يمنك من
الله وان امر الله فرق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله وانى أحذرك بأمره
الذي لا يرد عن القوم المجرمين: فقال ابن هيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الأمة لعله به وما يعلمه مما فضله
ونيته: فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك بسوط وبسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرك ويمسك فقام ابن هيرة وقد بسر وجهه
وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا
ومروقه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لا أدري اليه وكنا أهلا أن
يقبل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس المربي
بين المقاريف (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه
وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر بمجلس أمير
المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
النفاريون وشكوا الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
النفاريون يا أمير المؤمنين سلمه عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان أبوه غير

عربي ويقال به الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما أقول في قال تعفيني يا أمير المؤمنين
قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله
لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن
الظلم ببابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي
ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم
والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد
ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقسموا بالسوية وأخذوا بأفقاء فارس والروم وأصغروا
آثاقهم قال فدخل أبو جعفر قفاه وخلي سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق
لفعلت فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أني لأنصح لك من ابنك
المهدي قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان
الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك
له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في المهدي
وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين
وأنا بالساحل فأتته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلقة رد علي واستجلسني ثم
قال لي ما الذي أبغاك عنيا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال
أريد الأخذ عنكم والاعتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيئا
مما أقول لك قال وكيف لأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك
إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده
إلى السيف فاستهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت
أنفسي وانسبست في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن
بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إما عبد جاءته موعظة من الله في
دينه فأخذها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله
عليه ليزداد بها إنما ويزداد الله بها سخطا عليه» يا أمير المؤمنين حدثني مكحول
عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما وال مات غاشيا

رعيته حرم الله عليه الجنة (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لبن قلوب امثلكم لكم حين ولا كم أمورهم اقرا بتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محرودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعمولاهم سائرا لا تفلق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تتهج بالنعمة عندهم وتبتش بها أصابهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعت منهم فثام وراء فثام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامة سقتها اليه ، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناققين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمثك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارا مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام يا عباس يا عم النبي نفس تحيها خير من اماراة لا تحيها (٣) نصيحة من لعمه وشقة عليه وأخبره انه لا يقني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقرين) فقال يا عباس ويا صفية

- (١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي (٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي ويا فاطمة بنت محمد أني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي علي
والكم عمارك (١) وقد قل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس الا حصيف
التمل أرباب الله لا يناع منه : على عورة ولا يخف منه : على حرة ولا تأخذه في الله
لومة لائم وقل الأمراء أربعة فأمير قري ضف (أي منه) نفسه وعياله فذلك كالجاهد
في سبيل الله بالله بأربعة : إياه الرحمة وأمير فيه ضف نفسه وأرتع عياله لضعفه
فهر على شفا هلاك الا أن برحه الله وأمير ضاف عياله وأرتع نفسه فذلك الحطمة
الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة » فهو الهالك
وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعياله فلم يكو أجيباً :

وبعد أن أحال في وضعه بما حدفا به اختصاراً قل
« يا أمير المؤمنين من أشد اشدّة اقيام لله بحقه ون أن أكرم الكرم عند الله
انقوى وأنه من طالب المزا بطة الله رفقه الله وأتزه ومن طابه به صية الله أذله
الله ووضه فله نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي الى اين فقلت
الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها والله الموفق الخبير والمهين عليه وبه أستعين وعليه أنوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخني من مطالعتك أي شيء هذا فانك المقبول القول
غير المتهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن معصب فامر
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأبيس
نصيحتي بهرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة
لبصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف اذ سمع رجلاً عند
الملتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور النبي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه فخر جو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قواه ثم خرج فجلس ناحية من المسج وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصل ركنين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المصور ما هذا الذي سمعته بك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني فقال يا أمير المؤمنين إن أمتي على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها وألا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت: قل وبحك وكيف يدخلني الطمع والصغراء والبيضاء في بدني والخلو والخامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك نفسك فيها عنهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظالمة إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضيف ولا الفقير ، ولا أحدا إلا وله في هذا المال حق ، فلما رأك هؤلاء انفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيته وأمرت أن لا يجيبوا عليك بجبي إليك الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لنخونه وقد سخرتنا فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر إلا أفصوه حتى تسقط منزلته وبصرف قدره فلما انتشر ذلك عنك وعظم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والوال ليقوا بهم على ظلم رعيته ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيته لئلا يظلم من دونهم من الرعية فملاّت بلاد الله بالطمع بنيافسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد ذهبت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختاف اليه ويلوذ به ويشكو ويستقيث وهو يدفعه ويقتل عليه فاذا جهد وأخرج وطارث صرخ بين يديك فيضرب ضرا بامير حال يكون نكالا لغيره وانت انظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا . واقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون : ظلمته الى سلطانهم فيتنصف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وبها ملك فقد متهم مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك نبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لظلم بصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سمي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشر كين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

و بعد ان أطلال في موعظته وخوفه من اذ عذاب الآخرة بما حذف به منه للاختصار يبكي المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هو بوامتك مخافة ان يحملهم على اظهار من طريقك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمراك ورعيته . فقال المنصور اللهم وفقني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في مصر قبل الثورة المصرية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لربياس باشا وكان الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحاً مدبراً إذ كان برئاسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كالسيطر على جميع أعمال الحكومة كما يبا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقاداً كان له شأن عظيم في إصلاح شأنها وأما نورد هنا بعض مقالاته نقلاً عن الجزء الثاني من تاريخ حياته (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٢٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة أمر ذلك كله بشباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذاكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاماً كثيراً اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريباً على الأذان وحشياً عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) إذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطية أرفع من حطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكاتب من المكانة عند الحكم والتصرف في الحقوق فاكثفوا بارسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجدها أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها اولئكتنا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تنبعت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات المبرية أو طلب الكسب من وجوه آخر ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آباؤهم لعلمهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكان في انتظار توفيق الله يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سقت الينا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا يا سبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتعاشي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغربية أو العسرة الفهم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العملية لقربها الى الفهم كاحداثيات تسلي
 بها النفس بل الذهن ذلك اذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد
 فتجذب نفوس الناس الى مستلحات العلم فبدل صرف أوقات ليلهم الطويل
 في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل
 تحتها أو في أما كن أخرى تتعاشى عن ذكرها يهرعون الى معهد العلم ليفقدوا
 عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها
 ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجلية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو
 جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه
 المتفني منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس
 الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمة وأرباب الكسب المحبون لنيل
 فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويثقفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يوجب الأسف
 خصوصاً وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانبا (وان كان ذلك
 غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الاكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في
 مدارس الفرير ومحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقينا حتى صارت
 مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أثقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون
 من ذلك شيئاً أولاً حظت نظارة المعارف أنها بذلك تستحصل في زمن قريب
 على أساتذة يجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا
 أنها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارة فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماتشاء لهذا
 الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتي لنا الوصول
 الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة
 ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس
 فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من
 الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا
 الحد وان كان الاول قلنا الاولى ان لا تسلكم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية
 الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستنداً بما آخذنا من البدايات سهل الوسائل ميسر الأسباب

بالفة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الثبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا و توهمهم الذمة و تلعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعاملون بها اذ ذاك بل نرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
اللي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارى لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنعه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدر ان يحقق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنایات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيرة

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحتها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الأقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجيبهم الى مطالبهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخالبات والا أقدمهم بأن تعميم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضاً منها في هذا العدد حفظاً لمتفرقات الأقوال لعل شيئاً منها يقارن صحة فيصادف
قبولاً وليكون ذلك دليلاً على تنبيه الأفكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشوراً مبسوط العبارة مشهوراً بالمالاني
الرفيعة قاضياً على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

بواجبناهم مبيناً لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصوراً في التعليم وفي بعضها كلاً وزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبيخ والانتذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعداً بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة نفعاً لا وبصراً لا حفظاً ولقاءة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأنشرت صدور العامة والخاصة بهذه التوبيخات الاكيدة والتعليمات المفيدة وقالوا لو عمل بهذا المنشور لأطمأنت نفوس الكافة الى تربية أبنائهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الأزمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماء زمارها فتد كات النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس القري والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع سراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدات والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سعادة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشد يده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقويه

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسؤالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهداً من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من ابراده لا تنفك عنه الوسواس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتغلب منفضات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنهشه عند ما سمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافاً في كيفية تأديته لوظائفه خصوصاً اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسوع إن ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستفراقها بل ثود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدرب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل الغاية منه بمجرد نشره أو أن الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم؟ وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى إذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع إلى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتختفي عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا تقصد بالامتحان إلا السؤال في الفن الذي يعلمه فإذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدّ عارفاً ثم طالب الالقاء والتدريس وكيفية التفهيم قرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفون بفنونهم قادرون على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وإن كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويعجز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يحب أن يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص بمقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لأجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليتقوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما رآوه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبته فإن كان داعياً جازاً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبيّنوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل إلى المقصود باقرب الطرق المؤدية إليه ويسهل تدارك الخلل إذا ظهر وإزالة النقص إذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الأطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم إلى كمالهم وفصلت بين صاحب الأخلاق الفاضلة والأفكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم إليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درساً آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتطبع هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لا أخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الأفكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوّثهم بالذائل وتكون كوائمه في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتصبت أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب وأما علما صناعاً مصحوباً بشرور تعود على صاحبها بالشقاء ويأليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى إلى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بإرشاد الرقبا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والأمانة في الخبر والصدق فيه يميز الحديث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في أنحاء البلاد لتفويض إليهم تربية الأطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمحصولها على رجال تقيهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والأمانة

يقولون انه لا شك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست
أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال
التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وإزالة
كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم قبل حصلت العناية
بتصنيف تلك الكتب وإن حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شك مجلس للنظر
في مثل تلك التسهيلات ودعي إليه أعضاء ممن لهم سمعة في الفكر والاطلاع على
الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي
تدريسها في أي الفنون حتى يأتى إجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال
من المحقق أن سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في مسقط
إلى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة
المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت
المذاكرة في تلك الآراء القوية التي أبداهها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها إلى
البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سؤالاتهم سردناها للاحاطة بما وادنا نجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف
هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تغفل شيئاً مما تطلبه نافعاً ومفيداً
ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد
أعدت لمقاصدها وسائل إذا تعلم أن زماننا هذا لا يرى فيه إلا الأثر الظاهر ولا
يؤثر عن رجاله إلا الأعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالألفاظ العالية
بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وإن الآمال متعلقة برجال تلك النظارة
المرفاء الأجلاء كسعادة ناظرها الأكرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع
الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الخاضع وكيل المكاتب الأهلية
حضرة على بك فحسي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح
المعارف في عصرنا هذا نارياً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة
للعناية بمساعدة على نشر المعارف وتأيدها فليتنا أن لا نضيعها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهرا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير مبتدأ فيه من المهجاء الفرنسية الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة اما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم آخر نافعة من آداب وتاريخ احوال الامم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضه (فيما سمعت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا تنوسم فيها ذلك الا بيرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تنصرف في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسمى اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوبة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملاكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التفهن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة ييسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون معها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لا تزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاناً فعلياً لاجدياً يقنع الناظرين ويفهم الخصامين ويذهب بهملات المتعلمين ومطالباً لأصحاب تلك الأفكار بالبرهان الفعلي أيضاً وهو توجه الهمم الى التعلم وافتراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستعملين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يمجيدون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لي طلبهم ويكون اجر يدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الأمر وما فيه اهـ

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب انشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح وشرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيراً من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيد واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أرقى موضوعاً وفكراً وسنورد للقراء نموذجاً منها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿آراء وأفكار﴾

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطييب بسجن طه

هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أبديه لعلباء المسلمين ،
المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيباً
أبدوني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فإني لست ممن يهوى الإقامة على الضلال ،
ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ،
والإسراع إليه إذا بداني بارق من بصيصه ، وها أناذا أشرع في إيضاح المقصود
بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : —

لا خلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لأنه
منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في
عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً
إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ، ومن
ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن
الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون) ، فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة
ولتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أداها إليه فهمه .

فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز
بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله " ولم يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كما ضمن ما في
القرآن حتى نأمن عليه من التفسير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً
والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب
بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقها على الباحثين ليحييوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من التقي ؟) فأجاب
عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صحيح أو لم يصح فالمقل
بشهادته ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبداً للمسلمين لا يحدون عنه . ولكن ويا للأسف

له حق المسلمين ما لحق غيرهم من الأثم فدفع بهم في ظلمات في بحر لحي ينشأ موج من فوقه
موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحدهم يده لا يكاد يراها ومن لم
يجعل الله له من كتابه نوراً أهمله من نور

ولم الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولو عاوتها خروا بكثرة جمعها
جموعاً حتى ملأت الأحاديث الآفاق، وكثرت فيها التضارب والاختلافات، وصار من
المستحيل أن يعمل الإنسان بدينه بدون أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم
فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الداء أعداء القرآن
الجيد، تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى
تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداً لثمة ووجب على
المقلدين القول (بأن السكل على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من
عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر
ضب لدخلوه، أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد، وبذلك شفى
الرمد بالأعماء، فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين رمدوه بأنه من المارقين، وهكذا
ضاع الحق بين الأباطيل، ولولا عناية الله لأزهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف، وتحققوا أن أكثرها
موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهباً اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره،
فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟ وهل يعذر
المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وحرف الوقت في
مراجعة الروايات التي لا تحصى لظنهم أن القرآن غير واف بالدين كله، والله تعالى يقول
(ما فرطنا في الكتاب من شيء) وإذا صحت مذاهبهم فأني تهرب أكبر من ترك القرآن
لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك؟

دين الله سهل مبسور، والتقليد فيه محذور، فلو كان العمل بما في الأحاديث واجباً للزم
كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة في مطالعة المجلدات
الضخمة من كتب الحديث، ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع والحسن
والموقوف والمرفوع، والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطيع؟
يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنين نقول إن طاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجعل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لأثر لها في الكتاب ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أمراً من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرنا في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها.

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأي أنه لا يجب. وربما كان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لأمر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيث أن غيرهما من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورها وأحوالها كما سنبين ذلك في مسألة الزكاة ونبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا
لكم عدوًا أميناً* وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم
فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم وتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا
حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح
في السفر إذا خفنا العدو . وإن صلاة الخوف للامام ركعتان فقط وللمؤمنين واحدة يصلي
نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من
القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف
ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في
أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت
من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء وبعبارة
أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء إن يزيد
بمحيط لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن
الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر
فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فلا مسلم
الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن
الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين
الركعتين هما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي : —

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة
إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فإن قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحدوث
جهل المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن اليهود في طابع
البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديدي الرغبة في القيام بجميع واجباتهم
الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان
المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعبادة إن لم يكن كله . وكلما ازداد اضطهاد
المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول
الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً
لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف
في الصدر الأول كان لمراعاة جانب المسلمين الجديين العهد بالدين وهم إذ ذاك نهر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نتخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنها أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى .

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو . ولو كان السفر قصيراً جداً . ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب . فلو كانت الزيادة واجبة لمد هذا تهاونا وخصوصاً لأن القرآن لم يبح القصر إلا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً أن هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاء بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتكم الذين كفروا) أن هذا القيد في الآية المذكورة آثماً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم .

(٣) كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وإن جهر في الأولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الأولين

(٤) إنا إذا نظرنا إلى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما ساء المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السنن وفي المندوب والمستحب والرغبة إلى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة . ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ما صلى وقتاً أقل من ركعتين ولا قيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد مذهبنا إليه كل التأيد .

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم إلا مرة واحدة وأذا ترك سهواً بعضها أعاده وسجد السهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا . أما صلاة الجماعة فهي غير

مخاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل وأما المواظبة على جعل بعض الصلوات أربعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركعتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق وإذا سلمت فكم من أشياء واطب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة أنها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضضعة والاستسقاء وغير ذلك كثير جداً. وأما قرن الركعات بتسليمة واحدة فكم من أشياء قرنت بل من رجت بالفرائض وقال الأئمة أنها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة. ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركعتين الأولى والأخيرة الأ خيرتين إشارة منه إلى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما إعادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لأن السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشي آخر انشأ ما هو فيه كان بذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدة في السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً لتصفحه عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً لنفسه وإن كان سهواً لا تفكر فيها من شريف يليق بالأنبياء فإن حسنات البرارسينات المقرين وليس سجود السهو هنا خاصاً بترك الفرض بل إذا نسي الإنسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فإذا نوى أن يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله. قال عليه الصلاة والسلام (إذا قام أحدكم يصلي أتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدة) (

وأما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتنا هذا الفقهية فلا يميزون بين ما نسميه نحن الآن سنة وفرضاً أو مندوباً أو مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء راوا النبي عليه السلام يفعله. وأما اجماع الخلف فلا نصاً به والاستشهاد بحديث (لا تجتمع أمي على ضلالة) أن صح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول أن المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فإن من عرف أن الواجب عليه ركعتان على الأقل فصلى أربعاً قليلاً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاده الله أجراً. وإنما الفرض من هذا البحث هو تجميع المسائل عامياً ليس إلا. وهو يفيدنا أيضاً في مسائل أخرى من الوجهة العملية فوأنه لا تحصى

﴿مبحث الزكاة﴾

نذكر أولا مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ما ورد في السنة المتواترة (١):

النصاب	ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ دينارا (أي ١٠ جنيهات تقريبا)	نصف دينار
(٢) « الفضة » ٢٠٠ درهم	٥ دراهم
(٣) « الأبل » ٥ جمال	شاة واحدة
(٤) « البقر » ٣٠ بقرة	عجل تبيع
(٥) « الفصم » ٤٠ شاة	شاة واحدة

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ دينارا كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظاهر لبعض الناس دون الآخرين. وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جدا أن ما لكما رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم تساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جدا إن لم نقل إنه كان متساويا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرشا صاغا مصر يا بالتقريب. وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جدا ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافا كبيرا بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعم أن ما يشته السنة العرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الالام في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقا لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بمجمله لجميع السالين وتركتم أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

٥٢٢ الاسلام هو القرآن وحده الصوم والحج . الحجر الاسود (المنار ٧: ٩)

الكتاب أن يضموا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جمودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنيات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع العشر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين وبالتفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤتفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن نقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصادرها التي أشرنا اليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

كلمة في الصوم والحج

أما الصوم فجميع ما تحقق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن تقبيل الحجر الاسود وما على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضمها ابراهيم عليه السلام ليصرف به الركن الذي يبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يني يني فأخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاء فخر عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدتنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضروب العبادة والتسذل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعاً لله وانكساراً مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمرّة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشئتين الحقيرين تعظيماً لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركناً من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوبه ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقاً ولا لبشر زمزم ولا للشرب منها فلتدع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لا يفاه موضوعنا حقه أن أتكلم على مسألتين أخريين لورود شيء كثير عنهما في السنة وعدم ورود شيء في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لمجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ما شاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان بمن آذاهم وأيسح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فإن وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لأنه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه علي كتاب الله فإن وافق فاقبلوه وإن خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتيت باحشة فقلبني نصف ما علي المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الا جهنم ان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجباله كره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام اذا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم الحشونتهم وشدهم وخاف على الامة الضعف والانهلال والفساد جازله والحالة هذه ان يقر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من أقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . أو ان تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جازا الامام ان يقدر الرجم على غير المحصن أيضا بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها اولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ووردعها الجلد فيه وإن كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين أوجبواقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيرا من الحدود وأطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القطع لا يجب لأول مرة بل يستتاب السارق فان تاب وأصلح وإلا قطعت يده . فهذه افكار في هذه المواضع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو ممن يعتقد أنني في ضلال أن يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تهر ذلك المذهب فاعلى المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إيمان وتدقيق وعمل فكري وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه ودنياه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عاب بالاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . قالهم اهدنا بكتابك . وأفهمنا من أسرارك . واقترح أعيننا وأثر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائرين آمين . اهـ

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم ميرزا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية لمذهب البروتستانت ثم غي بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد ودعا اليه في انكثارا بفترة وعزم شديد . وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك يفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لعرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما نعتقد فنحن ندعو علماء الازهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلانة اليونانية او شذوذ الفرق الاسلامية التي اقترضت مذاهبها وانما تكون باقناع المتعلمين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين ككتاب هذه المقالة فاني أعرفه سليم العقيدة مؤمن بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدياً لفريضة وانما كان اقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقناعه بالالوهية والرسالة ليجتج عليه بنصوص الوحي واني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتبديل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يحدده جميع المسلمين اليوم فرضا والكتاب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اطيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لثلاث تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم الهدد بالجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لافي الامثلة التي أوردها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رغب الينا ثلاثة نفر ان نكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أتبع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على مادونه . والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتاباً أثنى فيه على المنار وذكر من فائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين الناصحين الثالث مجهول أرسل الينا رقيماً من الاسكندرية كله سباب وشتائم وحكم على قلبنا وسريرتنا وحقا قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثانية بأنه أخطأ ولكنه أحسن أن يداري خطأه وعوره فها كان يجوز به هذا ان نمدح بالي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولو لا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الجبان السباب فبيد أبا الجواب
عن هذه الكلمة وإن لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئه في قوله أن
خليفة المسلمين يجوز أن يكون كافراً أو بأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لأن سنده
لا يصح ومثله لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكفنا عن الرد عليه وإن بنينا باللقاب
الجهل والحسد و فإنا لنستأمن ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء
في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذاتنا ولم نقل في أحد منهم كلمة سوء أو اتصارا أو انتقاماً
وقد هضم أناس حقوقنا المصنوية واكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا
قد انتقدنا غير مرة على اصدقائنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل
قد استحسنوا هذا الرد وعدوه من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثرفيه التهجم
على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما إذا كان لصاحبه حظ من الشهرة
وكفل من الجاه وفي ذلك من الفس للامة ما فيه . وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض
ونحن الآن أخرج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من
عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار
ولا يرون مجرد الرد دليلاً على العداوة الشخصية ولم يعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين
وإن كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس أن يتنا وبين الشيخ نجيت
عداوة لا سيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه يذكر ون لنا من السيئات ما لا
نحب أن نسمعه أن صدقاهم فيه فكيف نرضى أن نذكره في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات
والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم أن المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتائين
علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه إلا ما كان
فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت وإنما لا نحب أن نسمع
عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره إلا أن يكون مما يؤيد
حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها إذ لا محابة في العلم والدين
هذا وقد سبق الى فهم صاحب المؤيد أن ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ نجيتا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا إليه مبينين أننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على أن ذلك كان معروفا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردًا على ثابت بن منصور إشارة إلى أن الشيخ نجيتا هو الكاتب لها لا أزال أذكرها وهي : لو أن الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرقةش إلى الأزهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به إلى جهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : أو ما هذا معناه فقد خرج وجه من الخرقةش كان إشارة من الكاتب إلى أن ثابت بن منصور هو الشيخ نجيت . وإنما نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض أساتذة المدارس الأميرية كان المقصود من كتابي إلى المؤيد أن أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي أخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ نجيت وليس فيه كلمة تشتم بانتقاد الشيخ نجيت وانظر ما كتبه هو إلى المؤيد فأننا ننشره لمساقيه من العبارة في اللفظ والفحوى : وكثرة الأدب وقلة الدعوى : ولفائدة تذكر بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الأغر سمعنا تلو أفندم حضر تلمي
وبعد فاني أرجو نشر ما يلي بجزيرة المؤيد إظهارا للحقيقة ودحضًا لما افترى به
علينا ونشرتموه بها
قد رأيت بعد ديسمبر ١٩٥٦ و ١٩٥٧ من جريدة المؤيد أن صاحب مجلة
المنار قد ادعى أنني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقًا تحت امضاء
(ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف إلى غيرها من دعاويه علينا
وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم أنني أخبرته بأنني كاتب الرسالة
الذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت المنكوت على ذلك

وحيث أنه يجوز أن يكون المفضين إليا قد افترى ذلك علينا ليسوء وجهه
الحقيقة الساطعة بربدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأنبي الله إلا أن يتم نوره
ويمكن المؤيد أن يراجع الحقيقة ليعلم أنني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه
لم يسبق لي أني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المقريبات . ولو اني
كتبت أو اكتب الى جريدة لكتبت بامضائي وحاشا أن اكتب بامضاه مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد أن التجويل جهالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد عمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حياة فيمن يم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقفنا الله للمصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

كتبه محمد بن نحيث المطيعي

بيده العصاة وتمام المنة والنسبة

الحفي بالازهر

(المنار) كنت أنهي لو يعلم الشيخ بنحيث موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتسبه
من المحكمة ولكنهم لم يهتموا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المفضلين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرقة
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومحامسه في شأن الكتابة في الجرائد فنقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاه ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . وأغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبرأفندي ضومط
تساهلا في القياس وحبا في سمته لاجهلا ولا ضعفا في اللغة وفنوها واننا نقول قبل
ان نورد مالا مندوحة لنا عن ابراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام
جميع كتاب المصراع الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في
في التحرير والتصحيح واننا أقرّ بانني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة
فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف
الطبع واكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل
بما لم تعد به العرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه
كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعترض
بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط
الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يهتد
اليه النظر أو يقرأ منه مطرا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فإنه
يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه
كلها توجهت الى النظر في صور الكلم ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال
الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب المصراع سلم منه ولكن
أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جدا حتى ان العالم
النقاد ليقروا لاحد من عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لاء قليلون في كتابنا اليوم
وأكثر منهم من لا يقرأ لاحد من بضعة أسطر الا ويعثر ذهابك بغلطة ويرتابك فهاك عند
جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات
الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ،
هو الذي يحمي اللغة ويرقي بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه
لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومساائلها فاذا قام بهذا قوم
وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها اليوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالأغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما تنتقده عليه وتقول أنه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنونها فيما قرروه فلا يقيس على الساعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل تصحيحه. ذلك ان التساهل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالعامي مما يفسد اللغة بما يجري الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويشي همسة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التساهل ما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وانما نريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لتبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين يتقنون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يروونه فيها خطأ براه هو صوابا فهو لم يأنه عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بأنه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التساهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما أذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم يخل من توسع في افادة المعنى المراد هو مما يعهد في المواضع بل لو قال (القصود في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لاول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسر لها به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذ مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المقتطف) : والتقمم فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقمم عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تقمم الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألغاه را كبه فكان ينبغي ان يقول : وتقممها أو تقممها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولاً الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير مبرور في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه لكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن بحسن بنا أن نضعه بين أيدي شبانا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الأسلوب ودقة التعبير : الخ واتي أجزم بأنه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعدته فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبخارى وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الأسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالمعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد : قد لا يعقل ، قد لا نخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لفادة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المناطق قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيح الأحرف » وكلمة صفيح لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما ينفي عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جمع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) يصوع بالصاد وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فلاحاجة الى استعمال تكاتفوا منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع الـكـتـف الـكـتـف في التعاون أقرب للفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر : فيه نظر إذ لا نسلم أن معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر الآخر والاظهر أن معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي ممينا والظهير المعين والقوي الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد عليه في الاعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز أن يكون من المظاهرة بين الثوبين ونحوها أي المطابقة بينهما لأن المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حاية الظهر وهو معروف عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في التعاون . ومن ماشاك كتفا الى كتف لا يفهم من ماشاته لك أنه يمنع عنك وعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشرة غير ظاهر فإن العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل ابل الدية عن القاتل من عشيرتها فإذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأنتهم يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وإنما المنفق هنا واحد وهو العائل والمنفق عليهم هم الجماعة أي العيال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل أن الكلمة محرفة عن العاقلة بابدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا هذا ما يأتي به التساهل وهو إذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فإذا نقول في كتابة جواهر المعاصرين الذين لا تكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية على أن منه ما لا يفهم منه الغرض المجهل إلا بمعونة القرائن . فإذا كان صديقنا يحصل المياري في جيد الكتابة ورديثها فهم القاريء فملبه أن لا ينسى أن العبرة

بالقارىء العارف بالمرية الصحيحة المدونة المقررة دون العامة التي تختلف باختلاف البلاد. فإذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الأعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لا مثال هو لا بعد طول التأمل أن معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وإنما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا أن نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأسايبها - إلا اضرة بضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واثني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا أنه سماعي ولكنني لأجيز لنفسي الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته أنه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وأنه يحله ويؤدي له ما يستحقه من العظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقييده والطعن فيه . ومن علم أن هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن أن فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر أن يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما أثروا عليه ونشئوا فيه من كراهية

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم تعسر عليه فانه هو فضه تعسر عليه محو أثره وان هو نوع رقة التقليد ، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية . تؤيد ذلك الشيء المصلحة السياسية ، وهذا هو الامر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والغلب وشرهم في السلب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لا يكاد يقع بها الا على ما يمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا ككل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم وال عمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضمنية واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع المال والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة المهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلاً من أعلم المتشركين بالعربية وأدقهم فهماً لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطلاح عليه المحدثون والفقهاء وإنما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لا محيص

عنها لأنها لا تحتل التأويل ولا القال والقال وأما الأحاديث القوية فإن التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نبلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : أما قتله من أخرجه : يعني عليا فقال علي إذا ما قتل حمزة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجهة القول أن المنصف من الأوربيين يعسر عليه أن يفهم الإسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فإياك بغير المنصف وغير المتقن . وسنرى فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطائه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والأفهام من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم وإنا نبداً بخير قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ ومما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه إذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به أن النبي كان صادق الكره للشمر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمهما ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه إن صح ذلك فلا يبعد أن النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبيل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كانت يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عددها أمرا ذا بال وأنشأ لها صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣: ٥٥ الشمس والقمر بحسبان) وأنها لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرة الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بغيب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء أيضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرة وحكمته كيلا ينسوه فتغاب عليهم حيواتهم فيفتنهم بعضهم بعضا

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحرار في تعليله على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار تعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص الهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الخيرة في التعليل ، والا نقطاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ أشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو إلى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبده في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الأمر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيد اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الأمر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والأعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فإنه كان معتمدا على خالق الأسباب والمسببات ، وقاطر الأرض والسموات ، الذي يأمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : إن عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة أن الأمة العربية تحتاج إلى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : وقول إن أمر النبوة لم يكن بمثل هذا العمل والتدبر والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الأسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا أنه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لأن الأسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سوألان لا يمكن الإجابة عنهما (الأول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل إلى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من مخترع الآلات البخارية : ونقول نحن أنه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فإن أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها للرفع والدفع مثلام يهتد إلى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبرية ونحو ذلك وإنما وصل الناس إلى هذه الغاية بتدرج بطيء يبي في اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعى النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت مهاديته دولة قوية ومدينة راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
إسرائيل : ونقول ان هذا ينافي ما زعم في غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن
فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد أنه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعلى بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافياً لا نقضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتشيل
الذي لم تحرمه أوربا الا حديثاً : ونقول أنها وان حرمتها في بلاده لان الامم قويت
على السلطة فيها فهي تبنيها أحياناً في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه ومدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطاه في تاريخ
الحوادث و بيان تعليلها وأسبابها

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالتدريج غالباً ورماداً من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماداً جيناً غير مشترك مثل هذا . ولان
يخصي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ اسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين

أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه يبيع النقد بالنقد فإن المراد من هذه المعاملة أن يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صورته الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولما احتاج إلى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء . وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به أن ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام إلا أن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو عين أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع أن فيه ظلما لأحد المتبايعين وحكمه أن لا ينفذ إلا إذا رضي المظلوم فإذا أراد فسخه جاز له ذلك . مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهبي عنه لأنه غرر فإذا اشترى ما في بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختارا ولو لموافقة العرف فإن الله تعالى لا يعاقبه على أكله . هذا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولا لاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . ولا شك أن من يبيع دينه لا يكون ظالما لاحد ولا آكل ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظلما له لأن الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضار به هذا وإن الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما إذا بيع بالأوراق المالية أهون والله أعلم

﴿ الأوراق المالية نقود ﴾

(ص ٢٨) هل تعتبر الأوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقدا أو عرضا أو شيئا آخر غيرها

(ج) الأوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الأهلي

في مصر مثلاً كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لأن الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلى بأحد النقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد النقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانفraz روتنا اذا أبيح لهم ذلك ولم يبيح لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء بيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانعه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ما تدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً لظن رمة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالألآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فإنه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالائتمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالماقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فإنه سفه واضاعة للصينة والشارع أحكم من أن يلزم الأمة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لأن صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون يده نقد بشتره به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البتة بل يبيها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والمسر والمشقة ما تنفيه الشريعة
فإن أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبائع
لا يسمع ببيعه بير وشعير وثياب وتكليف الاستصناع لكل من احتاج إليه أما
متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع وقد جاوز الشارع بيع الرطب بالتبر
شهوة الرطب وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصروع الذي تدعو الحاجة إلى
بيعه وشراؤه فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع فلو لم يجز بيعه بالدرهم فسدت
مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو
صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا تشكر تخصيص المصام
وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة
والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فإن لفظ النصوص في الموضعين
قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفي
الزكاة قوله « في الرقة ربع المشر » والرقة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وقارة
بلفظ الذهب والفضة فإن حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الرأبا في النقدين
وإيجابا للزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فيه تفصيل
فتجب الزكاة ويجري الرأبا في بعض صورته لأفي كلها وفي هذا نافية الأدلة حقا
وإس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

يوضحه أن الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من
جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الرأبا بينها وبين الأثمان كما
لا يجري بين الأثمان وبين سائر السلع وإن كانت من غير جنسها فإن هذه بالصناعة
قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ولا
يدخلها؛ إما أن نقضي وإما أن نربي: (١) ألا كما يدخل في سائر السلع إذا بيعت
بالثمن المؤجل ولا ريب أن هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الرأبا الجلي المحرم بنص القرآن كان
يكون لأحدهم دين مؤجل على آخر فإذا جاء الأجل قالها له ومعناها أما أن تعطيني
الدين وأما أن تزيد فيه لأجل الإيساء والتأخير في الأجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 بوضعه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها
 المحاو ويجو يعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفة ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتخة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى الله وأقرب في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الخيل أو يعلوها الناس
 بوضعه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا بغير
 جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
 بوضعه أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيحت السرايا من ربا الفضل وكما
 أبيحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للخاطب
 والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرب
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
 فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالليل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأمان في الغصوب وغيرها وإذا كان أرباب التحيل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقه تساوي فلساً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقه
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلاً ورحمة وجلالة بأباحة هذا
 وتحريم ذاك وهل هذا إلا عكس المقتول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 العجب مباغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منهموا ببيع رطل زيت برطل
 زيت وحرّموا ببيع الكست بالمسم وبيع النشا بالحنطة وبيع الحنطة بالزبيب ونحو
 ذلك وحرّموا ببيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحيل

عليه كل باب فتارة بالهبة وتارة بالحمل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون المقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر موزنة عشرة نقدا ليس الا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله المحجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسيئة بخنا خالصاً وأبن مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحفظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . وإذا حصص الحق قليلاً للمتصعب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بانزادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطال الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بانزادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر للعبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزائدة اذ ذلك يقضي الى تقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والمآل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بانزادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المماوضة عليها معه يوضحه ان المماوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة وانركها ولا تقول له تحمّل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هذا لفظ يبين الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه
فإن قيل فهب أن هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير
المطلوبة إذا بيعت بالسبائك مفاضلاً وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب
قبل هذا سواءً الـ وارد قوي وجوابه أن السكة لا تقوم فيه الصياغة للمصلحة العامة المقصودة
منها فإن السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فإن كان الضارب يضربها بأجرة فإن
القصد بها أن يكون معياراً للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة
في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت
لأجلها وأخذها الناس سامة واحتاجت إلى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام
الدرهم من كل وجه وإذا أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك
ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقلاً بوزنها ولا يأبى ذلك
الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ
والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهماً واحداً وأول من ضربها
في الإسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه
الرخص للمسافر في السكك الحديدية

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر
وبين المغرب والعشاء إن سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه
لا يصل إلا بعد خروج الوقت ولا سبيل له إلى الصلاة في أثناء السفر أم لا بد
من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لأن الشارع
لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه .
على أن رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فإن
النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة
كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم
ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليل ذلك «لأننا نخرج أمته» فعلم أن
ذلك رخصة مطلقة تؤتى عند الحاجة إليها

كتاب الرقيب في التخليع

المكتوب السابع من أميل الى أمه

في ابتداء العشق وغرور الشاب الغر بالمعشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فاني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكوى على كل حال ممن كنت أحبها لانها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصديق في حبي بل انها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطاً صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشریفاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فانه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الا هازلاً

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كاذباً فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما يتألم الانسان لأول مرة في حياته يخيل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الاتقيا لتفارق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نيتي ومعرفة تصديقي واحس بقشعريرة الفيرة تدب في جسدي حتى تبلغ نخاع عظامي .

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هائماً على وجهي كالجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بهري في مسيري مشاهد جمة من سنابل الخنطة المدركة ، والقنابر المفردة ، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

وجدنا وجبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرائي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يدالريح ، وخرير الماء المتدفق من ينابيعه المتعجبة تحت الحضرة والديكة المقتبضة المنتظرة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبد الساء ، وامرأب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الأحوال هزت نفسي وشرحت صدري فلم تلفتي عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها تنشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شعبا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأرائني أنه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل خفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها أنها خدعت ثم هجرت ومألت نفسي سوألا محقق هل تقسم النساء في هذه الأيام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة ، تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت إخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عثمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء تكتنفه اطلال دارة وفي دكن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها الماريتين وانكأت برقعها عن فم البشر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انقلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركة الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صمت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني هاهنا لا منعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنيهة كان جبينها الكئيب في اثناها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهيمت بكلمات مبهمه وهي مبرز رأسها ثم هزلت داخلة أحد الاكواح الحقيمة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به وامنه
 كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك الهوى بهوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنتك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تخرض طالين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتنبورغي (١) يقال انها تحبه لما له فليت شعري هل أبصر أحد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والغش» . هذا هو التمثال الذي منحته بيخور أمانى وجعلت له بين الآلهات العفيفات مكانا وكنت أتمنى لو دنت من الكواكب فانهزعتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلمني وهو اني لم أدرس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيئي ا. س. كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الخنا ولكن هذا لا يقلل من استباحي لعفوك فاغفري لولدك هفوته حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه . اه

المكتوب الاثامن من هيلانه الى اميل

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما تقترفه من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه ضيائنا بأن لنا

(١) ورتنبورغي نسبة الى ورتنبورغ إحدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاند الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله أخوه بالسم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاند شبه جزيرة بالدنيارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما نتعلم
 لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحمي كل التحامي ان أعيب سيرتك فيها لانيك
 قد عبتا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسمي تأديته اليك من انصائح قبل
 ختامها المحزن ليساوي ما وعظمتك به تخرج بك الذاتية ان في أمور الكون لمعدلا
 وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلد الخيلة الانسان
 ان تزيها بالالوان الموهمة وتفشيها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
 على اني ان لم أقر لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
 والحيرة كنت قد كتبتك بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
 وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تسفل
 لارتكاب دنيئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
 وجهات العجب المفتون وأماني البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
 الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
 الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
 لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخمر
 المتبلة للسكيرين

تراهم يبدلون من الهمة والنشاط في تحصيل الغبطة أكثر مما يلزم وهم مع
 هذا في اسوء عيش وانكداه هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
 اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
 تبدل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصنوبر الجوفاء التي
 تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة
 الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جدرة بالحرية
 بذلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
 والأنبياء في الرذائل فاذا زالت هبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
 بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الرذعة (١) فلا مقرر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما يتخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجديني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اثراتك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلمها تمام النكر وان مثلها الظاهر ليسري سر بان الشعاع
 فوق كتابك اذا فتحة لتقرأ فيه ماصغه الشعراء وأنت تود لو تشاهد معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريده وهي التي ينطبق عليها ما تتخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجالها لو تكون أفضل الفضلاء فتلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبحث
 على طلب الخير وعلى ان يقتضي الحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه بإجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفقتك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كاتى ثروى في القصص ازدادت لذته وكثرا لاتبهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يفنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تغزل أو تخط بجانب المصطلي ثم يمسح رؤوس أولاده غلاظ المضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينسك في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدردار الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي إلهة من إلهات الحب الجديدة
الشباب هو سن الأمانى والأحلام وطور الخيالات والأوهام ثم إن كثرة المطالعة
لأئمة لها في أغلب الأحيان إلا افساد حكم القلب ، على أن الحب في غاية الغنى عن
القصاص الخرافية لأنه عبارة عن تاريخ لأصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويقوله إلا في الحلم لأنه لا يثبت أن ينكشف
وهما إذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها أن توجد لنفسك بين الناس
مقاماً فإن كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومفالبة
مال الأثرة من أنواع الميل الأعشى وبلوغ ما لا انسان من الشرف يفيد المرأة التي تتحبها
كما يفيدك وكن واثقاً بأن هذا لا بعد منك في حقها كثيراً إذا كان يهلك أن
تكون أهلاً لاجلالها لك حفظاً لشرفك وصونا لمرضك

حاشية : فاتني أن أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جسمية
الطبيبات بلوندرية في عدادهن وكاننا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقة وغرور الثبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاء

أشركتكم في

﴿ التفریط ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى أن هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الإسلام .
لينتفع به إن شاء الله الخاصي والعام ، فيأقراؤه ينتفع بالثواب المنتهي ، ويتعلمه

يَنفَعُ فِي دِينِهِ الْمُبْتَدِي « ونقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المبتدئين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؛ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الحاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطمة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم إيصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الأدلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعماين فينبغي أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأيد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطمة وجمل نتيجة الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده إنما يبنى على التسليم بوجوده ، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بغفلة الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فإذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل يناشئه منه ما بينها به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسية
الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية
التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة: الشامة والباصرة
والساممة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير
مدركة كقيمتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا
تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات
المصنوعة من الدلائل التي تبيحد - و - - فهناك لا بد ان يعظم مولاه
ويقول أشهد ان لا اله الا الله « الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة
صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضا منه في نفسه
وفي الموضوع الذي دس فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار
الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم مد يده من قبره الشريف
حتى خرجت الى المسجد فقبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ
ابي الهدي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه
يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل
البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام
محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا
الكتاب ؟ نرى المتخرجين في مدارس الاستانة اكثرهم ماديون ونرى مدارس
مصر قريبة منها ونرى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام
قد تحجر من شدة الجمود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دوت بها في
الكتب ثم نجد فيها من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فاما
هذا الخلاف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وإن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالمملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الديمقراطية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويأخون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصرة أن القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية إلا بالعلم الصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد فالمجتهد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وإن اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه ، يقولون لأن يمجدا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يمجدا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهناك الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين . واتي أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أسرار المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فإذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يعنى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سنّي وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر حياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاة الفطرة السليمة والشرعية القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجهه مركز ديروط الوجهيه فاخطت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتباً با تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيرا ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسيوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون . وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدى الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال أنه يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء . وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كفح فم قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها . ثم أثنى على قطب بك قرشي الشاء الأوفى وختم كلامه بالدعاء للسلطان والخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتمد . وتلاء الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود الى مصر مجدها السابق الا اذا كثروا العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والأمير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا ميال الى الأدبيات وأسمنى لنفسه شهراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى . وخطب محمد أفندي أحمد الصمدي فتكلم عن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

واطرأه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئاً للخطابة
فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب
فارتجل خطاباً وعي كثيراً منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت
بقراءته فيه ما كنت ناسياً منه وبعض ما نسبته المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو
اننا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول
كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد
الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
وبه تسود الامم في كل زمان ومكان
كثير الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع
شعوب الارض في كل شيء . وكثير القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف
العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود
العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم .
اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم
الحياة ما يكفي لانعاشنا وإقالة عثارتنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة .
قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين في مسألة
الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر أنه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد
وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم
ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على
أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معالمه
وما عاد ملكاً للجهل بأصله هو اكثر مما بقي
كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة
وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان
بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك
من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبدل فيه يعد بمثابة القنوط والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الدين يقومون بالاعمال النافعة للأمم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقف على مثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطامس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كموجوده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في انشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فإن المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلم ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الأحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الأزهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد

لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للأزهر كالجامع الأحمدى وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يابق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المعلمين في المدارس الابتدائية لم يزدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا لأنهم لا هم لهم الا اللذات الحيوانية والمخاطرة الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تترقي النفوس وتقل الجرائم والفواحش و يندر سلب الاموال ونهب الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس . قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسمى في تكميل الخبر الناقص لان في ازالته من الوجود بالمرّة . ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كلنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال بمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للترقي الى تعليم أعلى منه لا يرتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد . نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجماله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان . ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الديني يمتسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواظع والشعر . فان احتفالا بحبيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره مؤشراً لشهادة فعلية
بنفقه وشكراً لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل
ينوي باحتفاله الترغيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن يحب الثناء
في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل
ثم نحننا القول بمحت الأغنياء على الأعمال النافعة للأمة والدعاء بإصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتفكيك ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متعبد أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال
له المدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعبد
للحصار وضافت عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوت ما يفيها عما يأتيها من
العراق فتوصل بابن عون باشا شيخ الزبير بن يوسف ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشجاعة فأكرم ابن صباح وفادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعبد بن
الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به إلا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من إزالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت ساهي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيعة مع العساكر المنظمة التي هناك (والشيعة
قرية من قرى القصيم) وكان متعبد ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحاضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والمسكر في قصر بريده وقصر عزيزه ويكون هو الخاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي بأشياء على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي فلا تقبل لك قولنا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطاع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرجعنا ولا يكفينا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافق الشيوخ على ذلك . وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء واغترقا مفضيين ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثر الاعتداء على المساكن بالاندياء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حاية المسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والفطرسه ومن مدح خصه في وجهه فاجابه انك أنت والمسكر ما جئتم إلينا فكيف تطالبون منا أن نحملك فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الإقامة هناك مع مناوآته والتكبر عليه ألان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده قتله وأمر الأعراب بالكف عن المسكر فاطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب



بؤني الحكمة من يشاهد من يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

الحكمة
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«متارا» كنفار الطريق

﴿مصر - شعبان سنة ١٣٣٤ - أوله ١٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦﴾

خطأ العقلاء

من مقالات الأستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالمرايين
كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ هـ - ٤ ابريل سنة ١٨٨١
ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا اكثروا من دراسة الفنون الادبية
ومطالعة أخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جلية وتنبعث في
نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم
عليها واكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار
ومعاشرة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي
وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو
أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلباً حاثاً ان يكونوا على
مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق أفكارهم وان
كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصاً معدودين و يظنون ان
أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب والدفاتر ووضعت أصولاً
وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى
أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحول الاخلاق وليس بين غاية النقص
والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي محدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
وانهم وان كانوا أصابوا طرقاً من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
وارتفاع الهمم وانبعثت الغيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيماً من حيث انهم لم
يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يجتنبوا قابلية
الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم
درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعادته
الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لعلوا ان الامم في أحوالها العمومية كالأشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الأحوال العمومية هي عبارة عن مجموع الأحوال الخصوصية وليست الأمة مثلا الا بمجموع أفرادها وليس حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا بمجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال امة بنائها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها ويسلك في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكميل الواحد . هل يسهل على صاحب الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة المطالعات ؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم بتدرج به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال ذلك محتاج الى ان يحصر أعماله ويقيدها بقيود من الترهيب والترهيب وان يراقب حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد منها فان اختلف شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الأصعب على الأسهل مثلا أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلفت النتيجة وذهبت الاتعاب سدى واستحال صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحوية هل يمكنه ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلا ان الذي يمكن في العقل أزمانا لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد أولا في ازالة الشبه التي نمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة واحدة ولكن بمبارات مختلفة في الترتيب بعضها سهل المأخذ قريب المثال والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر بنفسه . تلك هي الحالة المشهورة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يخاطب في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخاطب غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والامادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أوصافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الأمم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الأمة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحسينات فيها لا تبعد منها بالمرّة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انخلخوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحلة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السلطة ما لم يهودوه رأيتهم يتخبطون في السير لحفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرهم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أتمس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتنشوق النفوس الحرية ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثلاً حال كونها على ما نهى من الخشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة
نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فربما ينتخبون
آلافاً مؤلفة ثم لا ينتهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الأول ولو وكل إليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع الهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون
زمامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا
إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أمريكا فلا بد من قرون ثبت فيها العلوم ومذهب
المقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا
ويأعجبها هل الشخص الذي توارث الموائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها
من مهده إلى كهوله وتعود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها أن هذا خطأ ظاهر

ولكن أرباب الأفكار منا يرومون أن تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوروبا
وهي لا ينجمون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدراج الرياح
ويضرون البلاد بجمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان هم امكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير
البلاد فلا يسمي إلا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه أن كان
حالياً حقاً بدون أتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقديمها ونقلها من حالة الجهلية (على ما يزعم) إلى حالة التقدم التي عليها أبناء الأمم المتقدمة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لمعاداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما لتلك العادات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريباً منها ليرقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيّرت أخلاقهم ونهت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوروبي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدفقوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيما بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم انشاعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كانت الفنى والمزمتوكراً أقطارهم فاخذ أهالي أوروبا عند ذلك في تقليدكم لكن لاني البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقصر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سبر التقدم الأوروبي لرأينا

أسباب التقدم يجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب ونفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمعاهدات وتآلف له الجميات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثقا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب انمقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك القيود التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع الموائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلغهم العقلاء اليها لكن لا تشعر بك غيرتهم الى العمل اختيارا أو الجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتعدنة ويشهدوا عاداتها وأحوالها ويهتم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويتفكرون فيما لا يعقل فشادوا بيتنا أبنية وزينوها بما لم نكن نصدده من أنواع الزينة وجلبوا اليانا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب منظره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبعه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن ونشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتيجو به وضعها واتقان ترتيبها وتزيين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المآكل والمشارب وآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتألق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاوله ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتماك الحصون وبالجملة فقد صاكننا مسالك التمدن في ثمرات عذهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الاتفاق وصار الناظر للابسا ومساكننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال التمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويج النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأيت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستمداد (أي بأن تكون أوزة) فخبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وتمزقت منها ما تمزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نطنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى الذائذ واستكمال لوازم الثرف والنعم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصول الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتبعة لذات الحقيقة والنعم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أغني الاحساس بوجوه الذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتقدمة فصيح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا
أبواب اللذات مفتحة قبل أن يجدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
كل ذلك نشأ من جلب تلك الموائد الترفية الى بلادنا وطالب التحلي بها
بدون أن نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا وليتنا قبل أن نشيد بيوتنا بالارتفاع
الشاهق والترتيب المحكم وزينها بأنواع القوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
بساطتها وشيدنا في عقولنا الهم الرفيع والحمة التي لا تمتد اليها الايدي وأحكنا
طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
عليها ما وجدنا وتجذب اليها ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
رحمة بالضعفاء ورفق بالمهوفين وغيرة على البلاد وأنفة عن الصغار

لعمري لو قدمنا هذه الزينة الجوهريّة على ذلك الرونق الصوري لكان
العالم بأسره ينظر الينا نظر الراهب الخائف أو برمقنا بلحظ المعظم المبجل وكانت
ممشيتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين
فيما حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحجبونا عن النهايات حتى لانراها
الا من أنفسنا فنطلبها لالا نها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا
يعلموننا محاذاة المتدنين في أصول أعمالهم لاني زوائدنا فكنا بذلك نصل الى
ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي قالوا فيه مانالوا لكن فأت الوقت
ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين
لا يعملون للخلق غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما
خلقت لهم يستعملونها كيفما يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية
ومشرقية) فارغموا أنف الطبيعة ومحووا أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
جهاده لفهم منافعهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصينا بين كل شخص ومنافعه

فما تأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل المامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بغضب ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بلغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضره بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملك يده حل للأم عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصمد بها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فثبت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمره

وكان من جملة القييدات العنيفة التي وضعا أولئك المتسلطون الحمر على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطة على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفحش بالنساء أو شرب للمسكرات وما شا كل هذا فان وجدوا شيئا من ذلك ساقوا من يجلونه الى حيث يستوفي عقابا أليما وكذلك وضعوا في الافواه لجاما من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص إلا ويرمي بكفر وزندقة أو طعن في حاكم وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالبيان

فذلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتعددة وطالعوا أحوالها ورأوا ماعليه أهلوها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتعددة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته وبتكامل فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً (ما أنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الحبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية ونادوا بها على الالسنه الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لا جناح على من ارتكب أي جريمة وتطبع بأي خلق حسنا كان أو سيئاً وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مطلوباً أياً كان فلم يجعلوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الأمم المتقدمة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يلغى الاوريون في بلادهم الباردة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك للعقول والابدان ثم تولعوا بما يتبع السكر من الهو والهمب وتنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات وانسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتهدى ذلك المرض الممدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتقبن وافتنضحت بذلك بيوت شريفة وكما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفعا قال المولع هذه حرية فضايع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات يتساقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) ويصرفون فيها مالا يقدر من النقود (وسأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه فتأنيج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اتنا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاصره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والنجا الى التهموس ورى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها ثوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات وان قد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والماذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجبل بمكان لا يعلم فيه حيوان فضلاً عن انسان فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاؤنا لم تدع لها أثراً بمحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الخبيثة تبعية بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتغله بطوق النذل والمار و ياليت بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تقدم فيه التريسة فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترفع الكبسة بذاتها ويذهب الناس أحراراً بطبعم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجبل الأعمي فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهندسون ويقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تأتي الأفكار وبأي الوسائل يوفي العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن يحتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى نستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان ينتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من العارفين الى القرى والمدن ليفهموا أوتك مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتدو فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم تدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دقات الكتب وصدر بعض من النباه لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يسموا بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والمادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكام بقمتنا وما يقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً

واننا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالانهايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فعلى من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويا ولا أراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) انما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لابد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرّة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قوية للأعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورنا وليس بجائز أن يحمل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نبهاء البلاد وذو الشأن فيها فليهم ان كأوصادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والا فأنهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في الممدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التحرر والاعتیاد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الامرین عزم وليس بعده الا الطالب بالفصل أو التترك والتترك لا يحمل النفس كبير مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كاليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرافاً

أما الطالب فهو أحد الامرین الذي يحمل النفس عنائین أحدها يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أرباب الحل والمقد ورجال النقد نسبة الامرین المتضايقين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء ما يهود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن نعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليرجح عما سواه بمخاصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياتها غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخره كذلك ولكنها تقبل الدوام بكميات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكماليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس إدامته العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقتضاء إذ ربما تحتمت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر الهاون والكسل والاهمال وما شاكلها على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كاف لإدمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالإدمان أي التمسك لملته هي التمرن والاعتیاد وبعبارة أوفق بالغرض: إن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكماليات والمحسنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا حكم الصروف والحادثات التي قلبه على بساط القهر قلب المصنف

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالآلم ويده من العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الآلم بالكليّة ولا يجد الاعمال بدون آلم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الآلم الاول استحال الى
ضده (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل
ويشدد العشق حتى لا يميل به العكس يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التمرن والاعتقاد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالأمر فيه وان
ممكن على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لنوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يقف عند حد محدود فيما يتعلق
بإلزام حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب بعده من قبيل التمدن
أو الحضارة أو الترف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرق من القوت
ويقيه الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تألق في هذه الضروريات بعض التألق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما يتبادى اليه فكرته فجهد واجتهد واستطلع بقوة النظر بقواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعد على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحمل أثقالاً على أثقال كلما
وصل منه الى درجة ظنّها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليدها الغريبة زينة شأت كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بجزه والناس مستقنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس لمحتاج الى أنفاسه
فاذا توطنت نفسه الى هذه الفرائب زماً استمرّاد منها حتى يبلغ بها حده

الكثرة في استعمالها في لوازم الضرورية في كافة أحواله ولا ينحصر بها وقتا دون وقت الى ان تصبح من قبيل الأمور المعتادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال وبتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامة المنيف ويحط بمقداره الشريف ولا يذكرك أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الأشجار و يأوي الكهوف والأغوار فإن بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر نقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد الميان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ما كفره) بحكم الحيوانية مطبوع على النعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول و يبهر النواظر من صناعاتها الفرية وأوضاعها الجميلة فترمقها تلك بعين الداهل المندهش وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقاب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المنفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتدفع وراء الجذب بحكم الاضطراب حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تذوق لذة التقدم وتشهيا مكرة التي طعم الذل الذي كانت تقاسيه نحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تترك من الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الأمم حتى تنتظم الأمم جميعاً في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب النسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا انتهت فرصة عظيمة وفُتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالناء في الاموال والانفس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الأمم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الأمم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتقلات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في المبادئ والاخلاق فيتنافسون ويتحاسدون على التقهر والتظهير ويقلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء ويعذبون بهوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخالب التكلف ومشاغ التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في وادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتیاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجري الطبيعي فيلتثمون بعد التفرق ويرفعون عن أعينهم حجاب هذا التشتت و ياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فغير معاملة الطبيعة وبدل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم تقل انه من أم وأب تسليجا جدليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة النامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد وبطتها عادات وأخلاق منسجمة الصفة ولقد رمزت تماثيله الحاضرة - التي منها وهو أكبرها - تمجيم المواصلات وتأکید الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة المومنين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة الموممية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجم الغفير من عقلاء الناس فمالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كما كني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويمجدون من بركات الارض ما يكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاء والعناء اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل نازل توجه الكل الى انتقاذه مما ألم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، ومصرته على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمر والاعتقاد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم الدين كل ما جاء به الرسول ﷺ

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المندرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الحارقة التي لم يسبق لها مثال اذ قرر حضرة هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن التراجع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه)
ولم يري لو لم يكن الرسول منياً لاً أحكام الله التي لم تفصل في الترييل كيفية الصلاة من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه وبين شرعه واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً باطلاً قتل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزال كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله وينه عن حدوده يدخله نارا خالدا فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لو لم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أكان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤدبها على حسب رغبة الله فيركم الركوع المخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبدا ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله و بذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحا لكل زمان ولا يكون جامدا متحجرا كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله

وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبهه عليه أنها نزلت لسبب اذ العبارة بمصوم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أكان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فتكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ؟ قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما

سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي نزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإنما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لا عجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أربعمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقیم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أولئك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصا شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملا الا ويستشهد عليه بحملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال ذوو وهاب في الكتب كما دونوا القرآن ونحروها

رواية ودرواية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الاحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين بحال (كذا) وما كنت أظن ولا يخطر ببالى ان حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأسره يعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسد بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهريين وغيرهم من العلماء أن يطلب دليلا منهم على ان أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محل للاستفهام والسؤال كلاً هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد باب مثل هذه المواضع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

تقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي برد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه . وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى ينكر بها الكاتب ما قاله الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وإنما حذفناها لأنه لم يأتزم فيها بما يجب في المناظرة ولا بما ليس فيها شيء من القوة اذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نقياً لاختلاف الأمة . ولو كنت أجزئ نفسي مناقشة أحد من المتناظرين في اثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة متفترقة وبخلاف الفقهاء والمنكمنين وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع .

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا آياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك إلا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لا مندوحة عنه واتي أتلم أن من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولا اعتقادي أن الانسان اذا كتب ما يخطر له فإن هذه الخواطر تنقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصلة والجلال حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء المصرفة فتشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشدوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الازهر وأذكاء المجاورين ان أهل الازهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأهم فطنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لأنرد على أحد ولا كتبنا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لا نذكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفعل . ونحن لا نشترط على من يكتب الانزاهة المباركة وسلامتها من العلم والنهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وإننا أياكم لعل هدى أو في ضلال مبين)

تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الاستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمد في أمته» لا نستحسن نشر مثلها في شدته وإن كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أنخص مباحث المنار وهو مسألتان أحدهما طريقة تعليم الدين للأحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا المصير الذي يسمونه «الحديدي الأتور» ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الاستانة كان قد رفع تقريراً الى المايين يلفت فيه السلطان الى ققرة «وتنظم ونترك من يفجرك» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الادعاء أو حذفه هو برمه من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائنه في أمر هذا التقرير فأشار عليه بالاعضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الادعاء برمه في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب « ان هذا الخبر يمي الى سبط الفاتح (سوكندلر) فسخطوا وبربروا ، وتقموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالة بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمقاورة الجرجراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطلقاً لجرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفت حذتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن ينظر لنا هذا الأمر يال سيبا والارتباب في الخبر مدعاة لتساينه لولا كرامة تركية صغيرة تسمى (الفباي عثماني) جلبت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدئ تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكرامة فوجدت فيها جميع الادعية الماثورة حتى « رب يسر ولا تسر » لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والأتراك في جملتهم . (رذ كر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكرامة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفند يمزحضر تاري مقدس خليفة سيدر . نزم سوكيلي بادشاهمز در الله تعالى به ييفمبر يمز بادشاهمز أطاعت أيدرز أمر لر يني طوتار نهيلرندن اجتناب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفة المقدس ومليكنا المحبوب — نطيع الله ونطيعا ولسطاننا وننعمك بما أمروا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فماودني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا المضمهر « عصر الترقى » يعلمون انباءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث يشركونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم ممن اتخذوا ثلاثة أقانيم . وبالبتم اذفلوا ذلك قروا اسم الاقنومين الاولين بألقاب اتبجيل وصفات المقديس كما قروا اسم الاقنوم الثالث !!

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصودروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزابل المكسب ويفلت أمثال الكراسية المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبة» وفي وصف المقصور «ذات قدس صات» «ذات فرشته صيات» أي الذات المقدسة الشماثل أو التي شماثلها كشماثل الملائكة.

وإذا أراد أن يمنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى (كما رأيت بعيني) عمادة شيخ الاسلام تهوي الي بين قدي جلالته وهو يشكر له ويدعو . وإذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يفرد بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه ببقاء سلالة آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . فسيبجان الذي أخذ انتقامه من عدوه بعدالة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بحافظة ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي بنى نصرة الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الفازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله النبي مدح في حديثه جنود المنتسبين بملوك آل عثمان الفازي عبد الحميد خان اه

اضحك أيها القارىء، أضحكك الله سنك كآني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكني أحلف لك بكل ما تكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكندرية في جامع رأس السوق في بني جشمه، وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع، وقرئت أيضاً في جوامع أخرى وأجيز وأضربها بثمة ليرة، وسمها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يمن الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم، وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بالقاب الاطراء والتعظيم وارتكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعرأ كذبه» - ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع ومواقفة أصول النظام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الأمم.

أن شئت أيها القارىء الاستئناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

«وما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المذهب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلاً وهو ظالم أو يصفه بالقاري وهو لم يوجف على المدح بخيل ولا ركاب، ولكن مطلق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به.

«وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بالفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - ملهنا الخطيب بقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون . هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص الا بعد الجهد الشديد . واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر في زمانا (يعني محمد بك الأنفي أحد أمراء المالك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال ابنه إبراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكانت مفرورا بدولته مستبدا برأيه فأطرب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته وقيده عن مصر الى بعض القرى .

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس فإن ذلك موجب لسخط الله والمقت الا بدي نسال الله العفو » اه
من أمن نظره فيما قلناه ونقلناه بأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان
«ساحتها وكبراءها» في المصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية ابنائها
واستخرجوها في الاستكانة والاستخذاء حتى نزع من روح الحرية وقضت
الحرية والحمة وجل محل ذلك انضعف والحوول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية
الحقيقة . الخ

رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان
(التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجدتها
فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرئة دين الله
الاسلام وأهله ما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت
نحلهم، أو تباعدت حلهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في
القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو
محرر وكشفت النقاب عن حر المسئلة التي تحيط فيها ذور السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
 فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
 تلك المواقف الحرجة اليهم، ويا حبذا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
 تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
 في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الأغراض، وحقائق الأمراض،
 وما لهم من مفارم إن كانوا قساة، أو مراحم إن كانوا أساة، وبالاختصار أقول
 إن المسلمين ليضطربون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسم كل
 منصف عدل من الفريقين إلا الاذعان لما جاء فيها إن لم يكن ظاهراً فباطناً وأنا أشهد
 الله أني من المهترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها فرض ذاتي أو عرضي
 وإنها مرآة مافي قلوب المسلمين الخالص الذين لا يدينون إلا للحق وداعيه، والعدل
 ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحسبنا الله ونعم
 الوكيل

فَتَاوَيْتُكَ الْمُبْتَانِ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
 اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
 بالتدريج غالباً وربما قد منأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجابنا غير مشترك لمثل هذا. ولئن
 يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿أخذ الحق من الوالدین وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ما قول عالم الآلة لاسلامية وحكيها ومرشدها أستاذنا
 السيد محمد رشيد رضا لزال كربة السائلين في رجل اشترى لولده أملاً كامن أناس
 أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد الثمن من عنده
 فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد
 أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إساءته بأخذها منه

عقوقا بما قبله الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدلائل الشافي لازلم نجما لله تدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وإن استاءوا ولا يهدون ذلك من العقوق الذي هو الإيذاء الشديد عرفا والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد وإذا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم تتبعه النصيحة النافعة إن شاء الله تعالى . قال شيخ الإسلام السراج البلقيني في قاراه كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج إلى بسط الكلام عليها وإلى تفاريدها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين إذا الإحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود إذا الناس أغراضهم تحملهم على أن يحملوا ما ليس بعرف عرفا لاسيما إذا كان قصدهم تنقيص شخص أو إذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو أنه مثلا لو كان له على أبيه حق شرعي فاختر أن يرفعه إلى الحاكم ليأخذ حقه منه فلا حبه فيه ! يكون عقوقا أم لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الأكابر إنه يعسر ضبطه وقد فزع الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتح العظيم أن يكون حسنة قول : العقوق لا أحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جملة الصغار فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الكبار أو أن يخالف أمره أو يهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يشتم الوالدين ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الولد أو في غيبة طويلا فيما ليس به نافع ولا كسب أو فيه وقية في العرض لها وقع . ويان هذا الضابط أن قولنا أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فإنه يكون المحرم المذكور إذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو أخذ فلان أو شيئا يسيرا من مال أحد والديه أنه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ ما لا كثيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

« وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالد بدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم لأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من التفائس . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الوالد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الوالد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتمد المنع وأقدم عليه كان كما لو طالب حبس من لا يجوز حبسه من الأجنب لا عسار ونحوه فاذا حبسه الوالد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائرة والطلب الجائر فليس من العقوق في شيء .

« وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الوالد بسبب الشكوى المذكورة » وأما اذا نهر الوالد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر .

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بهد إيراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عرفاً وثن لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملاً فلا يقوم له ولا يعبأ به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الغزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبرأ قسمها وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأله فيضربهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لا شك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امثالاً لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البر المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التمارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليمي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لا بد من الاطّلاع بها في هذا المقام لا يوضح الحق في الواقعة المستول عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهم حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لهما حقاً عظيماً على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ما يريدها وأن لا يكون له معها ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حداثة . يقع هذا من الأم قليلاً ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يغلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الفنى والرفعة جميعاً ويلد له أن يرى ولده مفتقراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو الملة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأنصار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم. ومن التربية على الاستقلال أن يعطي الولد شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستقله ويتمتع بشمرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لأجل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم ثمنوا موتي لستمعوا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون أن تطول حياتي؛ وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا الحمد أغنى أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعظمهم وقد قسم جميع ما يملكه بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال، ويربهم على العز والاستقلال، وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأخف بن قيس لمعاوية وناهيك بمقل الأخف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية إلى الأخف بن قيس فلما صار إليه قال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا أمارقوا بنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعظمهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمتحونك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك.:

هذا وإنما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل على أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي القتهاً ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد له ليم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قرة عين له ومحبا لطول بقائه وممانا على بره وشكره. وأنصح للولد أن يبلغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأمان ولده على ربه» فإن هذا الحديث من الأدعية التي ترشد إلى الحكمة السامية وإن كان في منتهى

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشامي مرسلًا كما في شرح الأحياء والله الموفق

﴿السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان﴾

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشباسي في سواكن: اننا مستخدم حكومية السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج مخنجة بأن الشرع الشريف لا يميز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أصرين إما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن وإما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب • فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعلمان بحكم العادة • وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية إلزام زوجته بالسفر معه فماذا يكون الحكم • وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفاكم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان لافاية وإن الانسان لم يتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضاء النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربية وقلّة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومما ذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا • نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفر أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها • وأما الحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب الفتوى لأن غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والإحسان وإن ما يسمع عنها أو يرى من أهائها مطلقا لذلك فهو بعيد عنها وهي رتبة منه

﴿رمي المسلم بالكفر﴾

(من ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي يستأنفونه

ما قول ساداتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلماً بما
لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرت الا الضرب بالعمال وتكرر
منه القول عمداً بحضور الجرم الففير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافراً عرئداً والياذ
بالله أم لا فإن قلم بكفره وردته للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها»
فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلم بدم
كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان
جواب الثاني للبادي مستنداً للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى
آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو الله ورسوله ولا نصراني ولا
يهودي: الي آخره أفقوناً مجورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نبرزه الا الاهانة وهو لا يكفر
بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بالفظ
«أما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجحت
إليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم:
«هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلاً من المشكلات من حيث ظاهره من
حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقبل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي
خمس (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيسته عليه
يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السؤال (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد إلى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام . أقول والذي حقه النزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند المارفين أنه إنما يكفر بذلك إذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الإسلام كفرو هو لا يقصد هذا إلا إذا كان يعتقد بطلان دين الإسلام

باب في بيان ما ينبغي أن يعلم من

المكتوب التاسع من «إميل» إلى أبيه

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة — ١٨٦٦
غادرت مدينة بن وقتلت كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) إلى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبتها مطلقاً أن ينتقلوا من أحداها إلى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا النقل يمكن الطلبة من الاختلاف إلى دروس أنبيخ الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إنني أخاطب تعلمت كثيراً من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملة لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده إليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدتهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي أن كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له . ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العلم بل استعالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نوااميس طبيعية

وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فبعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا تحيد عنها الا م حتى تسقط في مهاري الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الانسان نشأ منوحشاً أي أنه كانت قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها بديايا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقى الذي لا راد له فكأنات الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية .

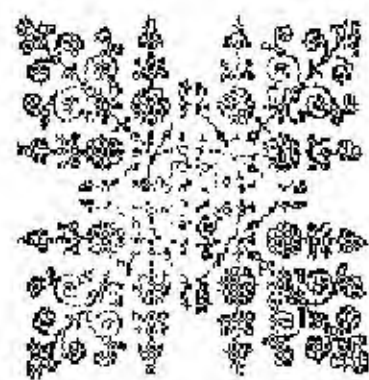
وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤوليا كانت كلها موحاة من الله فإذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلاف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية . وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أنني مع بحني في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسريري هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضاً ويبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبيث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطراً في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرع بالاقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لا أحد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الاصداغ التي يتناقلها
الأطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين أنهم يسمعون فيها اصطخاب البحر
على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي إليه
طبعي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والأخذ بناصر الحق وهيات
إن أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فاني وإن ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حينما نظرت فاتما تبدولي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تظلمه
وتجبره. هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبه إلى أي ثانية فلا يذكر
إلا ويتسرع جلدي لذكره ولا ينتقص إلا ويتبين دمي كله انتقاماً له وليس
الذي يبهري منه هو غزواته ووقائمه الحربية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب
بكتابه الذين يهيجون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له و بما
في نفسي من الأمل في خدمته يوماً ما تجدني مقتبلاً ومعتزاً بالانتساب إليك . اهـ

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجبها وحسن
حروفها وانا نعتمد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أنا ربيبك الحبيب

﴿ قصيدة حنني بك ناصف في قنانه ﴾

حنني بك ناصف شهير بعلومه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في النظم بمعرض المدح وأظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطبا المستشار القضاي أولناظر الحقانية

رقيتني حسا وممّني	فاصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين	بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي	من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة	فيها غدوت أعز شأنا
أرد الشارع سابقا	والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملوك	لكو كنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به	قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حوله	متطاف كالتون حسنا
هيات ان يصل المجدّولة	ويدرك ما معنى
أرايت يوما مثله	في القطر تمحصينا وأمنا
النبت في غيطانه	متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه	في جوه ويزيد وزنا
قالسدر كالرمان والا	جمير كالبيض الحنى
والدوم فيه	دائم يفنى الزمان وليس يفنى
فخاره لمج	الانا م بمدحه يسرى ويمنى

يكني لترويع الاوا في ان يقال (قنا) فتنى
قالوا شخصت الى (قنا) بامرحبا بقنا و (أسنا)
قالوا سكنت السفح قنا ت وجبذا بالسفح سكني
قالوا قنا حرّ قنا ت وهل يرد الحر قنا
سرّ الحياة حرارة لولاه ما طير تنى
كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن تنى
والحي بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
تدقق الانهار من حر وتزجي الريح مرنا
ها قد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمأنا
ووقيت أمراض الرطوب به واستراق الريح وهنا
ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
وأنام غير مدثر شيأ اذا ما الليل جنا
قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
وقرت من ثمن الوقود النصف أو نصفنا وثمنا
فالشمس تكفل راحتي فكأنها أُمي وأخني
فاذا بدت لي حاجة في الفصل ألقى الماء سخنا
أو رمت طبخا أو علا ج الخبز ألقى الجوف فرنا
سكني القرى تدع السفينة موكلا بالمال مضى
أي الملامي فيه يصصرف ماله ومتى واني
كل امريء لقاء من بعد الظهيرة مستكنا
ويرى الغريب السعر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لبنا ويلقى السمن سمنا
عش في القرى رأسا ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
واربأ بنفسك أن ترى مستعرتا في العيش جينا
ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الاغنا
واسل الاغاني والنوا في واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احدهما منقولة عن الاخرى لأنها متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي القاسمي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لا تسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورقائق الاشعار وأن ييسر كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحداث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا وثمنها خمسون قرشاً ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمذاني ﴾

مقامات البديع أشهر من تار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس بهري فهو لا يحتذى في الكتاب وإن كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو إتقان الكلف كما كان يقول الأستاذ الأمام رحمه الله تعالى

وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الراجحي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الأستاذ الأمام إذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . وثمن النسخة منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب إلى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشرق قال أنه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فإذا هي لا تصل إلى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه وإطلاعه فالفالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يسعج أكره القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسمعق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق غنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا أن منهم قديين المهين عاملين على أحيائها لأشكت اللغة أن تقع فيما نخاف : وقال أنه يعني بهذين القديين الشيخ إبراهيم اليازجي والشيخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراها بالألقاب . ونحن لا ننكر أن كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من اللبخل والنسب والمهدي بتخريج معلمي المدارس الأميرية وطبع الملوكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لا نوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر أحيائها في هذين العاملين فإن في مصر وسوريا وغيرها من الأقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لإحياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما أمام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاساتذ الامام رحمهما الله تعالى فالسيد هو ارشد الاساتذ
وغیره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهري فيه وكانت من عمل
الاساتذ ومساعدیه فی المطبوعات والازهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه
في تاريخه الذي يطبع الآن

﴿الديانة الإسلامية • للمكاتب الأميرية﴾

كتاب وضعه الشيخ أحمد إبراهيم المصري المدرس بالمكاتب الأميرية
(وهو غير الشيخ أحمد إبراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية)
مواقعاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك المكاتب. وقد نظرت
في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فإذا هو مشتمل على مسائل من العقائد
والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والأحاديث والحكايات الأدبية
وقصص الأنبياء عليهم السلام. وقرأت منه جملاً متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير
من الابواب. رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر
الله به وترك ما نهى عنه. وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين.
ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً
لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين
التعريفين وهما متقدان من وجوه أخرى فلا يندر فيها كلاً يندر بالاكتمال في
قسم الإلهيات من العقائد بعد الصفات المشرية ونحو ذلك. وما ذكره من
مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذ من القصص المتداولة فحسب
أن يعنى بتنقيح الكتاب عند طبعه مرة أخرى

﴿ديوان الرافعي﴾

قد صار مصطفي صادق أفندي الرافعي من شعراء مصر المشهورين وله
على حدائثه سنة ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو
١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو يسمى سائر شعره باسم آخر
أو أسماء أخرى. وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة تأتي فيها عبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بمبارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يمتد إلى مراده . وسنين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقريرنا مقبله فعرض الموصوف على القارئ أبلغ في التعريف من عرض وصفه . ومن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد ومن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الأذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارئ تصوير الوفاء بأجل صورة ، أكل مظاهرها والصدقة في أبهى مراتبها ، وأبدع مجاليها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلب منذ تشارفا إلى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه إليه وهو سوء عاقبة المحالين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الأفكار الضارة مالا تحلو القصص من مثله كذكر الخيانة والفسق والحيل . القصة أفرنجية الأصل وقد نقلها إلى العربية فقيده النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها ومن الأجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهيرة) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها إسكندر دوماش الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم . ومنها خمسة قروش

﴿ عنراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حتى وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العامة وثمن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
الكاتب الشهيرة

﴿ الدين والأدب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقزان (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان
البارودي) العالم الشهير بشيرته وبخدمته للإسلام في مدرسته وجريدته ، وهو يفتح
كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما فعل وينذكر
فيه شياً من الشائيل الشريفة ومباحث العربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة
فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويدوم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فلكية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير
تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول
سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة
والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم
نجد وقتاً يتح لنا قراءة شيء منها ، والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة
الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشاً في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها
فنسئلي لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة
والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في أول أكتوبر (١٣ شبان) ولم
يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر
انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا أعابها .
فنسئلي لها التوفيق والنجاح

﴿ المزعج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤنا الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق
التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابته في ذلك أزعجت
القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة وكشف ما غشينا
من الغمة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿رأي في الصيام والسياسة﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون
له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحبتون كباثر الاثم والفواحش الا الله
واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا
لذنبهم، وأتابوا إلى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جفرايون وهم أصناف نخس
بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم
لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحبتون ما يأمرهم به الهوى من المماحي
ولكنهم يتمصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل
لا يدخرون في ذلك وسماً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة
عند الحكام. وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن السامعون أو القارئون
لكلامه أنه من أقوى الناس إيماناً وأصدقهم اسلاماً وهو لا جد يرون بأن
يسموا بالمسلمين السياسيين واليهي توجه الكلام فنقول :

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية
الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من
المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفرون
أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم المقائدا الحفية والآداب الاجتماعية
والشعائر المالية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشماثر الظاهرة حتى الصيام
فتفطرون في رمضان جهراً تَدْخَنُونَ في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر
فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أبقيتهم من المقومات لهذه الجنسية
السياسية. إن كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في
الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فأننا قطع بأن هذا الظن من الاثم، وأنكم لستم
فيه على بينة ولا علم، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية، هل هو
موّد إلى غايتكم السياسية، فإن رأيتم بعد التفكير - ولا بد أن تروا - أنه غير
موّد إلى هذه الغاية فارجعوا عنه، إلى ما يبين لكم أنه خير منه،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم
وأمرائهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشماثر المالية المملوكة من الدين
بالضرورة جهاراً بل يؤدونها ويبدون عليها شماثر أخرى ليست من الدين كالاحتفال
بليالي المولد والمراج ونصف شعبان. ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسرّ
بليالي المولد والمراج ونصف شعبان. فهذه الجاهرة بالفطر في نهار رمضان ممن لهم مكانة في
الامة افساد في الدين والدنيا وفساد في السياسة والاجتماع فإن هذه الامة
لا جنسية لها في غير دينها فإذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم
من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب، وهى تهيئها الأمم
القوية لتجد هذه الرابطة - إذا أمكن - في زمن بعيد،

أما الذين لا يصومون من الفوعة الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع
فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يستبرون
«أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»
لا تقل إن المنار مازال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول إن اتخاذ جنسية
لا ينبغي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين
سياسة أن يزاووا بالمحافظة على الشماثر في الظاهر وأن كفروا بها في الباطن: إنك
إن تقل هذا أجبك أن الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة إلى سعادة الدنيا
والآخرة معاً وإنما يكون كذلك إذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شعائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهراً وباطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان يهدمه لركني المادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويجرئهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه وإياه نعت بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنقي به فتنه ان يحافظ على الشعائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والأفليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بمقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشعائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاسطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر و يدعون أن من الدليل على صحة اسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهرومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بمقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشعائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لاعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بمقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصفته لعلوا به . أما هذه الغيرة التي يدعونها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواء بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يفار عن الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يفار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الالسياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شعائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشعائر الظاهرة دون الباطنة كأداب النفس والغيرة الصحيحة التي تبث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لأنها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حلق شديد على رجال الدين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا اثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاحهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يعد لهم لائق مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الأمة وبين الترقى في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سبا فالت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولو طالت حياته لرجمي — وقد عرف قدره — ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء العامة

لا خلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يقني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حلوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهنك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يعده المتحذلقون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليعنوا بتربيته وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الأستاذ الامام الذي كان عازماً على انشائها في الشتاء الماضي بل كان يتخفى في الخفاء وتعدله عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الفمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعيًا يرجي وينتظر أرسل اليها هذا الاريجي الفاضل - كأرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وترفعها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بمجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريجية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفاً من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانياً من عزيت اليهم أولاً ثم لم نلبث ان انشرنا صدى لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير وتجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيخته﴾

كثير الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الادارة والمجابهة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المناصب والمناصب ومما اشيع أن المفتي شكاً شيخ الجامع الى رئيس النظارة والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال رآه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيلا للأزهر تمهيداً لجمعه أصيلاً بعد استشارة الأمير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبية﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ نحيث وعلى الدكتور مر جليوث

فبشر عبادي الذين يستسبون بقول فيبشرون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأنت هم أولو الألباب

الله
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كبيراً وما يذكرون إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن ثلاثاً صوى و«مناراً» كنفار الطريق ١

﴿ مصر - رمضان سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١١٩ كثر بر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

انشرت في العدد الثالث من المروة الوثقى بالعنوان الآتى (١)

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً

أرايت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عمامة العلم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مدبريها عقد المشاكل نمت فيها افان العزة بعد ما ثبتت اصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستملت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومما صير بها وأحست مشاعر سواها من الامم بأن لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعته وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها العالم روح مدبر وهو لها بدن عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتثر منظومها وتفرقت فيها الأهواء وانتشقت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقداً وانقصمت عرى التماسك وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحسين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المآر ونعيد نشرها الآن لأنها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخله الناظر اليه صحو
وذبول يظنه المفرور زهوا وأخذ القنوط بأمال ارنائك لدهوشين فأبادها وحدثت
فيهم قناعة اليهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر الحق في خيال احدهم
او استغفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرقاً او يعيد لها مجداً عمده هوساً
وهذاياناً اصيب به من ضعف في المزاج او خال في البنية او حسب أنه لو أجاب
داعي الامة لماد عليه بالو بال واورده موارد الملكة او لصار من اقرب الاسباب
لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالاً من اليأس
فتفل يداه عن العمل وثقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بنهاية المعجز عن
كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما أتى اسلافه من قبله وتجمد
قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقبوا
على ما أورثوه لا عقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك
ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم

نعم رأيت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت
ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء؟ بلى
وأأسفاً ما أصعب الدواء وما اعز الدواء وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف
يمكن جمع الكلمة بعد افراقها وهي لم تفرق الا لأن كلا عكف على شأنه ...
استغفر الله، لو كان له شأن يمكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه
اتصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت
كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا
يدري من أي وجه يحصلها ولا بآية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تيمث
الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زماناً غير قصير الى ما ليس من
ماليها؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في
سلوك سواه خصوصاً بعد ما استدير المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة
من المظلة؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المتهيج بأحلامه وفي اذنه وقر
في لامسه خدر؟ هل من صيحة تزعج قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تتباعد انحاءها وتتناهى أطرافها وتباین عاداتها وطبائرها هل من نبأه نجتمع
أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما نراكم جمل ورا نغبن وخیل للمقول ان
كل قریب بعید وكل سهل وعمر؟ أیام الله انه شيء عسير یعیا فی علاجه النظامی
ویمحار فیة الحکیم البصیر . هل یمکن تعیین الدواء الا بعد الوقوف علی أصل
الداء وأسبابه الأولى والموارض التي طرأت علیه؟ ان كان المرض فی أمة فكیف
یمکن الوصول الی علاجه وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فیة من تنقل
الاحوال وتنوع الاطوار؟ أیمكن لطیب یعالج شخصا بعینه أن یمحار له نوعا
من العلاج قبل ان یعرف ما عرض له من قبل فی حیاته لیکون علی ینة من
حقیقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثیمها فی طور من اطوار
المرض ثم لا تظهر الا فی طور آخر لتقلب قوة الطبیعة علی مادة المرض فلا یدو أثرها .
کلا انه لیصعب علی الطیب الماهر تشخیص علة لشخص واحد منو عمره
محدودة وعوارض حیاته محصورة فكیف یمن یرید مداواة ملة طويلة الأجل
وافرة المدد؟ لهذا یندر فی أخیال وجود بعض رجال یقومون باحیاء أمة أو
ارجاع شرفها ومجدها الیها وان كان المتشبهون بهم کثیرین . وکان المتطبیب
القاصر فی الامراض البدنیة لا یرید علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق
والصدقة بل ربما یفرض بالمريض الی الموت كذلك یمکن حال الذین یقومون
بتعدیل أخلاق الامم علی غیر خبرة تامة بشأنها وموجب اغلالها ووجوه الملة
فیها وأنواعها وما یکتنف ذلك من المعادات وما یوجد فی أفرادها من المذاهب
والاعتقادات وحوادثها المتتابة علی اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الأولى
من الرفعة ودرجتها الحالیة من الضعة وتدرجها فیما بین المثلین فان أخطأ طالب
اصلاحها فی اکتناه شيء مما ذكرنا نحول الدواء داء والوجود فناء . فمن له حظ
من الكمال الانسانی ولم یطمس من قلبه موضع الالهام الالهی لا یجراً علی القيام
بما یمونه تریة الامم واصلاح ما فسد منها وهو یحس من نفسه أدنی قصور فی
أداء هذا الامر العظیم علما أو عملا . نعم یمکن ذلك من محبی المنفعة الباطلة
وطلاب العیش فی ظل وغنائف لیسومن حقوقها فی شيء

ظن أقوام في هذه الأزمان أن أمراض الأمم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل أنهاض الأمم وتنبيه الأفكار وتقويم الأخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الانجاح الأمم مع التفرغ عن الأغراض فبعد ما عم الدهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكتابون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه إلا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماًفاً . على أن الهمة إذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيل الحوادث؟ إن هذا وحقك امرئ يز.

و يظن أقوام آخرون أن الأمة المنبثة في أقطار واسعة من الأرض مع تفرق أهوائها واختلاطها إلى مادون رتبها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش واللباس الشرف بالانماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لأحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الأمراض القاتلة بإنشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوروبا حتى تعم المعارف جميع الأفراد في زمن قريب وتهيئ عمم المعارف كلت الأخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد ما يظنون فإن هذا العمل العظيم إنما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الأمة على ما تكره إزمناً حتى تذوق لذته وتنجي عمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائبا عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودأوته فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تقني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين . فإن قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقتناهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الأقوياء حتى لا يدعون لهم سيلاً لأن يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البليغة الأثر . . على أنا لو فرضنا مسألة الدهر ومنحت الأمة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً فما يصح
الحكم بأن هذا التدرج يفيد هافائدة جوهرية وإن ما يصيبه البعض منها بهبو
لكمال اللاتقبة ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون
هذا وإن الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها
وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينمت وأثمرت وبأي ماء سقيت وبأي تربة
غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خيرة لها بما
يترتب عليها من الثمرات وإن وصل إليها طرف من ذلك فاعلم يكون ظاهراً من
القول لانبا عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد
بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم
ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم
من امة هذا شأنها مع ما ينمكس اليهم من الالهام المألوفة فيها وما رسخ في
نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون
بين أمتهم كخط غريب لا يزد طبائعها الا فساداً.

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بتأثيرها من صدورهم ولو صدقوا
في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما نعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون
فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما مرت عليه من عاداتها فيستعملونه
على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونه
على ما بانهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام
الامن الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد
من يمرض عليهم وهل يكون له من طبائعهم مكان محمد أو يزيدا على ما بها أضمافا
وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقلة وحلة فهو لاء الصادقون الا من
وقته الله منهم بنائيه الالهية يكون مثلهم كمثل والده حنون يلد لها غذاء فتنبض
منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه من اللبان لا يقبل سواء فيسرع اليه
المرض ويتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحلاة يشنون
بقية اللحم ويبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أبقي للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المفرورون يفسخونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الا خيرا ان كانوا مخلصين
ويؤمنون بذلك الخصاص (الحرق في باب ونحوه) حتى تعود ابوابا وياءدون ما بين
الضفاف حتى يصير ميا دين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين
ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبشئ المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا
بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف
والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدنا وهو في الحقيقة تمدن البلاد التي نشأ فيها
على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون
بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا
أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم
من أذياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم .
هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور هل نالوا بها من المنفعة ما يدفع عنهم غارة
الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا
يميل عرائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية
فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا
وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم ؟

نعم ربما يوجد فيهم افراد يتفهمون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها
ويصوغونها في عبارات متقطعة براء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووصفوا
أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا
الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم قتلوا أوضاع المباني
والمساكن وبدلوا هيئت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعوث
وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من
مناخرهم وعرضوها معرض المباهاة ففسدوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا
عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحدد أثره فأماوا أرباب الصنائع من قومهم
وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم

الجديدة والسكاليات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديدة وأيديهم لم تعود على الصنع الجديد وثروتهم لا تسمع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدد لا تف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها...

علتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المتحدين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوسوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفصت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثلم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحرقون أمرهم ويستهيئون لم يجمع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أو نزوع الى معالي الهم انصبوا عليه وأرغوا من أفقه حتى يمحى أثر الشهامة ويخمد حرارة الفيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الفارات يهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويعكفون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلاً عنهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .

أقول ولا أخشى لو ما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبداً الآدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لاية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدرتهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لتقتهم كأنما هم منهم ويهدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضمائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا مارأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد ؟ أي جمهوري من الاصوات يوقظ الراقيدين على حشايا الغفلات ؟ أي اقصة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخاملة ؟ أي نفخة تهبث ههنا

الأرواح في أجسادها، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الا قطار فيحة
الجوانب، بعيدة المناكب: المواصلات عشرة بين الشرقي والغربي والمجنوبي
والشالي، الرؤوس مطرقة الى ما تحت القدم أو منفضة الى ما فوق السماء، ليس
للاصار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسماع إصغاء ولا
لنفوس رغبات ولا لهواء نحكم والوساوس سلطان ما ذا يصنع المشفقون
على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يجاولون ولا خطار محدقة بهم؟ بأي سبب ينسكون
ورسل المايا على أبوابهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني
أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك
الى نشأة الأمة التي خلت بعد النباهة وضعفت بعد القوة واسترقت بعد السيادة
وضيقت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل
وجراثيم الطل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنقض هم أحادها ولحم ما بين
أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في
مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع
الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مركز للنفوس مطهر للقلوب من أدران
الحساس منور للعقول باسراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه
الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى
جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما
تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول
ونبذها ظهرياً وحدث بدع ليست منها في شيء اقامها المتقدمون مقام الأصول
الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أنى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية
له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً
بين الأمة وبين الحق الذي تشر بنداثة أحياناً بين جوانبها فملاجها التاجم
أنما يكون يرجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كانت في بدايته
وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وإيقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جر ثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطبئة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفعها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاتهم وجعلوا أصول دينهم الحققة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى السكال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانمكنت التربية وخالف فيها نظام الوجود فيتمكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانحسار، ولا يكسبها الاتساع، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الأصول الدينية الحققة المبرأة عن محدثات البدع تنشئ للأمم قوة الاتحاد وتثلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبشها على اقتناء الفضائل وتوسع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية؟ ان عجبت فان عجي من عجبك أشد . هل نيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة لدين من الممجية والشتات واتيان الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريعنها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنيا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسواقلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الأعطال ما أصابها . فيبان أسباب الخلل فيها وعلاؤه ففرد له فصلاً مستقلاً في عدد آخر ان شاء الله هو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الأحياء وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله وأعلم أي قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم أقطع منها ودك وأني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة وأعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وأني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت إليك كتاباً شوقاً مني إليك شديداً وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالمجل المجمل »

فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال علي بن رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فأتك كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليه لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقبل له هو في المسجد قال فاقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قال عباد

فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأني نزلت بياب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرمي بياب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يمرض علي الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فرجع ومسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولفها بهباءته وأخذ فقلبه بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذه بضمكم بقروءه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحمله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قرائته قال اقلبه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه قليل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا قليل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الي العبد المخور بالآمال هارون الرشيد لذية سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أنني قد صرمت جملك وقطعت ودك وقلت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك علي نفسك في كتابك بما هجمت به علي بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني علي نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وصنوذي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت علي بيت مال المسلمين بشيرضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والارامل والايام ام هل رضي بذلك خلق من رعبتك فشد يا هارون
متزرك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن ومجالسة
الاخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون قدمت على
السري ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجة برب
المالين ثم أقدمت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة قد قدمت بين يدي الله تعالى
و يداك مفلولتان الى عنقك لا يفكها ، لا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت
لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتمظ بموعظتي التي
وعظتك بها واعلم أنني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيح غابة فاتق الله
يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته
واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فايك اياك أن تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا أجيئك عنه والسلام»

قال عباد فأتى الى الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت
الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالدينار
والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية قال
فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من الباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استودعني فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجميل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي والملك يزول عني سر يعا ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشفق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجتأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلت بالحديد وضيق عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المفرور من غريموه ، والشقي من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ أقبلت هواج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجهرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمتك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار : قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو بقيمك قال فرجع بهلول
 رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك
 وينساني قال فأسبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الأحياء بعد نصيحة للمؤمنين)
 وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول
 لا يسأل عما لا يعنيه، ولا ينتشها لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان
 فيه تلفه قنزل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشركة الفحاميين يتطهر للصلاة إذ
 رأى زورقاً فيه ثلاثون دنًا مكتوب عليها بالقار: «لطف». فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف
 في التجارات ولا في البيوع شيئاً يبرعه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
 الدنان؟ قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا
 القول ازداد تعطشاً الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال
 وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خير للمتضد يريد ان
 يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خير؟ قال نعم قال أحب أن تطيبي ذلك المذرى
 فاغناظ الملاح عليه وقال لعلاه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المذرى في يده
 صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها الا دنا واحداً والملاح
 يستقيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري
 وأشخصه الى حضرة المتضد وكان المتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه
 سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
 فلما رأي قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاءك الحسبة قلت الذي ولاءك الامامة
 ولا تي الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى وقال
 ما الذي جعلك على ما صنعت قلت شقة مني عليك إذ بسطت يدي الى صرف
 مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه الى وقال:
 كيف تخلص هذا الدين الواحد من جهة الدنان؟ قلت في تخلصه علة أخبر بها
 أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني قلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أى الحاكم المولى من الخليفة وهو كالحافظ في مصر (٣) المحتسب
 هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك ونهر قلبي شاهد الأجلال للحق وخوف
المطالبة فغابت هبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى
هذا الدين فاستشمرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمضت ولو أقدمت
عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرها ولم أهال فقال المتضد اذهب
فقد أطلقنا يدك غير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين قلت يا أمير
المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي
فقال المتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر بأخراجي سالما فاصرفه بذلك
وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها
المتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة
مبالاهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يجرسهم ورضوا
بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخطأوا لله النية أثر كلامهم في القلوب
القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا
وأن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم
لا فلعوا فساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء
بامتلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحبة
على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر
اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضاعوا الدنيا والدين
وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين . ولا تطيل هنا في وصفهم
فحسبك ما قرأ في المقل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يخلو من العلماء الخالصين
وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية
القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والماذ بالله تعالى

الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الأمير
 للمشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض إراداته وولي مكانه السيد عليا
 البيلوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة . ثم ذكرنا استقالة الأستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الإدارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الأمير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم
 الحكومة من الأزهر شيان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخرج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخرج القضاة عازمت الحكومة على
 إنشاء مدرسة لتخرج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر مع حرصه على إصلاحه وأجبتنا
 عن ذلك بالإشارة إلى الشعب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فإن
 بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الأمير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الإدارة وعدم الخضوع لما يراى تنفيذه
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن الفرض من
 ذلك أن يستقبل شيخ الأزهر والفتى « رحمهما الله » وأن الأمير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره ذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرها
 من الجرائد التي تستخدم « المية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب
 الجرائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الأمير يحاولون إقناعه

يقول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقيل منها لما اتخذ ذلك من الأسباب
الملحة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشريفي شيخاً للأزهر واحتفل
بالباسه الخلة بحضرة الأمير ألقى الأمير ذلك الخطاب على الشيخ وكان مؤيداً
لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما يهم الأمير وحكومته من الأزهر أن
يكون في أمان وهدوء بعد عن الشعب وإتلاقل وأن يظل مدرسة دينية كما
كان وربما كانوا يظنون أن سكون الأزهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه من الأمير
واخلاصهم له هو مما يتجه جمل الشريفي شيخاً للأزهر لأنه في مقدمة العلماء
الأزهر بين الذين يرون وجوب بقاء الأزهر على حاله التي كان عليها في زمن
تعليمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة
العلوم والفنون فيه ولكن جاء الأمر على قبض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء
محبو الإصلاح من أهل الأزهر لترك الأستاذ الإمام لإدارته كما استاء عقلاء
المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة العتيقة فقد رأيناهم على عهد
الشيخ الشريفي اشتد استياء من إدارة الأزهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا
إلى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى
من حال الأزهر والطمع في علمائه حتى إن بعض الأفندية كتب في بعض الجرائد
اليومية يقول في بيان جبل علماء الأزهر بالدين وقد التفت بهم ما معناه إن الناس
لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه إلا إلى بعض حملة الطرايش
وفي ذلك هضم لغير الأزهريين من حملة العمائم كساتذة المدارس الأميرية وغيرهم
هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها إلينا زعيم النهضة الإسلامية في الهند السيد
النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتدنا به عن
علماء الأزهر تعقياً على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية
وهي التي أظهر فيها استياء واستياء مسلمي الهند من ترك الأستاذ الإمام للأزهر
وطعن فيها بعلمائه طعناً شديداً فلم نر نشرها في ذلك الوقت لما نزع زال فنحن نشرها
الآن وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - وایاه نعبد وایاه نستعین

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتم بالمر والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الأئمة . وبعد فانا قد سررنا ونشطننا بحسن
ضنيكم البنا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الأزهر واستقالة الأستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الغراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررتني أيضا ما قد
استبعم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عقيب هذه الرسالة فحامون فيه عن علماء
الأزهر واستفراغكم الوسم بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي
ارتاها الناس فيهم ولكن الذي آمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تعرفوا عني مما قد مجامرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيما
أحسب مما ليطمئن به بال احد او ان يفتدبه ما قد رآه أكثر أهل النظر في هؤلاء
العلماء من أنهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والطريق
في المدارس والكليات ولا واحد عندي بمطلع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب
قد علمت يا سيدي ان تصف علماء الأزهر وتصيبهم للعلوم الخلقية البالية وخلافهم
للإصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شجنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامع الأزهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم العالية الاخرى وما هي فيه من المنهاج الجديد
في أرض أوروبا أفحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الغراء ليلا ونهارا أفتراهم يقلعون عن
رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وإن إصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أقترى
أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشئ من قلوبهم مما كان عندكم
من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلاً ولا كرامة
وحاشاهم عن ذلك

فأما أنتم فليسري لم تألوا جهداً في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأنتم في يأن ذلك
بمجهنين وكذاهما تنقد عليهما وننظر في وزنها ورجحهما على منهاج أصحاب النظر
أما الحجة الأولى فقولكم إن من أصحاب الدرجة العلمية الأولى فيهم من يعلمون
أولادهم العلوم الدينية في المدارس الأميرية وغيرها الخ وأما الأخرى فقولكم ولا
يعلمون بدين أكاراً مراتهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا
الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعا ولا ينجيهم أو يذب عنهم بشئ فقد
عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا
يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر العارف الحكيم مصلح الدين السعدي
الشيرازي وهو من معارف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا مجردم آموزند خويشتن سم وغله اندوزند

يعني بذلك أنهم يعلمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم
بأنفسهم يكتزون القنصة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن دينهم أيضاً أن
لا يطنوا بشئ على الأمراء والولاة كما لا يحرموا من صلاتهم ولا يأمرؤا من
استبلا ب خيرهم وميراثهم بل وأناراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشعرون
بشئ على أفعالهم ويشاركونهم في الأحداث القبيحة التي يأنون بها في الدين
فأراهم لا ينكرون عليها بل يوافقونهم بمواقفهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك
قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الأول الماضي
في فتاوى الأزهر يقررون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور وأخذ
المساجد عليها واعتقادها أعياداً وتنظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الأعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (ودعوا لنا الدنيا وهم يرضونها أقويق حتى ما يدور لها نعل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أنتم في الفتنة ثم
أنهم يقرءون في شمائل نبيهم أنه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون
على من يفعل ذلك من أهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخنا
للأزهر قائلاً أنك من أهل المسلم لا يليق بك أن ترسل شرك فاحلقه فحججته
بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في
قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وأما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس
وكونه مخالفاً لسنة لأنه كان في الصدر الأول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا
باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا المصير الى علماء الدين فانهم
يخطئون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون «

هذا أم كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والظلم ظلمات » الأزهر ان
يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطراً على الدين أو عائقاً عن علومه وأنهم
يجعلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين « الى آخره

وقد صلف منا صارا انا قد رأينا في الجوائب المصرية انها قالت في شأن
رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين بجله كبيرهم وصغيرهم
لعلمه وفضله وعبادته حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة «
فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول مدير الجوائب
عائلك أفتانله « غرض السلف من تأسيس الأزهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب
فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم
وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للأزهر به ولا ينبغي له «
ولما راجعه المدير واستدعاه بالسؤال قائلاً « هل حدث يا مولاي ما يقف للأزهر
في الخدمة المطلوبة منه فبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم
مباني التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب
الدين وتطعن نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره « وتجاهر
في آخر كلامه متظاهراً قائلاً « ان الأزهر انما وجد لحفظ الدين ونشر علومه
ليس الا وليركوه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهر على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في إصلاح الأزهر بما اضطر الخديوي إلى اتخاذ الفتنة وخاطب شيخ الجامع الأزهر قائلا « ان الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية... ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما » ولما كان يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الإصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتى أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماءه وطلابه ألا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الأفكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والأوهام أو الإيهام بالأقوال أو بواسطة الجرائد والاختذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الأزهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولي به أن يرجع إلى بلده ويبت فيها ما يريد من الأقوال والآراء المذيرة للدين ولمصلحة الأزهر والأزهريين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الأحوال ويعرفها حق المعرفة ثم يرقاب في أن هؤلاء العلماء أكثرهم لا يجوزون الإصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام ولم يري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الأزهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين مركزا للنسبة وموطنا للمذلة ومقلا للمستربة بموضعا للمسغبة ولو نظرت إلى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المقلدة من العلماء علوما دينية ولا تجدد فيها الا تلقين نبد من المسائل التي تسمثر منها العقول ونعج قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالأجنبي هنا صاحب المنار

يُسمع بها فضاء علمهم ومعرفة بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بدمه وشعر الكتاب المجيد برده وجل همهم في أن يحمل الناس على منهاج يعتقدون به أن الإسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الأحاديث التي ليست بأدون من أحاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلاً عن الشرك الخفي وأما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تفهم بشيٍ أما في الدنيا أو في الدين هذا شيء من حالهم في تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسهم ونظم الأمور فيه فأمرو أشهر من أن يذكر وأبين من أن يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند التي كان حلاً بالقاهرة وكتب في ذلك كتاباً إلى حيدرآباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتيكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون أنا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضمهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا إلى رضوان الله كالإمام الغزالي وابن رشد الأندلسي والإمام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون أن العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبهم وأسفارهم ووزرهم التي كانوا يملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها إخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلق اني آنت نارا في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخير أو قبس لكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما أخرج الخبر به الإمام الرازي في التفسير الكبير من أن عمر بن حسام كان يقرأ كتاب المجسطي على عمر الأبهري فقال بعض الفقهاء يوماً ما الذي تقرأونه فقال أفسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « أقلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا أفسر كيفية بنائها ولقد صدق الأبهري فيما قال فإن كل من كان أكثر توغلاً في بحار مخلوقات الله تعالى كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي ببيان القاطلة

اولم يشر علماء الأزهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي أبي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وإن القرآن العزيز قد أمرنا بذلك أمراً أكيداً في كثير من الآيات وكتبني

آخر ذلك ماتلك عيون الفاظه . . . وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدى الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى . . . او لم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الغزالي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه القاضى عسمة الله في التصريح شرح التشريح - للشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو عيب في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حتى التفسير لا سراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبر به مفصلاً الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيث القرشي النجفي في بعض مقاطيع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الثقات فليرجع اليه

هذا وانه لن يذهب عنا الاسف والكمند الذي نجده في انفسنا من جهة قضية الخلد بوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الأزهر ونحن بهذا المصر في حاجة الى مثل الرازي والغزالي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويسنون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيف من الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والفطرة حذو القذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعلمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر القل وغياية الهوان والصفار التي القوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره وماءت بذلك هيئته وهم يفتنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارهاق في معارج العز والاعتلاء غامنا نحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، ومجيلة له

عن عقرداره ومجده وقراره ،

اوليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصارخ لها الاولياء بالمويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكت على المسلمين سحائب الدل والهوان ، وجللتهم غياهب الدم من كل جانب ومكان ، اي نقطة في الوجود من تقاطع الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد ونجود لها المحاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتسكب لها قاني الامطار من القل الغائرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلت الدول التي بقيت في ايديهم كأنهم لا حراك لهم وصاروا في العالم كأنهم الهبة تداولها ايدي الاجانب وتلاعب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصناعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستقبحون شكلها ومنظرها ويستقلون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير ، من أرض أروبا يستجلبون الفرش والسرير للمساجد والصوامع من أرض الأفرنج ولا يتخذون من ذلك شيئا بأنفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا ضولة ، وما بقي عندهم امر ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا يبالغون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد ليسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يقتخر هناك بروجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان ولبيهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم اذا كان يرمى الى عددهم وافرادهم . فاذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويبد من رهنه ذمة هذه الامور والذي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الانفجارهم عن العلوم الحديثة وتعاميمهم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يندرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الدل والصغار ومن ثم تراهم يرفعون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولم بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الا من جهة توغلهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الأصل إلى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة إلى تناغمهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك أروبا وانظر إلى هذه الأمة الحقيرة التي يقال لها أمة جابان أفلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تزيد على عدة سنين ولا تعد إلا على أنامل الآدميين ارتقاء مبهر أبهرت الأنظار، وخطفت لها النواظر والأبصار، أفليس أنها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الأقوام المتوحشة وتستحقها الأمم المتقدمة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد أدهشت الدنيا بأسرها بأعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الأزمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل إنسان فإذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم؟ ما ذلك إلا من أجل تناغمها في العلوم والحكم والأزهريون على خبرة من حالها ومنهج ارتقاها ومنوالها وإنما الأسف عليهم من أجل أنهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء ولا ينظرون في علل تلك الأشياء، ولا يفكرون في أسبابها التي أورثتهم الارتفاع وأورثتنا الانحطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مما هم فيه ولكان كل واحد منهم مثلكم ومثل الأستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيئ فضاء الأرض برحبها وينور العالم الاسلامي بسننه كلها بمشلة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العلام

وليت شمري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية أم نبذ من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفس والحیض يعنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دللنا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكال الربح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي يانهدي إلى تحصيل تلك الموائد الثمينة والفوائد الغالية وأوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لمثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون
بنظر الأعمان في أمضا آتكم البديعة الرشيدة التي علمت الدنيا أن الإسلام من بين سائر
ال مذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدينية
والموائد المالية والقومية وهو الذي اتخذه العلم وانقل عين الأيمان والدين ونفسهم ما في
الأصل ولولم يكن الأزهريون يظنون ظنا باطلا أن العلوم الدينية بأسرها منحصرة في
الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا تمتد ولا يعبأ بها وكثر هذه المطالب
ليست بمجديرة للعمل في هذه الأعصر والدهور ولوعرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر
وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حسي وهم يزعمون أن الولوع بها مما يشيد
بناء الدين لأروى الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غايتهن من النذل والهوان ونهايتهن
من الصغار والخذلان ولو كانوا يعلمون أن العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية
لكانت كلية كيمبر دج وآ كنفورد بمحمد الأزهر وتغبطها غبطة ما كان بمحمد ما أحد
ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الإسلامية ويحلقون
بها إلى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت إليها أمة جابان في هذه الأعصر والأزمان
هذا رأيي ورأي سائر الأفراد الذين لهم خبرة بأحوال الدنيا ووقوف على
أخبارها وأمام بتوار يخها واني أقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني
أن العلماء هم العلة الأصلية لكل هذا الصغار والهوان وتنام تلك النكبة والخذلان
وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومستولون من لدنه فليستعدوا للجواب فهم
الأصل الأصل لجل هذه المقامد وكل تلك الشوائع وانت يا أخي لا تستطيع وأن
جهدت كل جهدك للمعاماة عن علماء الأزهر أن تفصل هذا العار عنهم وتدفع هذه
التبعة والتقيصة منهم فانك لا تستطيع أن تكذب الحس والعيان ولا أن تدفع الوقائع التي
حدثت في لادهر والأزمان أفذه الكلية التي مضت لبنائها ألف سنة وتخرج منها
مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة
أفيحق أن يكون نهج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صماليك
الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالذلة وعشاءهم بالمسكنة ويتيتون
وهم مخذولون بالمسغبة أو مجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج

منها أناس يرتفع بهم منار الدين ويتقد به نار الإسلام ويملأ قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون إلى لواحب الصعود والأرقاء ويزيدهم عزة وبهاء ويهيئ لهم فرائع الاصططاد والاعتلاء وإنما يحزننا أولاً أننا نجد المسلمين في أي مصر واية قطرة من قاطع الارض كانوا بأسرهم ذاعلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير مكترئين بها وثانياً انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولو احب الاكتساب منسعة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيق فيه الأعمار ويضاع فيها الفضة والنصار، ويصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل العاطل العتيق الذي لا ينبعث المسلمون به للنهضة وينسلب من أجلاها مادة التحقيق عن قلوبهم انطاوية وينفض اليهم النظر في المعلوم النافعة اصطلاحوا على أن يسموه تعليمادينياب وعلى أن يسموا الرجل الطارف بمائل شقي من الطلاق والرقية والنفس والحيز رجلا عالما ولا غير هذا واني لست بحسب مقالتي في هذا الشأن ولا بمطنب في شكايتي من علماء الزمان نظرا إلى ما حوت مجلتكم الباهرة الفراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها وبمزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فإن الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وقهقردان نفعا للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وإنما شئى وحزني على ذلك من جهة ان الأزهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الأعمار والاموام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاصد المالية والمدنية في الاسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروها بالقبول لبكنا نأمل منه خروج المسلمين من غيابة القل والنسكة وتترقب صعودهم إلى أعلى ثمن الفوز والسعادة ولكن عليكم ببدان لا تأسوا من روح الله وتجدوا كل الجهد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ خنون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي (محسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بن خيت - تابع لما في الجزء السادس

مسائل الدينية

والمسألة الأولى من الحديث « نص حديث جابر عند ابن ماجه أورده الشيخ بن خيت محرراً فأشرفنا إلى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الإشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي « إلا أن يقهر سلطان بخاف سيفه أو سوطه » وعبارته عند رواه (ابن ماجه) وهي « إلا أن يقهره سلطان بخاف سيفه وسوطه » فقوله سلطان معناه سلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالإشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وإن كان حقاً وجعنا إلى الكذب التي من شأنها أن تذكر هذا الحديث وكذب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانعه (ص ٢٢)

« ونقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوبيض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزواته في الرسالة إليه وقد ذكر في كنز العمال مطولاً ونسبه لليبي وفيه ألفاظ لا توجد في البرق وجاء في آخره : « ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن قاجر مؤمناً إلا أن يقهره سلطان بخاف سيفه وسوطه » اه وقد ذكره في متقى الأخبار باللفظ الذي ذكره المعرض ولعله قصوره قصر الرواية عليه اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة أن الحديث ذكر في المذهب وشرح الإقناع قال « وذكره ابن ماجه في سننه مطولاً » وذكر آخره عنه وفيه « إلا أن يقهره سلطان » ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أورده في كتبهم واستنبط من ذلك أن « كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف الألفاظ مع اتحاد المعنى

ألا ترى أن ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ واليه بقي قد ذكره بلفظ ومتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراض على الناس يعمي ويصم فهو ذلك من الله اه

أقول قد أخطأ الشيخ نجيب في هذا المقام من وجوه (أحدها) أن كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لافي الحديث على الإطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب إلى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب إليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره أن صح ذلك

(ثانيها) قوله أنه عزاه حديث جابر إلى البرق الوميض غير صحيح فإن المتبادر من عبارته في رسالة السكورتاه أنه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فإنه قال مانعه : « وما يدل على أنه لا يشترط للسلطان الذي يقاد الفضة ويأذن بالجمعة أن يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« وإذا قال في النهاية وغيرها ويجوز النقل من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في المتن والاسلام ليس بشرط فيه أي في سلطان الذي يقاد اه كلامها « ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : فهل ينهم أحد من ذلك أنه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟ كلا بل هو يغالط أو يكذب مالا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) أن البرق الوميض ليس من كذب الحديث التي يعتمد عليها ويوثق بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . ولعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدل على قوة الاطلاع - ولا تقول على الجهل بالحديث وكتبه - من اقتصارنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كذب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله أن كنز العمال نسب حديثه المطايل إلى البيهقي يفهم منه أنه لم

يمرّه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا تقول ان الشيخ نجيب لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في إيراد الحديث ليسوا كاملهم رواية له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كافي السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البعري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي أنا يزيد بن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعملوا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها في حياتي أو بمدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا بر له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر موثنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو المدوي منكر الحديث لا تابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه تعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بنيت وأنه أورد الحديث وبن جرح راويه ليعلم أنه لا يحتج به . ومن نص من البيهقي الموافق لنص من ابن ماجه في قوله « الا أن يهره بباطان » تعلم أن ما في كثر الحال من النقل عنها محرف وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمعية ليس فيها ذكر الإمامة ولا التور بالسلطان فهو لا يعد طريقاً ليقوى به الحديث فما هذا النفس والتليس

— (المسألة الثالثة - سند الحديث) —

ذكر الشيخ بنيت عبارة في تلك المقالة في كون الحديث منكراً أو موضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اننا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني إن الحديث منكراً أو موضوعاً كما اجترأ عليه المترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس من الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم تبه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحداً واحداً ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم أن كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد المدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله المدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وإن الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وإن علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحارثان وخطي وكفي بذلك توثيقاً ونديلاً وقد خرج له الأربعة والبخاري في الأدب ومسلم في صحيحه وإن قرن مع غيره وبالجملة فلم يطمع على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فناية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطمعون فيه . وضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث إلا إذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فن
المنكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والمسانيد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومجمع
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري المحدثين واعتمد قوله
التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال هـ وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك هـ الخ

أقول كلام الشيخ بخيت هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الالمام وأما تراجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوفق غرضه وأما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويدلس و... و... عامدا عالما والأول
هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي
« ١ » جمل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن عمر عدلا لا طعن فيه

وقد قل الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى اتساع في التمديل وقالوا انه واسم الخطوط في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للبطوني وفتح المفتي للسخاوي
تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يطمئن فيه أحد . ولم يعد الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لا أجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كمحمد ابن عبد الله بن عمر الذي روى عنه الشيخان ؟ ؟

« ٢ » قوله ان الطمن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقرئ
المؤرخ صاحب نفح الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتمديد وقوله هذا
لا يفتد به فان الجرح المفسر مقدم على التمديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بخيت عن الشوكاني

وعن ابن باب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قل فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضمفه غير واحد ثم قل وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فإذا أجلناه عن الكذب فهل نجمله عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن باب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله نجيت من مسألة التمرارة والجواب الذي نقله عن المقرئ فيها ليس بشي ، فان الذين يقولون بالاجازة لا يمدون من أجيز بمرارة من الكذب (أي جولو) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راوياً لها ضابطاً لما فيها بحيث يحتاج بمتابعته في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ نجيت هذا فأعترض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفاً عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كانت يحيى القطان يثني الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطمع على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتوجب منه فان الطعن بالفسق ليس من أفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكأن الشيخ نجيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تجمعات العلماء في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فأنهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للجرح مراتب ليس

فيها شيء من قيل ألقاب السباب إلا لفظ الكذب هو يذكره الجمهور
للضرورة ومنهم من ينزه عنه كالبخاري وقتلما يصريحون بصدق الفاسق وكل ما قلنا
عنهم من ألقاب الجرح في رواية هذا الحديث معناه أن الجرح ليس عدلاً إذا الجرح
يقابل التعديل ولا حاجة إلى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث
في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطمئن
على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيد شيئاً في تقوية سنده وجعله مما
يحتاج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن نعيم منهم وحسبهم
أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال
فيه ذلك لا يحمل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا يحمل الرواية عنه
فقد عدل محتج بحديثه ؟

- (٥) قوله ضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد
- (٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته إلا إذا كان
يشترط في الاعتماد بالجرح والاتفاق عليه وليس الأمر كذلك بل الجرح مقدم
على التعديل مطلقاً أو بشرط كونه مفسراً
- (٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن معنى الحديث منكر :
لا يفيد بل يقوي الحجة عليه إلا إذا صح قوله إن ضعف الرواية لحديث لا يسقط
الاحتجاج به ولن يصح فإن كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج
بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكراً وهو مما يحتاج به على القول بأنه
معنى الشاذ وهو ما اعتمدناه وإن كان غير مضمود في نفسه وإنما المضمود من أقوال
كثيرة أن بين المنكر والشاذ عمومًا وخصوصًا من وجه يجهل أن في كون الراوي
قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه شاذًا والمنكر بكون راويه
ضعيفًا (انظر كشف اصطلاحات الفنون) وإنما توهم من توهم أن الشاذ والمنكر واحد
من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وإنما قلنا في تلك المجالة أن الحديث منكر
أو موضوع بناء على انفرد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتماد بمتابعة عبد
الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد بصوا على أن التميمي هذا
(المنار ج ٩) (٨٨) (المجلد التاسع)

لا يتابع وإذا تفرّد منكر الحديث أو من يضمنه بحديث كان متن الحديث منكراً أو موضوعاً. فإذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟
آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤) بعد ما تقدم وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحى الكتاني القاسمي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سمينه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الاتهام المعركة تام الورع اه فتقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي أن هذا المتن موضوع ولو كان موضوعاً مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن واهياً قال الحافظ عبد الحى القاسمي في الرحمة المرسلة لأن تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهياً شديداً الضعف لأن الضعف إذا حصل له أدنى انتعاش واستئناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يطلبان قويا اه

أقول قد علم القراء أن هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألقاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطه لعدالة مائة من الاحتجاج بحديثه . ومن دقيق علمه أنه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا إذ جعل الأول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود إلى عبارته هذه يستحي منها وإذا علم أن تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم إذ لا أظن أنه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القاري من هو الحافظ عبد الحمي الكتاني القاسمي الذي يقتبس الشيخ نجيت من علمه بالحديث ويمنج بقوله ورأيه ؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذي صر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جمعه الشيخ نجيت حافظا ليجتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فإن الذي جمعه من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ نجيتا ادعى أنه لم يطمئن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وأنه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضها وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتميمي عليه مقبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الاسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النظامي محمد توفيق أفندي صدقي

بعد انه محمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجتبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا قاتلك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويادلك الحجة حتي ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبتا بك وأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظر ك ان شاء الله تعالى بما لا ترى فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأي خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهود المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتي تبلغ منزلة الحق الذي ننشده جميعا فاما هدي يالذي رفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظرة عنراء وكثيرا ما ابتدأت

المناظرة بالمهاترة وانتهت بتسليح، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء اعلم وقفنا الله واياك ان اصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اتخذته وحده التكاأة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافج عن نفسك فيما ذهبت بها واما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لنبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسب لها بالبيان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لا كتنفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شيء آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لا شك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت دواعي الشكرار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجمدونه مكشوبا عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتعجج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتناؤه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد أن قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) أو ينخوف المخالفين لأمره ، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصريح

وقد استدلت على أن الإسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم أن المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فإن أردت أن القرآن لم يفرط في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع أن نوافقك على هذا احتراماً لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فإن القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة إلا يسيراً ، وإن أردت أن الكتاب لم يفرط في شيء من الدين على سبيل الإجمال قلنا نعم فإن القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وأنت خير بان ذكرها مجملة ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة ويحرم المعاملة ، على أننا نقول أن القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياتها فإن ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب إما مباشرة ، وإما باتباع ما بينه الرسول الأمين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و أنها من الله قطعاً ﴾

لأنحكبك تخاف في أن الرسول معصوم ، وإن كل ما يجري على لسانه أو أو يبدو من عمله إنما هو بأوحي السامعي أو الإلهام الإلهي الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عند نفسه ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (فامر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال ثمت للسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فإن الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الأمر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله المحكم ومظهر هذا الفرض إما أن يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا أمرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة بيننا وبين الله الحكيم العظيم قرآنا كُنْ أو غير قرآن ، والقول «نعوذ بالله» بعدم حجية الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الآمنه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وحيثه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لا شك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقة الذي انصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءت من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منقاد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانما أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لا جرم كان مقطوعا بها اجمالا كالقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك ، من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشرعية كلها - كتابها ومستها - لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق اللزوم لما علمت من أنها كذابة لتفصيل مجمل ، وتفسير مشكك ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام

والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قبض الكتاب المدد الجم من ثقة الحفظ - بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بهم هذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استشهد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصارييف هذه اللغات في النطق بها ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجما الى غير ذلك من وجوه تصارييفها الأفراد والمركب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل اشته والعدالة من الثقة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ رخصة الدعاوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر اثبات الممول به من الحديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شرط الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التواريخ القطعي ؟ واذا كان نقل الكتاب العزيز هم المدول الضباط المانظ الامناء فان نقالة الحديث ورواته ان لم يكونوا هم باعياهم فأنهم لا يقلون عنهم في العدالة والحفظ والنضبط والثقة والامانة فمن طعن في صحة السنة فقد طعن في صحة الكتاب أيضا

وقد علمت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعاليل ترى من الحشم علينا الامام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون من القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، وتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فيه ،

وقول - (١) اما انقطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعى

من نقله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فإن هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عدت مثل ذلك موجبا للقطع بارمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولقد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن المدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن واطلوا على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ؛ بل نحن لم نقطع بمحصل الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في نسخة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحاجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فانا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نخط بروية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة العزو ، فسلمت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت لنا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ ما تورثها كان على الصدور لا السطور (٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيده صحة
أسانيد السنة ، أذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع
حفظ وسطه وطرفه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من
التلاعب والفساد ما قد حصل» اترمي بذلك السنة الصحيحة المعتمدة بها، والمعتمد
عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها ما أجمعت
الامة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد
طعن في القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان
كان الثاني فأنا لا نقول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه العالمين شيء»
بالكتابة سوى القرآن « في هذه المقدمة — أو شبه المقدمة — نظر ، على اننا لو
نزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء
أصلاً سوى القرآن (طبعاً) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيراً من الرسل
الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقتطع لهم من
صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولاً ، ويعلمهم أحكامه
ثانياً ، ولو كان الامر كما رأيت ما صح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا
اعتمد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة ، نعم يقال انه كان يكفي بمحفوظهم
من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكفي بمحفوظهم من السنة ، وان قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل
مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة بعثة أولئك الرسل عن النبي
عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الالمام الى الغرض الذي سرحهم اليه ، وما
كونه لم يترك أثراً من الدين مسطوراً الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يترتب
عليه شيء ما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يعلم الناس كيفية الصلاة
مثلاً وهي القاعدة الثنية من قواعد الاسلام ؟

ترى اننا بعد هذا في غنى من التماس التملل لكتابة القرآن دون السنة
فنحن نعلم من أصل الامة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها وان كنا

ناقشك في هذا الرد

قلت «فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثيان بمثله» ونقول إن إعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلاً ، فلا مانع إذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من أن تنبه إلى المصائب بمخرج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على أن عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وليكنه غير منحقق أصلاً في جانب غيره أعجباً كان أو من هؤلاء المستعربين

على أننا نرجع إلى أصل الموضوع فنقول إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الافليح الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرأنا كان أو سنة وقد قال تخصيصاً لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عرضوا عليها بالنواجز)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه إلا منك ، فإن المقرر المعروف أن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا أن روايته تابعة لفهمه ، وإذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبليغ الافهام فاحر بها أن لا تساق أصلاً . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولاً ؟ وإذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري لاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه - إذا غاب عن الراوي لفظه فجائز لأن المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس إذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده

إن المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه ، وغزر علمه . لا بد وأن تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنياً في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا منهصاً بما يكون

بُلغة المهندي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افراد مختلفة الحدود على سبيل البدل لغة كالتقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطمهر) وهنا لا يسمه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التصف بالترجيح بلا مرجح ، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الأمة ثنتان وعدتها حيضتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكان يرى المجتهد أيضا من لفظ الكتاب ما ازدحت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإن الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأى دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؟ لا بد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد عينه النبي وبينه بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزّلنا اليك الذكر لنتبين للناس ما نزل اليهم) فالمستنبط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسمه تبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم نوص به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتفني به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وانما بهذا الوصف نقلت اليها تقلا متواترا لاشبهة فيه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يقوم تواترهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كإيمان علماء ضروريا فهو كالكتاب في صحة متنه ، وصدق عزوه ، بحيث يكفر منكره قطعا لأنه حجود للمستيقن بأنه من الله - وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الأصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدول ، الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القاتل يقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحزمة اللحم) بحجود شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من المدول الثقة الأوفياء من صحابة رسول الله وتابعيه . بل لو شئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متمسك بها فيما كان عبادة ومقتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الأحاديث الصحيحة المعول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو إما أن يكون من الأصل أو النقل أما من الأصل فمستحيل لأنك ولا شك تعرف منا بوجوب الصدق والفطنة والمصحة لجميع الأنبياء وليس بشيء من هذه الراجيات أن يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والياد بالله تعالى كذب لا يجوز لمسلم أن يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا إن نقلة السنة هم المدول الثقة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة إلى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى إلى حفظها وصيانتها . ولعلك لم يقتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الأخيار الماملين الذين نصرمت أعمارهم في هذا السيل إذ كان يمضي الواحد منهم الشهر والشهرين والأكثر متنقلا بين الأقطار والاصتداع تنقل البدر بين منازلها تماما لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الأماء ، ولو أنه ظفربه من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد روايته ففرض يديه منه ، واقلب إلى أهله خاويا من ذاك الحديث وقاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي وأضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المقيد به ، والممول عليه ، وقولك بعد « أن المجتهدين تحققوا أن أكثر الأحاديث موضوعات » هو حجة لنا أيضا لأن تمييزهم للموضوع والضعيف تميز - ولو بطريق الزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم أما الصحابة الذين تلقوا الأحاديث بآذانهم عن فم الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يختلف إلى صحيح وموضوع وضعيف لأن هذه الفروق إنما هي راجعة إلى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكرام فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح . مقطوع الممن كالقرآن واما غير هؤلاء . ممن لم يتلق الحديث الكرام الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت اتواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطلق أو موجب للخرج على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكافأ بما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة الممن - كما في الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتنقيب للعمل بالاقرب الى يقينه وهو الأرجح في ظنه والاخبار الاحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضاً كون بعض أحكام الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها فلا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلالتها ظنية - وان كانت مقطوعة الممن - كل مجتهد يحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولاً باجتماع النقيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحداً دائر بينهم ، وتصينه في جانب واحد دون الباقيين تصف ، بل المراد ان كل مجتهد يبحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج يلوغه من عهده التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعاً على الحق من هذا الوجه وليس ثمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا الكتاب ولا بعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجمل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمول فيه حتى يطابق النص الكرام وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهيين الى انه لا شيء من السنة بنسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلاً ، فلا تعارض هناك مطلقاً

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو
الفاه حكم بآخر كافي آتي العدة ، والتعارض بقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل
به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفاً به عنه لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدهما
حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعضه ناسخاً للبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التطابق . فاختلاف
المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا
يستوي فيه الاستنباط . من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد
منهم حديثاً لم يسمع عند الآخر - مع طول البحث وفرط الجهد - أولم يصل
الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدهما ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً
مثلاً ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من
ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا للزم الخرج وهو مدفوع على ان
هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم غني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق
فأقبوه وان خالف فردوه) ففيه صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان
يكون معناه اذا حدث حديثاً فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق
عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس
في كتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تدبراً ، وأكثرهم لها ذكراً ، فتعين المعنى
اذا صح الخبر « اذا روي انكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه
على كتاب الله فاذا خالف فردوه فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد
من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم
يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضاً لو كان الامر كما رأيت من
ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة إلا مادافقه
منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموعة متواترة لا شبهة فيه بحيث
تصان عنه أفعال العقلاء ، فضلاً عن الأنبياء ، مادام هو بيعة الذي نص عليه صريح
الكتاب ، ولكان الاليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لو كان - أي
الوضوء من الهي - واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولربما أثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ماأسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ماعيننا
بتفسيره على ماوافق اجماع المسلمين على أنه قدوردت السنة الصحيحة الصريحة
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه أنه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة مكانه - اني امرأة أصل الشرفهل يحل ذلك لي فقال
لايحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لوقرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت اني قرأت ما بين الدفين فلم أجده قال ألم تقرأني (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله مانولى ونصله جهنم وماءت مصيرا) * وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة وأربعين ركعة وثلاثا وكون
نصاب الضأن أربعة وعشرين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفتم اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

- أثبت القياس فكيفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الأولى ، على اننا شبتها جميعا
(المنار) لهذه المقالة ثمة عنونها (العقل والدين) ويليهما بقية الرد وقد نشرنا
عبارته برمتها على طوها انزاهتها واستيفائها المقصد

« (نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب في بيان أن سلطتهم آلهية

مكتوب العاشر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠

لاحق لك يا عزيزي هاميل في أن تكون بلا رأي سياسي فأما وجل
يمش في قوم ويظهر منزلاً لا يمارض بينهم من المصالح غافلاً عما يتقاسم عقولهم
من المذاهب فهو غاية في المقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل
المتوحشون يشغلون بمصالح قبيلتهم بغيرة وحمية
نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الأزمان الغابرة أنهم مرسلون
من عند الله لسياستهم وتدبير شؤونهم وكان على الرعايا على هذا الفرض قد قصر
على الطاعة المطلقة وأمرهم فكانوا منكأولاً لأنهم وخاصة بهم كما تلك الأرض ولا حق
للأرض في أن شور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية
بهدي العلم من أنصار هذا الحق الإلهي الذي يزعمه الملوك إلا التزاليه و قد
قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الإلهية ثم دل
التاريخ على أن السلاطين كانوا يستقنون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ سلاحيها
لأمرهم وأنه كان من الميسور للأمم كل اليسر أن يستقنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب هاميل القرن التاسع عشر في التربية

(١) ما ادعاء الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم مرسلون من عند الله أص
تأيت في التاريخ بل قد بلغ الفلوج هذه الدعوى ببعضهم إن ادعى الألوهية والصحيح
المعروف لدوي المتول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبدة استخلفهم الله في
الأرض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فإن أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم
رعاياهم وإن أساؤوها شقوا وشقوا بهم « يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المصوم الذي لم يكذب يبق للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاداي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي أنها حلت محل المحكومين في أفكارهم وعزائمهم ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم فيه حد الجبن أن يعطوا شبابها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : يا بني ان لك أن تفتي وتزوج وتجهل نفسك في الناس ذكرا وليس من حقت الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا الثوبات والمقوبات على الناس فهم كما نقول التوراة انفس منخرية التي تحرق أموال المعاندين لنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فلا حزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلمها واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقصر عليها لا «لا فائدة للحر» من الاشتغال بمصالح غيره «والعاقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها» (١)

وأما الامم الحرة فالأمر فيها تجري على ما يخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يعبدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب « وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الإلهية ليس صحيحا على إطلاقه فان القوانين الإلهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جمل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع أوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه تنزه ان يحتاج في النصرة الى الاستعانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي «لا تدخل بين العصا ولحائها»

السياسة ضرراً بالعيشة البيئية بل هم يجنون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجد ان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت ان جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن المبعث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غاية في الجهل ومنها من هي متطوعة في التأنق فتدني أن الوسيلة الى ترقية اخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولا مراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية ان تنزل من السماء وأنه من الحق والجنون أن تنظرها أمة من حكامها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضي الحكم حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحياناً حذقاً منهم في تهر بها وحرماً واكثرهم يهرفون عند الحاجة كيف يرتجون تهر يف شكيمتها الى أيديهم. ليست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى وبوهب بل هي مما يغم بالجهد والمكافحة فتدة كفاح العقول والمزائم وجملة الاخلاص الخاضعين الخاضعين وتصلب من لا يستخذون لذلك من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تذكره غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه ورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يبلى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً أن أبعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة النقيضة والجمهورية وحكومة نابوليون وليدت العصور التي تغني وتؤلني هي التي تسمى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي نخلد فيها الى الدعة من غير أن تنال حريتها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتقي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر نبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجاربنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكما سألت نفسي عن سبب مصائبنا خلاني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعداً عن الايمان يومئذ بالهجرة ذلك أنه يمتد في تغيير أحوال الامة بأمر من أواخر حاكم مطلق مؤقت الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة ثلاثي بيروت حاكمة كانت تعتقد متانة دعائمها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انها لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصايرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين اتقى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شك الحكومة واختيار الرجال الذين صرفون زمامها ليس مما لا يعاب به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحررتها على اختلاف ظروفها . قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن لاني شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فعلياً ان نخاض أنفسنا من خداع الناس ونظائرها من وثية الاوهام لأن الامم لا تبال حربها باتفاق ولا بسلطة غيبية فنية للطبيعة (١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا في نفسها تجد أن مجتهداها عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن عقلك الجهل والاهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الطغاة القاشعين اذا فمات ذلك كنت قد أدت في سبيلك الى الحرية شيئاً من العمل . التعلم التمار بالشر لا سائصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستغلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو ينموع ما أصابنا من ضروب المعجزات إما أن يكون مخطئاً خطأ باحشاً . لاحق لنا ان نميب على الأترك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

(١) انكار الكتاب تأثير السلطة القبيية يعني الله جل شأنه في حرية الامم أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أننا تابعون لبخت يومنا خاضعون لمقدور سياستنا مؤدون
ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خلود
الهمم والاحلال المزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده . اذا ظهر الشر والفساد في
الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا أن يتخيل في نفسه عالما آخر ماوي فيه معتقداته
ويشرف من أعاليه على أموره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في كفه
ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدلي من خلود النفوس وأثرة التواكل
وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الأزمان
هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشدد وتثبت في تيار الدمار فعلمنا ان لم نأنس من
نفوسنا كناية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماؤوا
من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويمالجون عبي البصائر قبل أن ينجوا ثمسار
كدهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضين بدمائهم ومن حكم عليهم من
المقلاء بشاق الاعمال وشكوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المضمرة
وتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من الدجون المظلمة والمنافي وأنواع المذاب والنكل
ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع . ألا نلوا الحرية يظل جميع المقاومين
والمكرويين والمهضمين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا اللوا سيكون لنا الفوز والظفر
وعلى هذا الاعتقاد أقبلت قبة الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانيه هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من

الميلاد ومات في عهد الاثونيين ايت من موت الملاء في روما

أنا علي بن سينا

« حواء الجديدة - أو - إيفون موزار »

ألف تقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف يضوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر إلى البغاء فيعتقها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذروا فجاءوا كأدور وعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية ، وقد كتب إلي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه أنه يرغب الوقوف على رأي (علماثنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبه بالكتاب الآتي

عزيري الفاضل

رغبت إلي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل ، واعتصمت بحجوة النزاهة والادب في التعبير . وأرائي استعبرت لغير ما عبارة في القصة . أما الموضوع الاجتماعي الذي نفتحت فيها من روحه فليس طريفا عندني قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا وأمل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت إليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بني شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يمتاز بوجودي بلادنا بني لها من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ما رويت عن « إيفون موزار » وبشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج . لكن التربية الدينية والادبية عديم كما وصفت من تربيتها فأكثرها - ان لم أقل كلهن - قوارير أقذار ، وقرارات وقاحة زهقان ، لا فائدة من تصفير جرائرها ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهم ممن يحزن لشقاؤهن ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن إليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لإنشاء ملجأ يووي من يزيد التوبة منهم وبغنيهم
عن طلب الرزق بأعراضهم ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للإعذار عنهم والاستطاف عليهم فائدة

لك أن تصف من شقاؤون بما شئت من أسباب، لتندر المعروضات مثل فعلهن
أن يتدهورن في هاويتهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين ونشوه من سهرتهم بما
استطعت من إطناب، لتفرعن مثل عملهم، وتحذر الفتاة الغر من تغريهم، فتكون على
بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهائهم وزورهم، وليس لك في رأي أن
تجعل ما تكتب منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ليصغر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا انتقدت عليك تصفير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة فأنني أنتقد الاحتجاج على تصفيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
البحول سبعين مرة الآن ذنب مسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الأخدان بل
لأن إظهار ذلك ويبان أن الناس يتسامحون مع ذوات الأخدان وهم يعلمون
بخيائتهن لأزواجهن بضر نشره في قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى
أذ لا تنصورا لي نلين للفساق أن يذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيا مسافحة
وانما يطلب على ظمها أنها تصادف زوجها يستر فضيحتها بغفلته، أو قلة غيره
ترأت ما كتبت ايفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتمنيت لو تقرأ ذلك العذارى
اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن باطلاق أهلهن العنان لهن مع
كثرة ما يحول الفساق من مخادعهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وانغضاء الناس عنهم فتمنيت لو لم تطامع عليه قارئة لاسيما إذا كانت عذراء
هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحيان لما عدا الامرين المتقدين من
ناحية ما تنفاز من تأثيرها وأرجو أن تتوخى فيما تكتب الهداية والفائدة أكثر مما
تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدد بمن يعرض عمله لنقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم » هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكى المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالسفر وقراءة المصنف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهذى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرنا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقد مناه على مطبوعات كثيرة أهديت الينا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤيدا لما ندعو اليه منذ أنشأ المنار كيان سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما اخير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجالية تأيد ما كتب كثير الزلازل اثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبعديتها وهذا تمهيد للاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ونرجي بيان ما أنكرنا منه وما ننتقد به عليه الى ان يباح لنا مطالعته كله بالتدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومساوقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس وينشونهم وهم لا يشعرون

باب الاخبار والآراء

تعيين سعد باشا زغلول ناظراً للمعارف

رأى اللورد كرومر أن يمين هذا النابغة ناظر المعارف العمومية فصدر الأمر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الارادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي ان يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعا في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا إلا النية التي اخترعوها له وانتقل بعضهم بسبب التناهي الناظر الجديد الى القبح بسائر النظار تصرحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم اسرافاً انه لا خير في هذا التعيين الا اذا جعل الناظر الجديد أمراً والمستشاراً لا تكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع ان يكون مساهماً مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة فهو لها في بلاداً يسلبها ضعفها وجهلها فدع كلام المسرفين واشكر هذا العمل لادارة المحتلين قال شكر مدعاة المزيد من الاحسان عند كل إنسان ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس ان في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب بالمرحوم الشيخ محمد عبده الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظراً للمعارف وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بخدمة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مريدي أستاذهم وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في عمله البلاد وخدمته واستقلاله وحكمته

الجامع الأزهر - مشيقته وإدارته

ذكر فاني الجزء الماضي ما كان بلغنا من استقالة شيخ الأزهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للأزهر تمهيداً لجعله أميلاً وقد تمحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب اجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلاً لمشيخة الأزهر فعظم ذلك على أهل الأزهر واستنكره كبراء الشيوخ واستكبروا أن يكونوا مروضين له على حداثة في السن والعلم وانتهى الامر الى الحكومة أو الى أولى الامر فخطبوا الامير في ذلك وقرر ان الشيخ شاكر لا يكون شيخاً للأزهر ولا وكيلاً وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشعب والاضطراب في الأزهر في أيام نيابته على امداد الامير اياه بنفوذه ويتوقع ان ينتهي هذا التلاعب في الأزهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا مع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن اصلاحه في جزء آخر

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد التاسع
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق

﴿ مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾
كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولا عنونها «محاورات
المصلحة والمقلد» بينا فيها طريق الوحدة الإسلامية وجمع كلمة المسلمين
المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يفرقوا
فيه . ومما بيناه فيها أن الأحكام السياسية والقضائية والإدارية - وهي
ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الإسلامية على قاعدة
درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشيدنا على ذلك بترك سيدنا عمر
وغيره من الصحابة إقامة الحدود أحيانا لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام محمد الدين الطوفي
الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء
وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيها الشيخ جمال الدين
القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيها في المنار ،
لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)
اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
غيرها (٢) أولها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها إجماع الأمة ، ورابعها إجماع

(١) تقدمه بنعديها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القرافي في التقيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي وليته لم يزد لها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل
والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى
والعمل بالشبهين . ودلالة الاقتران . ودلالة الالهام . وروايات النبي صلى الله عليه
وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد الفحص
 واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيخين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان
الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في المبادات
والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف
فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسند كل مادي معناه منها فانتظر

أهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المرسلة (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتسعها البراءة الأصلية (٦)

(١) قال في التنقيح : واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طريقه التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) لقياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لا جل اشتباههما في آلة الحكم : تنقيح

(٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم . مجامع

(٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن

الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بأن الله تعالى إنما بعث الرسل عليهم

السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فعملها وجدت مصلحة غلب على

الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان

إن لا امت أصلاً كلياً أو جزئياً من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا .

وقال الفزالي إن كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي :

إن المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأهم يقيناً ويفرقون

بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا يعني بالمصلحة المرسلة إلا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن إبقاء ما كان على ما كان عليه لا نهدام المفير قوله

السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي : الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء

في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند

مالك والمزني والصيرفي حجة خلافاً لغيرهم . لنا أنه قضى بالطرف الراجح فيصح

كأروش الجنيات واتباع الشهادات اهـ

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الأحكام خلافاً للمعتزلة

والأبهري وأبي الفرج منا . لنا أن ثبوت العدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته

في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده

عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (١) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقضى بها
عندنا لما تقدم في الاستصحاب . وتقل عن المستصفي : العادة والعرف ما استقر
في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول . وفي الاشياء من
كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « ما رآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن » لكن قال المالكي لم أجده من فروع في شيء من كتب الحديث
أصلاً ولا بسند ضعيف بسند طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو
من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة
والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الأصول في
باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر
الاسلام أه كلام الاشياء (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم
بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا قل من حجة الاسلام ونحوه قول
القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة
النزاع على تلك الحالة كما استقر لنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدي على الراحة
فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدى على الراحة (٣) وهذا الظن
حجة عندنا وعند الفقهاء اهـ (٤) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك
حسم مادة وسائل الفساد دفعا له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة الى
المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشهر ان القول بسد الذرائع من خصائص
مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي انه مشترك بين المذاهب كالمصاحبة
المرسلة والعرف وسماه في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا
إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقتراني والاستثنائي وصور أخر (٥) قال
السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم الدليل يمارض القياس
الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الآخذ بالآخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر إجماع أهل الكوفة
 (٣) الثامن عشر إجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر إجماع الخلفاء الأربعة
 من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسنًا قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
 يسمعون القول فينبهون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو المدول عما
 حكم به في نظائر مسألة إلى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
 الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
 العراقيون وقد اضطرب ثلث في تعريفه والصواب ما ذكرناه لأنه يجب الرجوع في
 تحقيق كل مسألة إلى عرف من ذهب إليها . ولذا آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
 الآخذ بأقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي أنها مساوية
 لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي آخذاً بالأقل
 لكونه مجعماً عليه وما زاد منفي بالبراءة الأصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك
 زيادة على هذا فارجع إليها « ٢ » قل العراقي العصمة هي أن العلماء اختلفوا هل
 يجوز أن يقول الله تعالى لبي أو عالم أحكم فانك لا تحكم إلا بالصواب قطعاً
 بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف
 فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » فأخبر الله
 تعالى أنه حرم على نفسه ومقتضى السياق أنه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
 أنه ما حرم على نفسه إلا ما جعل الله له أن يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى
 هو المحرم لقال إلا ما حرمنا على إسرائيل . وحجة المنع أن ذلك يكون تصرفاً في
 الأديان بالهوى والله تعالى لا يشرع إلا المصالح لا اتباع الهوى وأما قصة
 إسرائيل عليه السلام فلمعه حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
 تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسألة يجوز أن يقال لبي أو عالم أحكم بما تشاء
 فهو صواب ويكون مدركاً شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣)
 قل العراقي إجماع أهل الكوفة ذهب قوم إلى أنه حجة لكثرة من ردها من
 الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
 النسخ « عند الشيعة » واعلم أن الإجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الأمة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذکور في أصول الفقه (١)

مع الإمام المصوم - المشترط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الإمام فيهم وإن لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقزويني
وبه يعلم أن الإجماع عندهم أعم من إجماع العترة ومن إجماع من بعدهم إذا
كان فيهم المصوم . فالمدکور هنا كغالب أصول أهل السنة رجم بالقياس عن
مذهب الإمامية في الإجماع وإهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب إلى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك . قد أشرنا إلى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الإبقاء بالوعد السالف من الكشف عن الغامض من
بقية الأدلة الحجة والمشرية فنقول أما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به أكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى أنه يجب العمل به
إذا قصه تعالى في كتابه أو أخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في موافقات الشاطبي فارجم إليه . وأما التحري فهو بذل المجهود لنيل المقصود
من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الأحكام في الصلاة والزكاة
والثياب والأواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . وأما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع إلى الفهم وكذا العادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
إليه مرة بعد أخرى . وأما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالآخذ والاعطاء .
قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اهـ وقد أشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والأجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشراح: . مقصوده إثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين أن
الرجوع إلى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وسنأتي . ومن
أمثله بيع الأثر على الأشجار عند وجود بعضها دون بعض فقد أجاز به بعض =

== الخفية للمعرف كما في نشر المرف لا بن عابد بن وكذا نقل ابن حجر في شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز يعم شجرة قبل بدو صلاحها مطلقا : وأما العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الخادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .

وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الخادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع إلى حديث « دع ما يريك إلى ما لا يريك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالإجماع أو بعموم آية « ولا تنازعوا » وأما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالأصل فمنها العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . وأما شهادة القلب فقد يحتاج بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها إلى حديث « استفت قلبك » وحديث « البرما اطمانت إليه النفس » وأما تحكيم الحال فمنها الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها إلى رفع الحرج .

وأما العمل بالشبهين فقد ذكره الخادمي في شرح التتبع مطوفا على ما تقدم ولعله كالقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير لركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرها قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعصور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فمن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبنفس ما يكرهه اذا لم يدرك في الامر الممين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحها عنده كما لو اخبر من صدقه أغلب من كذبه بنجبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح ترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق واكن اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحها وألهم حينئذ رجحان أحد الطرفين مع حسن قصدته وعمارته بالتقوى فالهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونهياً والمفاسد تقياً اذا الضرر هو المفسدة فاذا قلنا الشرع لنم اثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الإقينة الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً « اتقوا فحاسة المؤمن فانه ينطق بنور الله » ثم قرأ « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » اه والتسمة سائبة . وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الاستاذ أبي اسحق وغيره انها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ما قيل ومستنده رفع الحرج . وأما الاخذ بأكثر ما قيل فستنده الاحتياط ليخرج من هذه التكليف يتيقن . وأما فقد الدليل بعد الفحص فعناه الاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدثهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . وأما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو أقوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقيية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية ومجاه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سبرناها من عدة مصنفات أرجع كثيراً منها الى الاصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بشئ ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه من سلا والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفتها فإن وفتاها فها ونعمت ولا تنازع إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وإن خالفها، يجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لهذا لا بطريق الافتئات عليها والتعطيل لها كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك أن النص والاجماع أما أن لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فإن لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية المصلحة وإن اقتضيا ضررا فاما أن يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثنى من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الأدلة ولعلك تقول إن رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وأنه يخص به الأثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الأجازات فيما لو دفع إلى حائك غزلا على أن ينسجه باثلاث قال — ومشايع بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الأجارة في الثياب لتعامل أهل بلدهم والتعامل حجة بترك به القياس ويخص به الأثر ثم قال (وتخصيص النص بالتعامل جائز الأثرى المجوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وأنه منهي عنه وتجويز الاستصناع بالتعامل تخصيص من النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان لا ترك للنص أصلا، كذا في نشر العرف لابن عابد بن وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر إلى اعتبار العرف فيما نقلناه عنه قبل من صحبته في ترجمة ذاك الباب الذي قل من يفتن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى أنها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستقيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو مفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء به كالقلم يكون على هيئة المصاحفة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة. ثم هي تنقسم الى ما يقصده الشارع لحقه كالمبادات والى ما لا يقصده الشارع لحقه كالمعادات

وأما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث أنه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الأذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني: وصف القرآن أنه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك

ومحوره وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحفة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحفة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل « فبذلك فليفرحوا » وهو في

معنى التهنية لهم بذلك . والفرح والتهنية انما يكونان لمصاحفة عظيمة

الوجه السابع : قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون » والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن وتقمه أصابع من مصالحهم والأصابع من المصاحفة

غاية المصاحفة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحفة

المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلان لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصاحفة في غير العبادات وانما ترجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهة نصاً واجماعاً

وأما التعميل ففيه إجماع

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة انثبت أن فعله

لا علة له عبث والله عز وجل منزّه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعطيل الافعال نحو « لتعلموا عدد السنين والحساب » ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعله فهو مستكمل بتلك العلة ما لم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية - فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل مدالة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكاملهم لا بنفع الله عز وجل لاستغناؤه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء . ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كاف خلقه بالمعصية فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعلهم في التكليف والا لكان ذلك تكليفا لما لا يطاق أو شبيها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحمين العقل وتبعجه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء العليل في القدر والتمثيل لابن القيم ص ٢٠٦ فإنه لا يستغنى عنه

ما يصلحهم ويتنظم به حالهم ؛ الاقسام كلها ممكنة (١)
 البحث الرابع في اداة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
 والسنة والاجماع والنظر ولندكر من كل منها يسيرا على جهة ضرب المثال
 اذ استقصاء ذلك بعيد المثال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «وايكف في القصاص حيوة . والسارق
 والسارقة فاقطعوا أيديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
 مائة جلدة » وهو كثير . ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
 واعراضهم مما ذكرناه ظاهر . وبالجملة فإما من آية من كتاب الله عز وجل
 ألا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح كما ينتهي في غير هذا الموضع
 وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بعضكم على بيع بعض . ولا
 يبيع حاضر لباد . ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها انكم اذا فعلتم ذلك
 قطعتم أرحامكم » وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهاين الكتاب وقد بينا احتمال
 كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
 الظاهرية على تحليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
 بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن ثم علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع
 اقامة المصالح الاخرية والدينية وبأن تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
 يكون وضوعها على ذلك الوجه ابدى وكليا وعماما في جميع انواع التكليف والمكافئ
 من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القرافي في الحاشية و يأتي في آخر مقاله أيضا

وحيوب الشفعة برعاية حق الجار وحواز السلم والجاراة بمصاحفة الناس مع مخالفتها للقياس اذ هما معاوضة على معدوم (١) وماتر أبواب الفقه ومسائله

فما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

وأما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعى مصاحفة خلقه عموما وخصوصا أما عموما فقي مبدأهم ومعاشرهم اما المبدأ فحيث أوجدهم بعد العدم على الحياة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعداك في أي صورة ما شاء ركبك » وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به ويتمتعون به من خالق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) اراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف

القياس فانه مهم جدا

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف الفسرين ومنهم من يفرق بينهم فاسد فهمه من النصوص وانكروا عليه كائنا كل بعضهم على قوله تعالى « واسوف يعطيك ربك فترضى » رعموا انه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة والخوة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى « ما غرك بربك الكريم » فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المقتدر حجة وهذا جهل قبيح وأما غره بربه الفرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأنى سبحانه باللفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا ايهال حقه فوضع هذا المقتدر الفرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اهوتهموه

للفزالي في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ
كَانَ مِيقَاتَنَا » وفي قوله عز وجل : « فليَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ
صَبًّا » إلى قوله عز وجل « مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ »

وأما خصوصاً فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هُدم السبيل ،
ووفَّقهم لنيل الثواب الجزيل ، في خير مقيل ،

وعند التحقيق إنما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع إلى
الآيمان الموجب لمصلحة المآد أكن بعضهم فرط بعدم الإجابة بدليل قوله
عز وجل « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَمْرِي عَلَى الْهُدَى » تحرير هذا المقام
أن الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً
بدليل قوله عز وجل « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » فدعا عاماً وهدى ووفق خاصاً

إذا عرف هذا فمن المحل أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في
مباديهم ومعادهم ومآشهم ثم يهمل مصلحتهم في الأحكام الشرعية إذ هي
أهم فكانت بالمراعاة أولى ولأنها أيضاً من مصلحة معاشهم لأنها صيانة
أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا مآش لهم بدونها فوجب القول بأنه
راعاهم . وإذا ثبت رعايته إياهم يجزأهم بالوجه من الوجوه .
فإن وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وإن
خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها
بطريق البيان

وأما أن رعاية المصلحة ، برهنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام
الشرع بها وأدلتها

(ثم قال الطوفي بعد بيانه الاجماع وأدلته ومعارضتها)
ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
الوجه الذي ذكرنا وجوه .

أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي إذا محل
وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »
وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا
عباد الله اخوانا .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها في
قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط
« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والخوارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة

اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
للنبي عليه السلام لما نهى ان يهضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يا رسول الله
فقال عليه السلام ، الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب الشريعة
لما خفت أزواد القوم وأماقوا وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم فاذن

للعادة كما سبق (١) ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الأحزاب
« لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة » فصرح صلى الله عليه وسلم
بأنه لا يصلون أحدكم العصر إلا في بني قريظة وهو شيء مما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حديثي عهد
بإسلامك لهدمت الكعبة وبنيتهما على قواعد إبراهيم » وهو يدل على أن بناءها
على قواعد إبراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس
ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد
سبينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبه بما نحن فيه
وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالعادة في أن
أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال : « مالي
أمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم بحث أبا بكر ينادي (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) فوجده عمر
فرده وقال إذا يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث
صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح
المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك إصلاح شأنهم وانتظام حالهم
وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الأحكام من التفرق وإثلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد إيلكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره
فامر أن تجمع أزواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طويلاه اختصارا
وهو قوله أن الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود
واحتج عليه أبو موسى الأشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر
بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه
وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تمطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو
قياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نائم بعد
الانتباه، وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على
وجوب العمل بالراجح كما قدمتم انتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١)
وقياس ابليس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»
لم يقم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد
الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أداة الشرع وجعلها
اعلاما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها صراغمة ومعاينة له قال اما كون
الشرع أعلم بمصالح المكلفين نعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح
ترك ادلة الشرع لغيرها فمنوع بل انما تترك أدلته بدليل شرعي راجح
عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم
الاجماع على غيره من الادلة، ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة
مصالحنا عادة فلا تتركه لاصريهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

(١) يشير الى ما ذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة
الشافعي في رساله في باب الاستحسان في شروط من يقبس : ويستدل على
ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين:
وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه
 حصر بحكم في جهة واحدة لئلا يضيق عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
 الكلام ليس منصوباً عليه من جهة الشرع حتى يحتل (١) ولو كان لكان
 مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ما ذكرتموه من
 مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض عنه وهو
 أن الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
 فأفضى الى الانحلال والفجور، وأيضاً فان بعض أهل الذمة ربما أراد
 الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه
 بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً» أي
 يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً لا يختلف الا بما فيه من التشابهات
 وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) . ولوا عتمدت رعاية المصالح المستفادة
 من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقر ولا تحد طريق الحكم
 وانتهى الخلاف، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
 يلتفت اليها أو صواباً نال ان ينحصر الصواب فيها أولاً فان انحصرت لم أن
 الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
 أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائرة من الطرق ولكن طريق

(١) يشير الى ان حديث اختلاف أمتي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
 (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد منهوها
 من قراعتهم وقدمنا ما يقرب منه عند الحنفية رحمهم الله من تخصيص النص بالعرف
 عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبنى الفقه على ان اليقين لا يرفع

الاثنية التي اتفقت الامة على اتباعها أ. ب. بالمتابعة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصر فيها قطاً بل ظناً وجتهاداً وذلك يوجب المصير اليها في الظن في الفرعات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الامة فيما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انفراد بها غير مسبوق اليها والسواد الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزام ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان العامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم ان هذه الطريقة هي التي قررناها مستقيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك بل هي ابلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في المبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في احكام الشرع اما ان يقع في المبادات والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والعادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر فيه النص والاجماع ونحوهما من الادلة

غير ان الدليل على الحكم اما ان يتعدد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجحه العزيز بن عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي زكريا وبحت بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي المطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي زكريا هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحاباً ونحوه فان اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضاً يقبل الجمع أو لا يقبله فان قبل الجمع
جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاحتمال لا الالغاء غير ان الجمع
بيدهما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
الأدلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع ثم ان النص منحصر في الكتاب
والسنة ثم لا يخلو اما ان يفرد بالحكم أحدهما أو يجتمعا فيه فان انفرد به أحدهما
فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد
فان اتحد بان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهراً فيه
وان كانت مجملة (١) فان كان أحدهما احتمالاً أو احتمالاً لها شبه بالادب
مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالاهما في الادب مع الشرع جاز الاصران والمختاران
يتعبد بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقف الامر على البيان
وان تعدد الدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر
فان اتفق مقتضاها فنكالاً لآية الواحدة وان اختلفت فان قبل الجمع جمع
يدفع بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها
بعينه فيها والا فالمنسوخ منهما مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

(١) المجهول ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان
ذلك تراحم المعاني المتساوية الاقدام كالشرك أو لفظة اللفظ أو لا تتقاله من معناه
الظاهر الى غير ما هو معلوم كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي إنما تبين ما ثبت حكمه لا ما نسخ وان انفردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو أشبه بالأدب مع الشرع وتعظيم حقه
وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تتساوى في
الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفقت مقتضاها فكالحديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدلل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع خبره أو بغير
ذلك من الأدلة

وان لم ينصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في
الحكم الاحديث واحدا فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يعمل به في المعاملات بل في فضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقاً كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحه ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالأولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قال القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة لمقاديرها والاهية الاستناد الخ

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح محل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينه ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكدا له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجة فهو محل نظر وتفصيل والاشبه بتقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالتبع فيها بمصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القتال والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تنقيحه : ان كلمات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيل والاعراض - حكى الغزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأما تعالى ما أباح المرض بالقذف والسباب قط ولا الاموال بالسرقة والنصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة

التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تتعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تساوقها فنقول كل حكم يفرضه فاما ان تتخصص مصلحة (٥) فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصلحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع منها تهمة فبالقرعة . وان تخصصت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت . وان تعددت درئ منها الممكن . فان تعذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

(١) أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لأنها هي سر الشريعة ولبابها كالماني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لآمانيتها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الخيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لمبادئه نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين (٥) المنار : يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع المفسدة تعين وان تعذر فعل الأمر من تحصيل أو دفع
ان تفاوتاً في الأهمية وان تساوى فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت الهمة
وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجع كل
واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلاً
أو دفماً (٩) فان استويا في ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به الى ارجح الأحكام غالباً ويتني به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال
مع ان في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالأحكام وأعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وأما اعتبارنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان
العبادات حق للشرع (*) خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفاً وزماناً
ومكاناً الا من جهته فيأتي به العبد على ما رسم له ولان غلام أحدنا لا يعد
مطيعاً خادماً له الا اذا امثل ما رسم له سيده وفعل ما يعلم انه يرضيه فكذلك
ههنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحية أو التعريم فليتنظر الى
مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على
الشارع الأمر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان مفضياً الى
ما يفضيه الله ورسوله اهـ (*) المنار : لم يلجأ للشارع وكذا ما عايناهما

شرعية وضمت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المعول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا إنما يقال في العبادات التي تحق مصالحها عن مجاري العقول
والعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم
المادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تفي بالاحكام علمنا انا
احلنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسله في جميع المذاهب عند التحقق
لانهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا نهى بالمصلحة
المرسله الا ذلك ومما يؤكده العمل بالمصلحة المرسله ان الصحابة رضوان الله عليهم
عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبي (المالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسله وسد
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشارك بين المذاهب ومن استقرأها وجددهم
بمصرحون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسله فقيرنا بصرح بانكارها ولكنهم عند
التفريع تجددهم بملون بمطلق المصلحة ولا يطلبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء
الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسله وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه اه ولا بن القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعا وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفساد . ومن توسع في بحث المصالح المرسله الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي
المالكي في كتابه الموافقات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

محرر الدين والعقل

تابع رد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي
بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين
هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هتفت أكثر من
مرة بالعقل في غضون البحث في أمور الدين ان تتكلم باختصار على ما يمكن
أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة، ولم يضاف إليها أحد شيئا آخر بل قصرتها
أنت على الكتاب وحده، فأنت نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين
في كل جزئياته؟ لا يمكن أن يراد بذلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر
العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين. فإنه ليس شيء من الدين بنيت
قضاياه على الادلة العقلية البحتة، الا بعض أصول المقائد كوجوب الوجود
ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات
وبعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيئا. وان أريد من العقل
نظرة الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كإقامة الصلاة والاستتباح لممنوعاته
كإتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه. ولكن لا يهرب عنك ان هذا النظر شيء
واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتباره كون ديننا مقورا
واجب الاتباع شيء آخر. فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل
الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه
مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا
جميعا. على أن القول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه
هذا حسنا قد يراه ذاك رديئا وبالعكس وذلك لا ينف عند طبقات الحمقى والجاهلين
بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب العلم والسياسة والبصر بفنون
التشريع. ولا نحسبنا نكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

الشارع التشريعي تكفيها مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي أوجبه الاسلام —
 ما لم يعف أولياء الدم — ولا نشك في استحسانك له مسئلة فيها نظر بين متشرعي
 الرومان قديما وأمة الطليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساويين ولا نجد حديثا
 فمنهم من أنكرت القتل ومنهم من أوجبه ومن هؤلاء الموجبات من استحسنته
 بطريق الشنق ومنهم من أبته الا بقطع الرقبة فهل رعى الناس كل هذه الامم
 بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هوا كبر الاشياء في مسائل
 التشريع ؟ فما بالك بصغريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسأل
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانها أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين ؟؟؟

الاسلام ولا شك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتمايز ديارهم وبسط اهم على لسان
 نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستند لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريعها الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناقض بحال لأنه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا على الميزان
 اذا لم يوف الموزون ؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تسنحس أو
 تستهجن ونحاول انه يجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لأنها خالفت العقل والصواب !!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الألوهية ان لا يؤمن بها ومجرات لاسبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك آلهة حكما متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا معصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسمادتهم وعزهم في كلنا نشأتهم
انصرف ولا مزية كل هم الى تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه
الحكيم للمعمل به ، فادلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الى البحث فيها
من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا
فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام ، يرجع بالفروع
الى أصولها المقررة ، وبالجزئيات الى كلياتها الثابتة ، ويفصل المجل في الكتاب
بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام
الظاهر ليقس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه
من الكتاب والسنة وأخذ بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول
الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسهه نصوره . بل
نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستحسن
لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الى
تجميع ما بنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء اليها القرآن بها إجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في
كتابه ، وعلمها جبريل لنبه عليها عمليا وهو عليه السلام علمها الناس وبلغها لهم
وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المألوفة ، الظهر والعصر
والمساء أربعا والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف
أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي)
وشدد فيها واكد ، ووعد عليها وأوعده ، وميزها بانها الفرض المحترم من بين ما من
من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم
ومن بعدهم الى يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب
عليهم من غيره في أقصى منازل الغرابة ، وكيف ذلك وهم المجهزون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لا شيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لا تبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره ؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بتمييزهم هم.

أدرجت في مطاوي كلامك انك لا تحتاج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل ما رآوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لا حساب عليه ؟ لا
أتيسر ان أجادل في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجوبها
كالضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره ؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينها في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم ومسجد للسهو . ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة ، وأي معنى تقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا ؟ ولو كانت أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجب عليه السلام بانها لم
تقص - أي لم تنقص عن القدر المشروع ؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
المقام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انها هو أربع ركعات لاركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ،
وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لساننا من مثل هذا على أنه قد بلغ وقول « بلغت اللهم أشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكركلتين للناس ما نزل إليهم » وليس من التبليغ المحفوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونفله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا إلى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بنحرية واحدة المنتهية بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثنائية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (إلا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضها منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتبين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشدّ عما عليه إجماع المسلمين من عهده عليه السلام إلى عهدنا هذا دون أن يمرضهم فيه شك ، أو يمتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن ينتهك الذين كفروا) الآية بناء على أنه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبعبارة أخرى أن الإنسان غير مكلف بأكثر من بين الركعتين الخ

ونقول أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي للمؤمنين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الإمام أو المؤمن ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسنى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعا أو سنا مثلا فن أين جارك أن كل طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمينها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بمينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس وعجابه وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، . فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصل ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه ممن بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) ثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بأن القصر انما هو واحدة ، فالقول بأن الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الاتمام منقضى بناؤه لانه يهدم ما دعيت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك أن القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فاي تلازم هناك بين كون القصر أي مادون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشراً مثلاً لولا السنة ؟ على أنها لم تقدر للواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بمينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، وأنخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان أنهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظمت ما اعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لآخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل أنها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قبلها أن

اقتصار الرسول اذ ذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب، بل قالت أنها فرضت أولا ركعتين، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فاقرت في السفر وزيدت في الحضر، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لأنها القدر الواجب مطلقا، مع العلم بأن النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تعود أن يزيد في الحضر، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كإبلا نقص فيها، أما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فإنا نفيناك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قيد لا يجوز التفات منه، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آثم، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتفاء بالواجب إذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في إباحة القصر عند الخوف، بل ولا نص خاص في الكتاب على إباحة القصر في غير تلك الحال، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا، فقد نصت على ذلك السنة، ومقامها من التشريع ما قد عرفت، ونعارض في كون الآية قيدا، بل نقول أنها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ، ولست فنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربأبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فإن الربائب محرمات مطلقا، وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه، فأجاب عليه السلام بما أجبت به، وإذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان الواقع ، ولم نشأ أن نخرج بهذا الخبر جثثك بمثله من الآية نفسه سبقتنا بالإشارة عفواً إلى أنه ليس قيداً ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث قلت (فصلاة الإمام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الإمام هو النبي عليه السلام لا غيره كما هو ظاهر هذا القيد (إذا كنت فيهم) فإذا قلت ان صلاة الخوف عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو إنما كان لمجرد بيان الواقع ، وإذا أبيت إلا أن يكون له مفهوم أي أن مقم صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لا غيره إذا كان قيام طائفتين من المصلين في خوف مقيداً بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للإمام - مطلقاً طبعاً -) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء بالواجب أي ليس قصرًا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاءً بالواجب مع ملازمته في غضون أسفاره للنوافل التي لا خلاف بيننا وبينك في أنها فوق الواجب أي أنها من التطوع المتبرع به ؟؟ ولو أنك أنكرت ملازمته عليه السلام للنوافل أثناء سفره فقد أنكرت لزوماً اقتضاره «في المفروضة» على الركعتين لأن مصدرهما واحد .

ومما لا يحسن تركه هنا أنه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبداً في حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثاً في الحالتين جميعاً ، ولو كان اقتضاه على الركعتين في السفر اكتفاءً بالواجب - لأشياء آخر - لما كان هناك موجب لتمييزه المغرب من بين أخواتها بأقامتها ثلاثاً ، بل لا كفى فيها بثنتين - في ضمن ما اكتفى

«٣» استدلت على أن ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة . ونقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلاً على عدم وجوبها ، والا لزم ان تكون صلاتا الظهر والعصر غير واجبتين رأساً ، لانه لا جهر فيهما أصلاً

علي أن الجهر وعدمه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة إلا بها ، بل هما من الهيئات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فإن قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما أن عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة وليكنك معنا لاسمها . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تروقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عليه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في أن ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وإن ورد أنه الاكمل في الركتين الأولين من الصلوات الأولية ، وكونه الاكمل فيهما لا يستدعي أن ما بعدها ليس واجبا .

« ٢ » استدلت أيضا على أن القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) إذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصليها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ أنه ماضى أبدا أقل من الركتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتعين أن يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

ونقول ان المبادات كلها وفي جملة الصلاة منشقة الى فرض محتوم ، ونقل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الأدلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيما بأن نسوق — ان ثبت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، وإذا أبليت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكثر ، إذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عبادة التكليف فلا يتصور أن يكون مازاد عليهما واجبا ، والا لكان المتعصر على الركتين غير قائم بالواجب وأنت لا تسلمه ، ولو كان الاكثر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتبين أن يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) أن الركعتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم أن ينقص منه، وأن ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى أنه ليس واجبا، بل قد مرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف أن الواجب عليه ركعتان فصلي أربعاً شكراً له الخ) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان فبمجرد أن يكون كل ما زاد عليهما نفلاً أي زيادة متطوعاً بها، ولا عليك أن تسمى سنة ولا علينا أن نسميها زيادة أو نفلاً. بل الذي بهنا أن هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضاً) يجب أن تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفاً النظر أو لم تصرف أما سنة وأما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص إذا سلمناها فهي لم تقع أصلاً إلا في الذي امتاز بأنه النفل، إذ المتفل أو المتطوع له أن يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأساً، مادام عمله في ذلك مجرد اكتساب المثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم أن النبي عليه السلام كان تارة يزيد وتارة ينقص - في النافلة طبعاً - قد نقلوا إلينا نقلاً متواتراً لا شبهة فيه أنه لم ينقص شيئاً (عمداً) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل وأخطب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على إقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثاً (إلا في خوف أو سفر) لأن نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع الكل على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة - إذا لم يكن منها بد - يجب أن توجه إلى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على أنها ليست فرضاً محتوماً من الله، وكونه لازم في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيداً بمحدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه إذ صلى دائماً في

المكتوبة (الا في خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعاء، والمغرب ثلاثاً، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها القدر المفروض الذي لا مفر شرعاً منه، ولا متسكب لمسلم عنه، مصححاً هذا النقل بشهادة كل الأمة، توارثوه عنه عليه السلام جيلاً بعد جيل، وتناقلوه قبيلاً بعد قبيلاً،

باب التذكير بالتعليم

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندريه في ١٥ مايو سنة ١٨٠٠

شهدت بالأمس أيتها الحبيبة العزيزة عبداً أهلياً أقامه الدكتور أراسم وزوجته احتفالاً ببلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقاً. كان السيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتعاش جميع قلوب المدعوين ابتهاجاً وسروراً وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الأقداح لتعاطي الراح على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي أفصح مقالاً منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي يجب على الشاب في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن الأزمان الحاضرة واقتضاها من المفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث والاختبار وإن ثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أودى اليك أثر هذا الخطاب الأبوي الذي كانت مزينة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الأبصار نحو «أميل» وأنت قد استطعت من منذ عوده من انكساراً أن تعرفي ما هو متحل به من ثبات الرأي وعلو الآداب وسعة المعارف فشكر لأصدقاء أبيه أن تفضلوا بإجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي الحقيق بمبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فبين الخطأ التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاء به صادر عن فكره المستقل ثم تعاقبت الكؤوس ونوالت الانخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» إلى والديه وأذنهما بأن لديه خيرا يريد أن يعلمها إياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين إذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام أنه من الالامس متفق مع دولوريس على الزواج بها ثم أعقب هذا الإخبار أن أنهي أمام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منك استيحسانكما لهذا الاختيار»

هناك غشيت وجنتي الفتاة السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء فلا لأت بين أهدابهما السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها إلا اكباها على عنقه وقبله وقد كادت تتخفق سرورا واغتيطا وأما إيلام اسم فانه مع تأثرة مثلها مما سمع من والده كان أملاك منها لمواطنه . أجاب والده بصوت ينبي عن سكينته ووداعته فقال : «إذا كنت تحبها فهي ابنتي» ثم قبل هذه الفتاة الحناء بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المظهر المؤثر طرقت البريد باب الشارع طرقتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة . كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لأنه مألث أن عرف في عنوانها خط قوبيدون وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة انكليزية زنجي . فإذا هي تتضمن تهنية من هذا الأفرقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاء كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته وانها ربما كملت لها صداقها عند الزواج

أني على جذلي باغتيال أصدقائنا محزون لتفكري في مفارقتهم لذا لأن هذه
الولاية الميمنية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعواهم
اليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم وأني مشيعهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الأخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملوّه الوقار والهيبة وهي قوله: «على كل منا أن يسمي في جعل ولده
رجلا حرا فانا بذلك نبحث جراثيم الشرور المحزنة للامة ... اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبل ظهور يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق لثالث والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٠٦
للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه كتابا مستقلا أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المکتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضوعة بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها :

اذ قال : لكن لن يهدم المغلوبون سلاحاً فالذي يبقى من السلاح في أيدي
الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية وان تخضع الحكومة
وعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتمدم من يخطونها منهم وترهب اندالهم وتخدع جهالهم
واكن هيئات ان يكون هذا هو ظاهرها النهائي بهم عنوة . لا نظفر بهم الا متى
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم الامة الجرة وهي أمة المستقبل تزيد
وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وسننصر اذا تقوت بما نكتبه من المعارف وما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور
وبما تستفيده من القوى التي يختلسها العلم من الطبيعة

لا ريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسيا فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشي من ماضي ولا من آرائي فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات
أمنه وأنا عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تظمن في الاوضاع القديمة لهدم بنائها
بل لا بد ان تثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظهر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد
وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم
انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم
فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف
لا تفي بمطالبها ولذلك التجات الحكومة لان تحرك هم الافراد وتبرز من غيرهم
لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسا بقوا الى الا كتاب في انشاء
المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم نموذهم على القيام من أنفسهم
بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من
جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراغ قد نما وأزهر فتجني
أولادنا ثماره ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر
التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما
ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم
لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي
ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شمعت الآن بان هناك نقصا في التعليم
يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا
انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة
مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى
يخرج من عالم الامل الى عالم العمل
في هذه السنة هب في الرأي العام ثيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة اتبعت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائره ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشنق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بدیسة واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوربا ولا يصل اليها منها الا صداها الضعيف فيها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئا منها ولا يهتم بها كل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمينا لا يمكنها أن تمد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجردون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشغلون آفان الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطالب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجتنا وأنه مهما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغنى عن مساعدة الأفراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالأجمال المقصود منه
(أولاً) أن الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها
لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانياً) ليس هذه الجامعة صيغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا
المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على أي وجه كان
(ثالثاً) أن اشتغال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي
والمتوسط والابتدائي وإن كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في
تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ما ترمي إليه غايتنا متعذر الآن لأنه يكون
مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات
لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن
عمله وتقديم ما الحاجة إليه أشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد
بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى
ضرراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وإن توجه جميع مساعيها
الآن إلى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه
دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم ومهذب
عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما ينلقون منها

دروس نؤخذ عن أساتذة يتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت
إدارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة
للقول بأن عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة
من الأيراد

(رابعاً) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم
في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويتمتعون فيها
ويحصلون على شهادتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الأمل أن الحكومة
تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فإنه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما ينفع به كماله العلمي

(خامسا) أن جمعية المكتبين تلتخب لجنيتين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بنوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم مخوفًا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء انما سئد في جهلنا لتحقيقه وإذا سعى كل سعيينا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات الا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل رئيس يدعو الى الخيبة وكل أمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطالب فاننا نرجو الله أن يوفق لانمامه غيرا ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

و بعضهم وهم الاكثر برين مشروعنا جزئيا ليس له من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة المال بمقدار قوته وان التدرج في الامور أقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير أضد للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع حاله فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضمنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اهـ

(الانار) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا وغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أيضا الدعوة وجماعت سعدا وكيل الرئيس الذي أرجي انتخابه ثم إن سعدا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكنه لا يزال يساهم اللجنة وقد اخبر قسم بك أمين وكيلا للجنة بهده وهو قريبه في الهمة وذا طمير يرجى ان يكون الرئيس من الاسراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

اتحاد العلماء المسلمين

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

— مسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والتشكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل هو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين .
وسرني ان كاتبه لم يأب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والظمن وليس كذلك وانما النقد هو التحيز وكشف خوافي الشيء وتعرف الجيد والردى فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو ردى . وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح وما لا يصلح . وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتبين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

(*) كتب هذا النقد صديقنا الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلـ المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المويـد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كبعض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ نراه بعد الخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ مما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا ثاني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاخطاء بالكل صعبة فاقصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو ازهرى للذين ينادون على الازهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصى لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وهنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو أبعد من هذا ولكنه بعد لا يعتد به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجده في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير اتصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الأديان حجة ومرشدين ودعاة وفي (ص ١٠) لا نعرف للدعاة اسماً عرفياً يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً .. لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان « هذه الوظائف الثلاث موجودة » عند أهل كل دين من الأديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة « موجودة »
« وغير موجودة » تناقضا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في
موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في
موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين
وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك)
أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في
مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن
وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات
لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها
وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .
ثم قال في (ص ٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في
الاختلال وكان على علاته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب
والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة
العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً
ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر
بنوع أخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين
لا توجد فضيلة توجد في أمة من الأمم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة تقصها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم فقراء أفذاذ لا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد تقصها بكتابه كله من أوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل ما يشين هذه الأمة المسكينة ، أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت مقتضية مختلفة فماذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملحق ؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمتجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقفين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا النصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجده واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسبغت فيها ولكن فأنك النظر الى سر هذا الفقر الذي ذكرت . وسبب هذا التمزق الذي حدثت . وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب . ومن نتائج العيوب . وأبو الكل الجهل وكفى

- الرابع -

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد أنه من العلوم المضرة وأنه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) أنه والفقه هما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ماعداها من العلوم قائما هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص ١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمت ان جميع اصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعل الفقه والتوحيد وليس غيرها بينهما من علوم المقاصد .

— الخامس —

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تقرير في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . وتقضيه بقوله فيه (ص ١٢٢) أنه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظها وقعت منه الا ذهولا ولئن أزعج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الانزاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على حرارة الانتقاد فكانت علاجاً لذهوله كان ذلك خيراً له من الالباء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التقرير التي قد تضر بصحة النهر والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قماً لعادة النفس فمن شأنها الالباء على المذكورين ومع هذه المناقضات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

— الثامن والتاسع —

كلها في قوله (ص ٩) أنه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لأنه ليس من اللغابي التي يجزم كل أحد بها جزماً باتاً عاماً لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لأنه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا باسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدرك كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تتطلب عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكانها رأها موجودة عند النصارى

ظن انها موجودة مع تبتك الوظيفتين اللتين سماها عند أهل كل دين (٣) وفي تفرقة
بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدوا ما تحملوا يكونوا قد أرشدوا
أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة
اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا
الدعاة بل من الناشئين الوضاعين المقترين على الدين — كما وصفهم هو — والفسخ
والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايهام الناس
ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأ لا نحصى عليه وهو التكرير
في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل
وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل
وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة
ثلة من الخطأ بل يكاد اذا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي او ضحناه ان يكون
في كل كلمة من كلماتها خطأ . وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

— والرابع عشر —

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين
و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع
سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد
قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بعد عشر سنوات
لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال
العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله
« ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند
المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و« ٥ » في ادعائه ان هناك
نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره .
قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المتناقضات والآن نبين ما فيها من
الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يقع صاحبنا في الخطأ العجاة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الأتراك الجامعة لماهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الأستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بصير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يغلب في ظن القاري أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؟

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله ردي - وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال انه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن مقاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً إنما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فإذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفاً لا ينبغي فيهم خمسة عشر طالباً في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الأتراك من خمسين سنة الى الآن . اعمرك إن في قوله هذا مبالغة لا أغرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع . . .

وبما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

الموجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي .
على أنني مع هذا الانكار لا أدخل في المفاضلة بين ذكاء التركي والمصري وإنما الماقتضية بصدده
طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .
وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في
مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأتها وأياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة
المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤلف اللهم إلا نقرا أكرمهم
الله واختصهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاقطفوا شيئاً من
ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فميزوا الصحيح من الفاسد ،
والراجح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبني عليه الاحكام العامة
ولا تتم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام - ونرجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه
القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات
الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل
من ذلك مظهراً وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في
محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام
يحترفون بالتجارة وينفرون من البعالة أو الارتزاق من الاوقاف نفرة الأزهر من
الخافة وتراهم فلا يملكونهم التمييز بالعلامة كتوسيع الكام وتمظيم العمامة وجملة
القول ان لا فرق بين البلدين إلا بالأزهر والتقليل من الحواشي في الشام وأما التحصيل
وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفضل في المقصر في الشام كالمقصر في
مصر لا ينقص عنه ، والحاصلون قليل في البلدين ، والمقصرون فيهما هم الأكثرون .
وأما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلبين على الأحوال فانبأونا بأن حال
التعليم هناك كحاله في الشام حذو العين بالعين ، وأنه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ،
والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حملة العلوم هناك جملة من
الكتب في جملة من فنون العلم فالفينا ما رأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاري
انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون
طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالخال والمآل . (الانتقاد بقية)

* ديوان الرافعي *

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أيدي دهر مصر لا تندم وفي أي دهر مصر لا تنظلم
بنوها بنوها أيما تك صدمة تقلبهم للجانبين فهم هم
وما يتقون البؤس لكنهم متى تفض بهم انبأ به يتألموا
ويطرهم عهد الرخاء فان مضى فسهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش يندبه أهله والا ترجعوا
وما يرحوا إن خاذلهم غنوتهم وأعمالهم مدوا المني وتروهموا
وان سقمت آراؤهم في ملية تحامل فيها الظن والظن أسقم
فرادي وأحداث الزمان بجمية وقد علموا سر الزمان وعلموا
فن حادث في حادث عند حادث كأنك للأحداث يا مصر معجم

* *

ومما يزيد الهم لهما وحسرة نصائح فيان بنا أن تقدموا
فبمعانك اللهم بليت قومنا فما يفهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري إلى مرتقى العلا رجال ضعاف ان جروا يتخطموا
ويبنون ان نرقى وهاتيك حالنا وما عندنا الا لأسفل مسلم
كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أوقر السفن المناع بمصنع ولما يتموها فكيف ندم
وقال من قصيدة غزلية

كم تجنى التي أحب وعندي أن بعض المصيان كالطاعات
ان رأني يدق ناقوس قلبي من جفاها كدقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما غشت الارض والسما هفواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح ونمحي الآيات والآيات
غير اني لو كانت الشهب أقلا مي وكانت الظلام حبر دواتي

ووصفت الذي أقامني من الحب وكان الوجود من صفحتي
 لا نظري الكون ثم أبصرت في آخر أوراقه (البقية تأتي)
 هذا وأنا لا أتكلم في انتقاد الديوان والمكنني أنصح للنظام ان يفكر عند
 النظم أو عند التنقيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارى
 لا في التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أبحاثه ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
 اذا تأمله القارى لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية رجها عن الفرنسية نقولاً أفندي رزق الله مدير أعمال جربدي
 الأهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
 الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يرى فيها قائدتين
 احدهما سياسية وهي ما تمثل القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس
 بلباس العدل والدفاني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذا اخلوا بأنفسهم
 لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والوسائل فجميع
 بطانة نابليون كانوا من الأشرار المفتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحاذين
 الأحرار والأخبار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
 لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالوسائل والحيل والتزوير والحتل
 وما أنسى لأنسى ذلك الذي ألف كتاباً في مفاسد القمار فأحسن مكافأته نابليون
 وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المؤلفات التي تطهر البلاد من
 هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
 وهكذا شأن الملوك وأعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والقصة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادماً في الاصطبل فارتقى
 بمجده وكده حتى صار عالماً سياسياً وغنياً سخياً وفاضلاً وفيما فخار بوسائل حزب العاهل
 العظيم حتى فاز بمراجه، وثأر للمحسنين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك
 هممة المستعبد للاستقلال ، حتى ينهض بجلائل الأعمال، وضمن القصة ثلاثون قرناً صاحبها

باب الحجة على الأعداء

كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل مظهر من اجلال الاله له حيا ومينا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن ارجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الا فرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوروبا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الخسارة بمقداره لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرين لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الاله في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تعوض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فترغب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فأنهم لم يشعروا بالأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعملوا انتم وعلي أن أساعدكم فمن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهتمون أمر الامة ويقدرعون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجالان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بهتل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بملاءه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجميت للموت
كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل
بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤيدين عند القبر يكررون
كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه
أكبر من ذلك انه فقيد الشرق كله

دولتنا الاسلام ، تركيا وايران

يا حسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثرتهم عن مشاهد
غافلون ، لم يكده تتمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ،
حتى صحتها أختيار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها
تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو
كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من
بعض حتى لا يتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة
باردة له . والا فما لنا الآث ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا
ولا اعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنين
ولم نزل من التأثير فيها متالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا
لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونخرّب بيوتنا بأيدينا

يا حسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى
صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم وسوادهم الاعظم لا يدري من أين
جاءته هذه البلايا ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويبري الجناة
الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هؤلاء مساهو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تتحد
عليهم فهل يستطيع المسلمون أن يحكموا فيهم قول الله تعالى (٩: ٤٩) وان طائفتان
من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينها فان بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي

تبني حتى تفي إلى أمر الله ، فإن فأت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الإسلام وهو كون حكم المسلمين شوري بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله إن القتال لم يمتد ونسأله أن يهب للفريضة التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنة .

الامتحان في الجامع الأزهر

ألفت إدارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعة لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كبراء الشيوخ أن يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكر نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهر بين النصفين بفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر وبقظنه فله الشكر والثناء الحسن . وأمل ماسمه من أخبار النسا هل وإعطاء الدرجات لأفراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شاكر يعني بتحقيق الحق في ذلك

أخبار نجد

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية إلى نجد سنة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر ساي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأوائك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيخلونه على النار حتى تخف صراره فينبفون به ولكن سمه يفعل في إحشائهم فله وما زال الجوع والعري وسم الحنظل تفك بهم حتى لم يبق منهم إلا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم إلى البصرة والباقي إلى المدينة المنورة



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الآلآب

الملك
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الآلآب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ — أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)

الهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ،
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم
على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين ،
وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء
رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم
في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر
ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد
وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم
بخطابهم طورا بما يناسب مداركات الحس ، وطورا بما يناسب وجدان
النفس ، وحملهم أولا على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانيا بالاقناع
ومضرب الأمثال . حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا
لتحكيم العقل في مداركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين
والرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات
والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَرَمٌ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على ضخمة العقائد بآيات الله في الأنفس والآفاق ، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الجرح والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالاعتناء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين — هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لتفاسدهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُكَامًا وَعُمِيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهياً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالاً لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الحنيفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَاكُمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه
 السورة (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
 إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقال في سورة آل عمران
 (١٠٣ : ٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية
 أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠ : ٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ
 لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
 الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
 شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وثم آيات أخرى في التفسير عن
 التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين ؟ هل ظلوا على
 البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخرروا عليها صما
 وعمياناً ؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل
 الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله ؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة
 الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعه تعادي الأخرى لمخالفتها
 أياها في المذهب ، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب ؟

إذا كان الخلاف طبيعياً في البشر ، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم
 إذا تهادت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في
 كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤ : ٥٩) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني
فتفرقوا شيعاً كل شعبة تتحل مذهباً تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
نخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فيما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه ، وهي تهدده بسلب ذمائه ،
واما خسرانهم الآخرة فيما ابتدع جماهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فأثم بطاعتهم ما سلبه من
الخائفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج
بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض — بين الأشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدمعاً لم يلتئم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج ياجوج وماجوج ويقول أنهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقاً بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن أن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٢٣: ٦٨ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعلمهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانما المخلصون ، « ١١ : ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى يظلم أهلها مصححون »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرين على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقلهم أمسوا غمراء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اعتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذا أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أصريطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكانهم ليسوا منها أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاعتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكلتهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة التي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضعف الرياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الى الإصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتنسمون ريح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الإصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الإصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ، لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فإغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من انشائنا ومنها ما نقلناه عن الإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

فصل المقال في توسل الجبال

ألف الشيخ أبو بكر خوقير السكتي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجبال) واسمه يدل على مسماه وقد أحسن فيه ونصر السنة وخال البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر النحاسي الناعلي السلفي وأنا نورد خاتمه على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووفقه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (أما أمرنا شيء إذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المهملين في الأولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويذلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذا العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون
 ما نعبدكم الا ليقرّبونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب
 الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا
 شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع
 الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية
 ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة
 والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي
 ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل
 الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضاً من أخبرنا بأنهم احباب
 الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافه ويحييك باني أشفع لك ومع
 ذلك لو قال أشفع لا ندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعاً
 اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن
 من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقره
 وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء
 قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً - أمران لا تعبدوا الاياه
 - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم
 شرك في السموات اثبوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا
 تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباداً مثلكم) وعن ابن
 عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال
 (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله
 واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه
 كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستعداد منه فقد دعا غير الله
 وهذا الدعاء منع عنه الشارع إذ لا يستعان إلا بالله (اياك نستعين) .
 واعلم أن من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون
 وجه فأطاعه مطلقاً فإن الله سمي ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع ومتخذاً ربا
 قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أجبازهم
 ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد أن يعبد غير
 الله ولا أن يدعو له وليس العبادة إلا نهاية الخضوع والدعاء من العبادة وأما
 من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله
 مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالأحياء دون
 الأموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم
 ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه
 أولى من هذه الحشية وسدا للذرائع لأن الجبهة لا يفرقون بين التوسل
 والاستشفاع والطلب من التوسل به مع أن الاستشفاع لا يكون إلا في يوم
 مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجوز مع
 ضعفها فأنها لا تفيد إلا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع
 بتمر به من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من
 المبتدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة يا شيخ عبد القادر
 شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند إبحاث شريفة

في هذا المقام لا نتمدر على ارادها في هذه المعجالة أما اهل نجد فليهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يقيض الله أوتئلك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحبح وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يقتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحكما بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي واقتدنازل في المحاكمة من يماكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالة ولو خالفك فانه يخالفك ويترك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفر بك أو يبدعك بلا حجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلا تقتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الارض منهم
 » واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان
 وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ
 باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد
 الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته
 يوما من الايام وهو يقول سيلي عليكم ولالة يؤخرون الصلاة على ووقيتها فصلوا
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت لأصحاب
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب على فخذي وقال
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها
 البيهقي وغيره وقال بمض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال
 أدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ
 المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرا لقلّة أهله
 وتفردهم في الأعصار والأعصار وقالوا من شذ شذ الله به في النار . . .

صرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم
إلا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل
إلا نفرًا يسيرًا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولفقون والخليفة
واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك
فأخذ بالسياط والمقوبة بعد الجبس الطويل فلأله إلا الله ما أشبه الدلالة
بالبارحة وهي السبيل المهيج لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضي
عليها سافهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً } انتهى ومثل
ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث
وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان
المتبع بالحق قليلًا والمخالف كثيرًا لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة
الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن
البيهقي في كتاب المدخل ومنهم الشيرازي قال في كتاب الميزان قال سفيان
الثوري المراد بالسواد الأعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدًا
وفي رواية عنه لو أن فقيهاً واحداً على رأس الجبل لكان هو الجماعة أه
وحسبنا قوله تعالى { إن إبراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الأمة وكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقول إن معاذاً كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من
المشركين تشبيهاً له بإبراهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق أن يقتصر في كل باب من أبواب العلم بأصل
أثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب الثلاث ﴾

الامل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ وَمَنْ يَقْطَعْ رَحْمَةَ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفعه به على سائر الالكوان، ليلغ به المقام المحمود، ويحوز ما أعد له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصغ لنداءه، تبحر في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بهرك الى سواد أمة بتأملها تبحر في ذلك في كائنها كما هو في آحادها تبث في رفعة المكانة في نفوس الأمل سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقى في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يصف حرصه، ولا ينقص ميله. يقطع شعابا، ويعاني صمابا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسم شاهق العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأته يتامل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات العمدة الوثقى منقولة من ج ٣ من تاريخ الاستاذ الامام

الرهضاء . لو سبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الامر والنهي كل ينافس أهل طبقة في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من ضمنه فيهم ويحرص على ما يحل في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيرة مادام حياً يخطر في بساط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود لا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحانه الله ماذا أخذت محبة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغايه وجوده حتى أنه يحتقر الحياة عند فقده والمعجز عن دركه، أو عند مسه والحواف من سلبه . أرأيت أن ققيراً ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعله تهينه أو قذفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزل التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشيت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهنا للانسان طعام ولا شراب ولا يابن له مضجع الا أن يلاحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوية فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة لذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقمحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن الذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخاراً أو ليحفظ ما آناه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرق فيشرق به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من
المجد وفي نهاية الاجل يفارقها ويراهن بما قارب منه، آسف الفؤاد على ما قصر عنه .
ما هو المجد الذي يسمى اليه الانسان بالالهام الالهي ويخوض الاخطار في
طلبه وبقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تعترف النفوس اصاحبه بالسودود وتذعن
له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبه اليه
من ذوي قرابته ومشيرته وسائر أمتة فتتخذ كلمته وكلمة المتصاين به والمتحمدين
معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب
لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحبه طالب المجد عائدا الى
نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين . واهاه تلك
حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودود نعم
وهل نال ما نال الا بمعونة سائر الاحاد منها « ذلك تقدير العزيز العليم » . ماذا يستطيع
اجاهد وحده وماذا يكسبه من سميه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان
همه أن يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمتممين
اليه لتحصيل كل ما يمد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الممل
الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحتمل النفوس في قضاء بعض الواجبات مما يتصل
به وما أعظم الحامل للأفئس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر
الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب
كل بعيد ويصفر كل عظيم ويبين كل خشن ويسايرها عن جميع الآلام ويرضيها
بالعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟
هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهائم الكروب ،
وعلم هاد في مجاميل المشكلات ، وما كم قاهر للعزائم اذا اغترتها فترة ، ومسنفر
لأههم ان عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلحقهما الذهن
تارة بعد أخرى ويعبر عنهما بلبت لي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون
الى الراحة والاستلقاء على الفراش والاهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيج مخاطره بدون أن يصيب ثمنا أو يلاقى مشقة . انما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصعبه حمل النفس على المكارم، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطئتها للملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، وتهوين كل ألم يعرض لها في سبيل الفرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغوا اذا لم تفد بنيل الارب فيكون بذل الروح أول خطوة بخطوها القاصد فضلا عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أصرا فطريا كذلك كان الامل وثقة النفس بالوصول الى غاية سمعها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتها في فطرة عموم البشر كان داعيا للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملا تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاخروا في الأعمال كما تزاخروا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضيقة فتشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في الهم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخطين الشريرين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال الفانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكمون على أنفسهم بالحطة، ويسجلون عليها المعجز عن كل رفعة، فيأتون الدنيا ويتماطون الرذائل ولا ينفرون من الالهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ايما كان قسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما يرضى به البهائم فلا يهتمون الا بمحاجات قبيحهم وذبحهم ثم ياليتهم يكونون هملا وسواثب يرعون النبات ويتبعون مواقع الفئث ولكنهم وان تركوا

العمل لأففسهم فأنه تعالى يسلط عليهم من يكافهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمل
الجمالة لا تسفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها أن تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح
فيما الجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الأعمال الشاقة ويدأبون بأشد
ما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثمات كسبهم بأسرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجشمه الذليل في ذله من مشاق
الأعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البداة أن هؤلاء أمسقطوا أنفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الاجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق و يسومونهم
الآن ما لا تسام به السوا ثم الراجعة وهم على القرب منا وليسوا بعيد عنا .
عجبا كيف تبدل أحكام الجبلة وكيف يحكي أثر الفطرة ؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطلب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل فحب الكرامة
طبعيان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك نحن الانسان أن
جميع أعماله إنما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وإن قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يده يده بالمعونة أو تصده بالقهر فإذا صادفته الموانع مرة بعد أخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الى قدرته فوجد لها فانية، وقوته فآها واهنة،
فيترف بوهنه، ويسكن الى عجزه، فيأس ويقنط، ويدل ويسفل، باعتقاد منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدي .
أما لو أيقن بأن هذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده
 كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتفتال آماله غائلة
 القنوط فإن صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله
 التي هي أعلى من كل قوة فيركن اليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا
 فكما تماظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة
 الله أعظم منها وكما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب
 فلا يمل ولا يكل ولا ندر كه السآمة لا اعتقاده أن في قدرة مدير الكون أن يقهر
 الأعزاء ويلقي قيادهم الى الأذلاء وإن يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضملاء
 من نواحي الأقوياء... وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار - فتشتد عزيمته ويدأب
 فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في
 الأولى والآخرة وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته أن يقنط وييأس ولهذا
 أخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريب فيها بما قال وهو أصدق القائلين
 « أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه إبراهيم
 « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على
 الكفر والضلال ومن ابن يترك اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة
 لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه
 الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم مع كثرة عددهم
 ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضميم ويتقاعدوا عن اعلاء
 كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا
 عظاما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بساط الارض وان من الحق ان
 ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح
 الله بافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، والفرص دائما تمد ايديها
 اليهم بطلب انبساطهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكائدهم
 الأولى والصعود الى مقامهم الأول الا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون
 من إنعاز مآلهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن الرأس من أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والقي فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقائطين فيهم من عذر؟ أيرضون بالعبودية للأجانب بعد تلك السيادة العليا؟ ماذا يبتغون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وفقير وفاقة وشقاء دائم يبدد عدو غاشم؟ يطامشون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومقبح غبي ومشنع ذلي ومهين خسيس يزموهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكمون بأن محال عليهم أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسأخ الإنسان عن كل خاصة انسانية كيف يرضى بحياة مكنتفة بكل هذه التماسات والمكدرات أينسون أنهم كانوا الأعيان في الأرض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التواريخ، ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكتابة شوكة المسلمين من وجه الأرض؟ إن كان للامانة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأني عذر بكون لاهلهم وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسعون في توحيد منفرد المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم، بلى انت قوما شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الأرض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا انت أملنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بنقضهم لئلا يتمكن الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (☆)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثبات في قلوبهم بياهاون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

(هـ) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة
لسمادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعاداتين ويشفقون على احدهم
ان يرقى من دينه اشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في
علمائهم متدكئة في عاصمتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض
عالمًا كان أو جاهلًا ان واحدا ممن وسم بسمه الاسلام في أي قطر ومن أي
جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحقولة
والاسترجاع ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع
من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئة
من السنين لا يتألم قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستغفره الغضب ويدفعه
لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون بحكم شرعهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على
ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبيهم وبعيدهم
ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم
ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في
سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح وارتكاب كل صعب واقتحام
كل خطب ولا يباح لهم المسألة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا
الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفيت الشريعة في طلب السيادة منهم على
من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة
من دار حربه - وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا
يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون بحسب كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكروه بما
تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من
إلهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الأيام بعضهم في غفلة
عما يعلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوچستان كانوا يرون
حركات الانكابت في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون ن داخل الانكاز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتاملون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الحيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجالا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبثها وتقويها ونطبعها في النفس ونطبع
الآنفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه آثار التي تلازمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الى مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدرجات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكر يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفعل والافعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو لا آخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانبياء
والعصبة على نيل المنافع وتضارهم على دفع المضار وبعد كور الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لمون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعيا . فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكد كدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو الجأته ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري
مجري المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ما ذكرنا في راحة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضها ببعض . اذا لم يصحب المقدس الفكري ملجى الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتعمرن عليه ويهود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكالها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يمسد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في ثباتهم عن نصرته اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا ترسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلطين من المسلمين . أليس بمجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا لمرا كش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التساير والتقاطع وارسال الحبال على الفوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الا طفيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الائتلاف بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الإسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انشلت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكزخان وأولاده وتميوزلنك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الائتلاف بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الى ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ونبعث على اشتباك الوشيجة وصار مافي العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذائرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب يعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة تدارك التازلة ولا دفع الفائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الورثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بشمكن الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويحملوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهيأ لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويحملون لهم مراکز في أقطار مختلفة يجمعون اليها شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشددهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى ممتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان واقحام محاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتدخل فيها بما يحيط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم ونويز الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما ينشأها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الفيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيهم فقد دارستهم التجارب بيان لا مزيد عليه وما هو بالمسير عليهم أن يبتثروا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يسبب ضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

— الرد على الشيخ بخيت — تابع لما في الجزء التاسع —

(الاستدلال بحديث جابر ومعناه)

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافراً لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع انه كان يضع الحديث أي يختلفه وينسبه لي أبي صلي الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمناذرة عبد الملك بن حبيب له لا يعتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فإذا نحن اعتبرنا متابعه فأننا لانحكم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتاج به .

اماماً أكثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارة أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين - كالمناري والزيدي بل والقاسمي - ما يروهم الجاهل بالحديث ما يروهم . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتاج به في اثبات الأحكام وتقدير الشريعة وما ينفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتقر به أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . نعم انه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضماً ما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتاج بها الاحتمال صدقه عقلاً . وإذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره عن الثقات فأنما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول في استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

(المنازل: ١١: ٩) الرد على الشيخ بخيت - تأثير ضعف الراوي في ضعف المتن ٨٤٣

الشيخ بخيت لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون على بينة في استنباطه والا فليقف عند ما قاله الفقهاء ولم يقل أن أحدا منهم قال إن الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافرا وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جمعه من الحفاظ ما نقله أي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول وإن طعن فيه أهل الحديث مانعه : « وقد علمت أن حديث جابر الذي نحن بصدده قد تمددت طرقه ورزقي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكر في كثير من السنن وكتب الحديث كما مرولة شواهد تصحيح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة » اه
أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجرأة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع أن الحديث لم تعد طرقه بل هي طريق واحدة - وأنه لم يرو عن أبي سعيد وإنما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها بعضا فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد أنه عن إمامة الفاجر للمؤمن إلا عند الخوف - وأنا لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وأنا ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي أما البيهقي فقد ذكره إمامنا لا يحتج به وأما ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له مانعه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور أن ما انفرد به يكون ضعيفا وليس بكلي لكن انقلب كذلك » ثم نقل ابن السيوطي قال في حاشية النسائي نقلا عن غيره « أن ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهة مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم » ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب الطال لابي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في الرتبة فلذلك أخرجه كثير من عدله في جملة الصحاح السنة لكن غالب المتأخرين على أنه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظرتنا يهدم ما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط إيهامه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي الى اثنين من الصحابة .

وأما قوله ان له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه بأشماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الامر بالموابة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة وانحصر على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها وتهاونا أو جمعا لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن امامه الفاجر لا مؤمن كذلك .

أقول ان التدليس أو الإيهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأييدا له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة إسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم فإن من الأحاديث الموضوعة باتفاق الحديثين ما هو صحيح المعنى موافقة معناه كالمكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا يجوز نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . هذا هو الحكم فيهما اذا كان معناه كله صحيحا مؤيدا بما ذكر واما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقوي المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

عنه أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وأياكم وشرب القهورة : وادعى

ان هذا حديث فهل بباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح
معنى لانه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشماله على الامر بالتقوى ؟ لا يباح
ذلك فان موافقته لما ذكر بالامر بالتقوى لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في
التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بنخيت تأييد حديث
جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي
يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على
هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتملا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته
للكتاب والسنة في مثل الامر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور
بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع
ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ما له علاقة
بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل
عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة — أي ولو كان كافرا
على حسب استنباطه — . فمراه الى الحنفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى
« الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذا كره وهو من له ولاية الاقامة .
ونقول اذا كان الشيخ بنخيت مقابلا بمتناهولاء الحنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم
فما له وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن
السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر
هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها
من ولاية ولو لكافر يأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسمى اليه هو
صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! اليس المتبادر من
الآية فاسموا الى أداء هذه الصلاة التي نوديت لها ؟ هل يقول الشيخ بنخيت ان
قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في
قراءة القرآن اذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من
له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعدوا الى ذكر الله (وكل من فيها شرط وجزاء ؟ فان كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ما هو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه ؟ وهل الشيخ بخيتا يذكركم لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الخفية لنعلم هل هو من طبقة مجتهدتهم أم لا واني أخشى ان يكون عزوه ذلك الى الخفية كهزوه الحديث الى كتب السنن أو ...

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثر الصحيحة ما نصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفا أربع إلى السلطان وذكر منها الجمعة والعديد والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا دخل للرأي فيه » اهـ

أقول في فتح القدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جملة رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل صاحب الفتح وغيره من شراح البداية ومحشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا دخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثا موقوفا وله حكم المرفوع وإذا ما داسماه أثرا ؟ أم نعمد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئين لرسائله ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من المحدثين يرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ أهله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو ينقل عن البرق الوهيز أو اتاقي عن صاحب الخافض الكتاني القادي أو عن كتبه ... ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن السلاطين لا تنهقد ولا يقبها الله تعالى إلا اذا أذن بها السلطان وإن كان كافرا

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم « وبما قلنا ان المنذر مضت السنة ان الذي يخرج من السلطان أو من أمره وقول في التخرج اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام اهـ

أقول السنة في الأصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الأصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات مشروقة . واختلف أهل الأصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قبل يحتاج به لأن الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وإن كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لأن العبرة بما يرويه لا بما يقوله فكيف إذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لأنه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم أنه لا ينبغي على عاقل أن مضى السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون أذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لا سيما إذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الأولى بالإمامة والخطابة فيها إذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عند ما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أنها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد إلا إذا كان هناك دليل على اشتراط إذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال إن الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يفتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه إذا ترك الجمعة وهو ليس له إمام بأن كان تحت سلطة الحربين الذين يمتنون المسلمين من إقامة الشعائر يكون له عذر

وهنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله إمام عادل أو

جائز استخفافا بها أو سجعودا لها فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو السجعود أم هو مقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا ساجد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدلل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليله أن الجمعة تؤدي بجمع عظيم والتقدم على الجمع بعد شرفا ولذلك يشارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط أن يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتنبيهاً لأمر الجمعة ولنا أن يبطل هذه الشبهة التي جعلها دليلاً معقولاً بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لا سيما إذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيراً وكما هو المطلوب شرعاً لا سيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة إذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لئلا فاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشتهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحمل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردها دون صلاة الجمعة مانعاً من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلاً الوصول إلى اذن من القيصر بإقامة الجمعة فأى فتنة تحذر من اتفاقهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب إلى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الأمر الثالث مما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها أو تهاوناً أو سجوداً لها فلا يبحث فيه وإن كان فيما قاله بحيث لأنه ليس من موضوعنا في شيء . وأما الأمر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بفتح فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الأمر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه «والمراد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابلته بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله» ثم أورد فيه احتمالين فقال «يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً... ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل» واستدل على الأول بحديث «أيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه أن يحج حجة أخرى» وعلى الثاني بحديث «لا يؤمكم ذو جرأة في دينه» وحديث «اجعلوا أئمتكم خياركم» وهو استدلال بديهي البطلان فلا تطيل فيه ولا تتكلم عن هذه الأحاديث. ثم قال (ص ٥١) «وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عادلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث» ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر وتوصل بذلك إلى قوله «ولكن المترض قد أبي إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربه سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المترض المخالف لكتاب الله» اه !!

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند وسائر بلاد المسلمين إلى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لعلهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة إلى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة لليال والوقت لأن منتهى العلم فيه إيراد الاحتمالات في الضروريات والبداهيات، انفتت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقه على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بنحيت المستنبط الأزهرى الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى . أنيس هذا العلم أو الجهل مما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل إليه أحد إلا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالتحرريك خلاف المعجم مؤنث وهم سكان الامصار وأوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحدله ويجمع على أعراب » وقال شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا واحدله) كما في الصحاح وهو نص كلام سيديويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب » ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن فصيحاً وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدوياً صاحب نجمة وانثواء وارتباد الكلاً وثبع مساقط الفيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أو جاور البادين فظمن بطنهم وانتوى باتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتهي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء . وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لا رغبة في الاسلام فسماهم الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب إنما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نهما ورعوا مساقط الفيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد نمر بوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا وفي الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جمل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ما كانوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأوصار ولا يدخلونها
إلا لحاجة» اهـ

أقول وإذ رجعت إلى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي
تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بحيث ما قال،
لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال، وأما كون الأعراب أقساما
منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
الأنعام ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية
وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الاعراب والبدو ويصير من أهل
الحضارة . فقول الشيخ بحيث (في ص ١٥) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن
البوادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة
تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الأول في
الامامة في الصلاة بالتقدم عملا بمعوم الاحاديث الواردة بتقديم الاقراء ثم الاعلم
مطلقا » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
المعلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل ما هم . اما اللغة والتفسير والحديث
فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطالع عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء
فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
بالبادية أوجا البديري البدية لحاجة - يقدم الاعرابي في الامامة على المهاجر
بعلمه وقراءته وفتاه لان القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟؟
الله ان احتمالات أكثر الأزهريين لا يحتملها عقل غيرهم من عبادك وان من احتمالات
الشيخ بحيث ، الا يكاد يحتمل عقل أحد من الأزهريين ، حتى يوافقوه على زعمه
اننا خالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو المخالف
لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ، (الرد بقية)

رسالة في تنقيل أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الأستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار القراء
أمد الله بروح من عنده ، ومنحه من الإعانة على الإرشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به عليّ من اعتباركم لي مشتركاً في مجلتكم
التي تقشع بظواهرها سحاب الضلال ، والبسّاع التي أحدثت بالأمة ذات الدين
وذاة الشمال ، والخرافات التي انصبت بصبغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بعقول أولئك الجامدين ، فبارك الذي أيقظ همّك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بمناركم المحجة « ومن يهد الله فإله من مضل » سيما وقد شفقت ذلك
بفتح باب الأسئلة للمسترشدين ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز المعادة
للأمة ، ما إن مفاتيحه لتنور بالعصبة أولي القوة ، وقد حماني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصداً لأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتاً مرّتعة وقد رجّت الأرض رجاً فحسبت أن
أبخرة احتبست فيها فتشأ عنها زلزال فكثر لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عدداً كثيراً
من نوع الإنسان ينف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيده وقد تصيب
جبينه عرقاً فعلمت أن رجّة الأرض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعادا عليّ السؤال : كيف يسمى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأن لهم بالعقل ولو كانت لهم منه منة لما فكروا في مثل
هذا ونجروا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله « واذا ذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا ان لم يكن هؤلاء المجانين شغل تعجل منفعتهم والا فليعملوا فوق هذه الاوزار اوزارا ، وليستعدوا للذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله نصارا ، ألم تروا أن قضاء الفرائض واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم ليت شمري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد يدهم كيلة التوحيد؟ أن نطق بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقةها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدفين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يتلون بها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدة لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وإن خالف في ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الخرافات والأوهام ، والعمل بما رأي ليس في الحقيقة الا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « تنزه عن المكان » فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعتنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكافئنا بمثل هذا المقال ، فإن كلام الأولياء لا اتصل اليه الأفكار ، ولا تنوجه نحو إدراك حقيقة الأناظر ، اللهم الا ممن عجمت بصائرهم ، وطمست سرائرهم ، وقال سبحانه لك أعوذ بك من هؤلاء الضالين : فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترد دمالاتهم ثم أعرضت عنه فإلاطفه أحد شقيقي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن بيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير اننا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذيل انقال ، في الكلام على هؤلاء الجاهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة التشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الدين أبها الناس أين أنتم من صفة السمع «أر بعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابيا» وكان جوابهم (اذا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناص والجرمس الا كبر بدويان الصالحين والفوت المتصرف في السماوات والارض مرق هذا المتعرض كل مرق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم وما القطب والحرس والفوت الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاما لأفراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إب هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

تزعمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
تزعمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فرددوا عليّ الالمة ثم قالوا نجمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وتدعو عليه فيموت ببركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العيب والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دلائل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أبها المرشد الكبير ، والمنصف الذي ان يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقتين سلاما ، ونحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المشكك ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل وإنما هو أشد الشرك وأظهره وأجله ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتقاد العامة عليهم وصلاحتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تتوكل في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقتناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدريج ولكل مقام مقال وإنما يخاطب الناس على قدر عقولهم فمسي أن يراعي ذلك بعد ويتعاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « وان يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جر بنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يعيشون بأكل السحت ومخادعة العوام قلما يسمعون أو يفتقرون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالهم

فَتَنَّاكَ الْيَنَابِتَ وَالْأَنْجَامَ

فتحننا هذا الباب لا مجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يذكر اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته (وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانما ذكر الاسئلة بالندرج غالباً ورمزاً قد مناسخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا فيه مشتركين لهذا وللمن يحسني على سؤاله شهراني او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر من جميع لانتهاكه

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣ س) من الدكتور علي افتدي رياض (بالقت - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الفراء

أقدم وافرح احترامي لجنايتكم ثم أتجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايته منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلاً لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

أقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتيكم الفراء قرأت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضواً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الأُمِّي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع مطبعة مجلتيكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان تغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ؟ أتمنى بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الاصول مع قبول وافرح احترامي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالاً ثم يرجع عنها لأن غير المصوم لا يبيح
بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يبكي قبل موته
لأن أناساً أخذوا عنه أقوالاً في الدين رجع عنها بعد ذلك . إذاً لا عجب إذا قال
الاستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه . والعمدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الأخير في
هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد يعد تفصيلاً لما
نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر . ولا يخفى أن كلامنا
تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليس من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من
كتابة منشىء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبمده . وأما
ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة
ثم قرأه عليه ونقحته بإشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه . وإنما
يرجع ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما أن
الإنسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيها أنه آخر
ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :
« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق — الى قوله — علم
الإنسان ما لم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية
السورة فهو متأخر النزول قطعاً وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه إنما
نزل بعد شيوع خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لا يذانه عليه السلام .
ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في
تفسيرها اه قوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى أن هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون
سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولاً من أن فيها مجمل ما فصله عنه من مقاصد الدين
حتى كأنه شرح لها . ولكنه يخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة
« ثم رجع الاستاذ الامام أمها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ
باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريباً في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قالت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنفق ذلك مع ما تقدم ذكره نقلاً عنه وكتابه منه

هنا وإن هذه الآيات من أول سورة الملق ينحصر معناها في جعل النبي الأبي قارئاً بقدرته من خلق الإنسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فإذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنها في أوله وضما وترتيباً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان الأمر تكوينا لا تكليف إذا أمر التكوينا هنا يستلزم أمر التكليف . وسنفصل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا آخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث مما لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار بقائه قبل وفاته بزمان قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين أفندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال إلى مجلتكم الفراء التي أفادت الناطقين بالاضاد قاطبة لاستمداد من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقة :

كنت أطالع بمض الكتب الأدبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلى الله عليه وسلم) « العين حق تدخل الرجل القبر والجلل القدر » وآخر « أنقوا سم الأعين » فاعتراي وهم لعدم اهتدائي إلى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح هل للعين مادة تنفصل منها إلى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنفعني عن غياهب الجهل والوهم واهتدي إلى الحقيقة ولحضرتكم الشكر متلفاً .

(ج) اعلم أولاً أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يمد من أمور الدين التي يبلغها عن الله تعالى وإنما يمد من الرأي وعصمة الأنبياء لا تشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمى العلماء أمر

النبي صلى الله عليه وسلم بشي من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الأمور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمر دنياكم » كما في حديث البخاري وذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقفي بدر وأحد فإذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرك ذلك ولا تظن أن في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعن في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وإن كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم وبعد قوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » ثبت بالتجارب والمشاهدات في جميع الأمم والأجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الأعين » فلا أعرفه ولا أتذكر أنني رأيته في شيء من كتب الحديث المقتدة ومعناه أن تأثير العين كتأثير السم لأن في العين سما ينتقل منها إلى من تراه . أما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحدية وذلك أن بعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير التائب فأننا نرى كثيراً من الناس يتأهب لنحو ناس فلا يلبث أن يتأهب من مجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فأنك ترى بعض الناس ينظر إلى آخر فيرتعد المنظور إليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الإرادة لأنه يكون إذا أراد صاحبه أن يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتتويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير إلى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بعد النظر إلى الشيء وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبتته إلى النفس . ومن المصائب أن سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر إلى أفهامهم معناه الموافق لهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر إلى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يظنون في ريبهم يرددون

أشارت على كاتبه

تتمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم السانية والدينية ووصف من كتبها وعلماؤها وحاطها
الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير . واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته
في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارئ اننا ذكرنا له
نموذجاً من عباراته المملوءة غلطاً فتوجز من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في
عباراته ونكتفي بحسابه على خطاه بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فمده مرة من العلوم الصادرة
وحرة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد اتاه هذا من انه لم يفرق بين علم
التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقاً بينهما . فعلم التوحيد
هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة
الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الا شاعرة الذين
احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في
شدة إنجازه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا وتناقشه فيه .

لأنقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لا أسلفت من الاعتذار فليعلم القارئ
إجمالاً ان الكاتب بالغ في الجملة على علم الكلام والمتكلمين واقاضت عليه الخطابة
ما أقاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول لهدم الدين وصور أهله قوماً
نشيطين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا قاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد
وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وساميه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع
القارئ الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله .
إن الدين كما يعرف المارفون - ولا أقول كل أحد - هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول أنها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور أنها نقلت كلها نقلاً متواتراً على اختلاف في قراءتها وإن هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دقتها كل ما قال الله لرسوله وأما الأقوال الأخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجميعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين — والحمد لله — في أن ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وتقرض أن كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وإن الرسول (ص) قال ما استنده اليه المستندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول إن هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لأن في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية وللكلام أساليب وقنون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لتعين مراده فالاختلاف وقع لانه لا يد من وقوعه والمنصف إذا زعم أنه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه أن يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثروا لم يسمعوها أكثرها ولم يكن في وقته فراغ الإلحاح ما أصروا أن يقيموه بل كان النبي (ص) إذا رأى فيهم تشوقاً إلى البحث فيهاهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لفهم بعض الأشياء فوق وقع البحث فيها قبل أن تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون أنه لم يتدع علم الكلام إلا بعد أن ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بمقدار ما سمع الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن أن البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . وإذا جاز لنا أن نقول أن أهل هذا العلم أخطأوا في كل ما ذهبوا إليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول أنهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لأن الحاضر على رجل وظيفته عقله وطبيعة فكره كالحاضر عليه وظيفته سمعه وبصره وطبيعة حسه وإذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاتب عليه العلم .

١. لنا صنع المتكلمون " رأوا أن صنات الله التي نقلت إليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الأقوال قول الله في نفسه « ليس كمثل شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها ورأوا أنها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما يساعد عليه اللغة . . . ربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لأنه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومديره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بإرادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلا وخاضوا في بحرها فلم يجدوا ساحلا سار هذا مشرقاً وسار ذاك مغرباً وكلهم يفتنسون الخالص من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريد . فإذا أراد وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرده فكيف يقع في ملكه ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتزده الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بتزده عن ان تدركه الابصار .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تبدأ خل في جسوم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزاء واقع فاختلقوا هل تجازي الارواح وحدها أو تتركب الارواح في أجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على بداخلها في جسوم متعددة .

نحن قلنا ان المتكلمين رأوا ما رأوا وما وصفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العالم الذين يرجع اليهم

- الخطأ السادس عشر -

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يظنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسبه هنا على خطاه في الايهام بانه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لاعمهم وما أجابهم الامم به فاننا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريه اني ساح في دفاقد هذا الكتاب القاصية . كلا فان الحاسبة على هذا في كل موضع تضع علينا وقتاً هو أكثر من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالف الرسل ومكذبهم لم يكونوا يظنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حينما يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد الاصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان بما أكثر من أن يستوفيا كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبشكم اذا مزقكم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « اذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا نبعثون » النج والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الامم على عبادة الخلق وخدمو ترك عبادة الاوثان - ولم يجبي الرسل كلهم الا لطلأ شهر من ان تذكر فتهم قوم نوح « وقالوا لا تذرنا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نعبداً أصناماً فنظّل لها ما كفين » النج ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب احمل ثقتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات قریش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا تذكرها لانا لا نظن المؤلف نسيها

واعترضات الامم على ما كفهم به رسلهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الشر كغصب الأموال وإكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو إن قفل في أموالنا ما نشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا»
فإننا نرى من أقسام الشرائع مما لم تسترضي الأمم به على رسلها وأبي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جهة أزدراءهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟
— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه قاصب وأصاب في مواضع وأخطأ في مواضع وآما نمدله خطأين في النتيجة وهما (١) أن علم أصول الفقه إنما يحتاج إليه المجتهد فقط و(٢) أنه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد أن المجتهد يحتاج إلى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان يصدره فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم أن يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه أنه غير صحيح بدليل أنه حصر الفائدة كلها في علم العربية والفقه ولم ينفه عن علم الحديث فإذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث فتعبرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كفوا أن يحفظوه من فروع الفقه . . أنا لا أقول أن التقييد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول أن تعلم هؤلاء المقلدين لأصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلزمهم بإلزامهم لفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الأصول يعرف المطلع عليه أن المؤلف أخطأ في معظم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) أننا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .

— الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون —

يخص المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقييد بمذهب من المذاهب الأربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكره — كما نكره — هذه الكتب التي للمتوسطين

والتأخرين ويجب - كما يجب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأينا بخطئ في ثلاثة أشياء (١) في تنويه بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سمو بالائمة كانوا يكثر من الرجوع عما يقتضونه وان الدين يكره تعظيم الاجبار الى هذه الدرجة وهو ان تكون اقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الرب الاعلى كان يفسخ بعض شرائعه ببعضه .

و (٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الائمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها على التعب في ورود الشريعة من مواردها و (٣) في ترجيحه التقييد والاعلال التي كانت للعلم على فكها واطلاقه وهو يعرف ان من محاسن ديننا الشريف رفع الأصار والاعلال ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيفه فنفّر كما نفّر الظبي في الفلاة رأى شبحاً مخيفاً . . . تراءى للمؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فساء بين له واخبره هنا ان هذا الحذر ليس في موضعه .

ان الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و (٢) العبادة و (٣) الاحكام القضائية و (٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانه لا يجوز الحظر فيه وانما طيفتنا فيه ان نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وان تناظر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيها صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا ان لا يزيدوا على خلاف الائمة اذا اتقوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لانفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزون ونهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثابها القضاء والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختارت الحكومات جماعات من صالحى العلماء بجمعون هم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه كحكم كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فللعروف بين والمسكر بين وبينهما أمور مشتهات لا يعلمها كثير من الناس يرجع فيها الى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع .

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيح ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الائمة التي كانوا يجمعون عليها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائل له لا ثمرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوق فيما وقعوا فيه حين قلدهم والصحيح ان علوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً منا في تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في أن خلوت الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته . و(٣) في أن ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يعيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فمجيبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصددده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلبي ما يعطيه الخطباء والشعراء لاسنتهم وأقلامهم لا بكيت السامعين في رثائي لهذه الأمة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأبى الاخ لا شيء للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثني عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كلما عبروا عنها

ومعرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا ومعرفون مع هذه اللغات كل القنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس إلا بضع سنين فترى أن تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم ينفعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تصيغه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك أن ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تخبث نفسك التعب أنه لا يعاب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وإنما يعاب باصراره على جهله ومكابرتة في أوضح الواضحات

أما تحامل المؤلف على الشيخ محمد عبده فكان ينبغي أن لا نمده مع الخطأ لأن الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول أو عدم معرفة ولبس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القليل بل هو شيء متعمد - نجده بعد من اغلاطه الكبرى أدخله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة أستاذ عظيم في كل القنون العصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد أدخلها وان عرف شيئاً فدون القليل وأقل من الطفيف ثم نجده يقول أنه كان ذا تقریط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله أيضاً قضي حياته باحياها) ثم نجده يقول فيها أنه كان يجاوب باعطاء الشهادات لفاية في نفسه لأن الفاية عنده تبرر الوسطة

هذا قول المؤلف وهذه أحكامه في اعظم نابغة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فعسى أن يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون -

والناسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الأزهر والحالة هذه تعظيماً مملوء بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم بنجده قال (١) أن الأزهر أقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) أنه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الأستانة ولا مدرسة عليكمده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) أنه تتوفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرجال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية و(٤) ان ثنائه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا خطأ .

أما ان الأزهر اقدم مدرسة إسلامية فغير صحيح وإنما بني الأزهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلتقي فيه دروساً وكان هذا دأب أهل العلم في كل المساجد . وأما انه لا بدائه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد القاطع ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القذارة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . وأما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يلتقي فيه العلم كثيرون فالتفرق بين ان تحشر الناس على الصورة الموهودة في الأزهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه علي ان مسجد القاطع يفضل هذا المعنى ايضاً مع تفرقه عن القذارة ونوم الناس فيه . وأما انه خيرها كلها فلم أقمهم !!! وأما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم أقمهم !!! وأما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية فلم أدركه !!! وأما انه قبله الآمال ومحط الرجال وان ثنائه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم أعرفه !!!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فان الأزهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصعيد يعرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها ستخرج عنكم ما تكرهون وتأبىكم بكل ما تحبون !!!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها اقله الفائدة من ذكرها في جملتها حملته على المدارس النظامية وعلى اساتذتها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللفظ والتعبير فإنا نترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معار الفهم ومن اتقى البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلاً مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين
فقروا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحراً قال يا أسلم قم ماذا أرى
عليهم ركب يريدون القرى فخر جناً وهو كالسهم انبرى
ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حيناً فردت واستوت قال هل أدنو فقالت ان أردت
فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبية اني أطبخ عليهم من بعد ذان يفرخوا (١)
ويناموا حول قدري جائهين

بالنار أضرمت في الاضلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاضلع ها أنا من فرط جوعي لا اعي
بين نوح وصياخ وانين

قال يا أماء من أدري عمر بك قالت ذاك أدهى وأمر
من تولى أمراً لا يقر ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

ويُعمري كيف يرعى وينام ليس هذا من قوانين الانام
من سباعن نوقه جنح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
انما هذا جزاء الغافلين

ولقد أصفى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو الى دار الدقيق
وأتى منها بدهن وطحين

ثم قال أحمل عليّ قلت وي بل انا أحمل قال أحمل عليّ
قلت عفوا قال هل منكم فتى يحمل الاوزار عني يا أخي
يوم يؤثر بي لرب العالمين

وسرى الفاروق خوف النعمة في الدجى يحمل قوت الضيعة
وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة
بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعا نحو الصفار فأتيناهم وهم في الانتظار
ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعار ما لهم منها قرار
ورأونا فاشرا أبوا قائمين

قالت الامم اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا
في كتاب الله بالنصر المبين

قدنا منها برفق وابتسام ودموح العين منها في انسجام
قال قوتي هيئي هذا الطام معنات اليتامى لا تنام
بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقلته صوب المطر

فقد أبصرت أسلاك الشر تلقح الإغية منه بالسحر

وهو مهم بانضاج المعين

قلت الأم وقد رعت القيام وتركتنا عندها فضل الطعام

يارعاك الله ياساري الظلام تحمل الاتقوات لغرثي الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال أي رحلت الله أهد لي واذكري خيرا ولا تستعجلي

فاذا جئت الأمير فادخلي تعجديني قاعدا في المنزل

وعلي الجدة في ما تطلين

وتنحى عنهم مستترا رايضا مريض أساد الشرى

وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكر الله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم قارس الجوع بل استعبرم

ولقد أحبت أن أبصرم في سرور وحكنا غادوم

فقد ناموا جميعا باسمين

مكننا كانوا عبيد الأمة لاغرائيق الملي والمزة

منجوا شديهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فأنجين

(محمد نجيب انزالي)

بمدرسة الحقوق

شرح السير المفيد . في شرح المواليد

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد انصيدي الكياوي استثنى القصر
السي في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول
في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد
طبعاً معاً في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالهرية لتعليم هذا الفن بسهولة
وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات
ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور
والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز
ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من القوائد الأدبية كيانه عند
ذكر اليوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أود لو لفت الأذهان
عند ذكر ما في هذه المخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع المليم
الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لمكان كتابه
أنفع من كتب المقائد المتداولة ولجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه
هذه الزيادة النافعة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة
الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيراً من نسخه و ينتظر ان ينشأ عنه معظم
نسخ الثاني والثالث اذ لا نجد مثل هذا الكتاب في فقه . واننا نحث طلاب
الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب
لأنه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أساذ

التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم

لشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالمدرسة الخديوية طريقة حسنة في
منج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شؤون
المران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من
طالبها يتغذى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجوتها وقد طبع له في هذا العام
كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثنتين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأ المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيته في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان أخلص صاحبها وصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الإنكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فحسب أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي السامي الكتيبي بمصر وهو يطلب منه فحسب أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشيربازن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرئوساً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بالقرائة فيه وتديره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته ثم على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كبردج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فتم نسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لها تزيدها عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فتشكر له عنايته وحمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهرها المظلمة والنفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكملها فكماله . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يشيع لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاء حقه من التقرُّظ والانتقاد ولا يسعنا - والقدر لما يسعدنا على ذلك - الا أن ننوه بالكتاب ونشي على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى على بك أبو الفتوح المفتش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الفارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان همهم أن يقيدوا القضاء ويجعلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكم من الخراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاء بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث ينافي كثير من الأمور باجتهاده ويوكل الى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الأخير يوافق الشريعة الاسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فمضى أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج الى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقرُّظ أقله . وفي الرسالة فوائده أخرى لا يحيط بها الا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب « دافد وطمن راني » بلغة الانكليزية وترجمه بالهريرية نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه ونحن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهري
ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحدجاز ليعلموا كيف ارتقت
هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المتباعدة في أقاصي البحار
تجوز بيع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران وينزل الدول
وينزل الأمم وكيف يسود الناس بالمدل والسلطة المقيدة برأي الأمة ويسوزها
حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . وأملني أعود الى
الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

﴿ أنساب العرب القدماء ﴾

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطونمية عند العرب الجاهلية لجرجي
افندي زيدان . والأمومة أو الطونمية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان
العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وإنما ينسبون الى الطونم والطونم كلمة
أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبدوه أو تقدهم القبيلة أو
الشخص من أنواع المخلوقات حيواناً كان أو نباتاً أو جاداً لاعتقادها أنه يحميها
أو يكف أذى عنها ويهد في عرف أهلها أباها بالتسابهم اليه اذ لا يعرف لهم
أب وإنما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا أنه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض
القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزوج أفريقية وألقوا العرب بهم
بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنائيت لفظ الأمة وباشتقاقها من مادة الام
وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبنى أسد . وقد رد عليهم جرجي
افندي زيدان رداً داحضاً لمزاعمهم مفنداً لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية
والشبهة برهاناً قاطعاً واعتمادهم على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج
لا يكاد يوثق بعلومهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على
التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه
بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار ومن النسخة منه أربعة
قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه سبب الرد على المذهب رسالة أنساب
العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الهلال ومنها كثر من الامومة عند العرب

تذكار ديوان تذكار راعب وصبري

هو الديوان الثاني للشاب الذي رشيداً قندي مصر مع وقد قدمه الى ادريس
بك راعب رئيس المأمون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الخزانة
بافتاحه بقصيدتين في منحهما . ومن أحسن ما رأيت له في هذا الديوان قوله في
استنكار سلوك بعض نساء الأغنياء

عاد على القيدين تروى وتفتخرا وتبدي التيه في الألف والاشرا
بأي عطف تبذل الخلود تاجه ويغزو الطغاة إماء أصين واسترا
قدر النواحي بخصين الجمال وإن تهتك زائل ذلك القدر واندثرا
لو ترك العاشق المسكين مطيهاً شوقاً لما ظل ذلك الحسن معتبرا
ثم أطل في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية غرامية لجرجي افندي زيمان صاحب الهلال وهي من القصص
التي لها أهل مروي في التاريخ والمساائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية
وفيا وصف الترف والافاق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه
وهي تطلب من مكتبة الهلال ومن النسخة منها عشرة قروش

الظل المقنود

اسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك
صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضماً وقائدة
لان ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالدم وما ينظر من
سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والجنة والمروءة والوفاء والسخاء
والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد
الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتوكله قبل ان يتمه
فأنصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للنشر وإذا
استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر لفظ ذائل مطلقاً فليفعل فان الرذيلة وإن
ذكرت مقرونة بالدم تؤثر في نفوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها ويجبرتهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتتهم في تحصيلها !! ويظهر ان لترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما أنه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فصي ان يراعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما أنها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ فتاة الشرق ﴾ « مجلة أدبية تاريخية روائية لصاحبتها لبيبة هاشم » وليبيبة هاشم من أشهر الفتيات السوريات المميزات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئ ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنمها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فمسي أن نجد من مساعدة الفضلاء ما يضمن لها طول البقاء .

﴿ تونس ﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري - ممن الاشتراك في الملكية التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تكثر المجلات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ ترويح النفوس ﴾ المرشد جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الاولى (عزور بن أحمد الخياري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجر يدين ، ونشي على فضل الخريدين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة في التاليف جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطر سبرج عبد الرشيد أفندي إبراهيم صاحب جريدة (ألفت) المفيدة وقد سررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع للطلاب العلم من ماضي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحُجَّةِ وَالْإِثْبَاتِ

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القرانين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راعب من مشروعات المصريين تعترض على هذا الاقتراح وطفقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها وتقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل تقل عنها الطعن في الدين مطلقا وادريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الاتحاد فيما نعلم. وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجراً محبو الاتحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائدا من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه العالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبرج فكان أعظم نابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي مئتا جنيه تعطى للنابغ الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهورا اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياما كان جل همهم فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقدا الذكاء شديد الغيرة على أمته بعيداً من الهزل والفتور
معتصماً بالادب وهو يتكلم بالعربية مع حصر متاويهم عن يكلمه بعبارة فصيححة
بل علمنا منه انه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا
واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكونتنتال احتفالاً دعوا اليه كثيراً من
ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين
فيينا خطيباً باللغة الانكليزية ق تلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا
وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون
جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والتربية الدينية وسنورد ترجمة قوله في
جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة
النير ق تلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وتلا
خطاباً وجيزاً تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها
فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لو رزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ
قوية مثل التي عليها كلية عليكره وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت
مصدر حياة أقوى وأعم نفعا لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم
في حاجة كبرى للتربي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فبسي أن يسمي
مع الذين يسمون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه
المبادئ التي ذكر منها العلم والفلسفة ولم يذكر دعامه الدين ولكنه لا ينكرها وهي
من دعائم كلية عليكره ولولاها لكانت تلك الكلية وبالاعلى المسلمين
وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبث وأنواع الأكل
اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتהלلون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي
ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تربيت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع
عن الشورى في بلاد فارس ونقله عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير
عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسمياً فأجابها ناظر الخارجية بأن

مولانا شاء قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استيائهم وقالوا ان تركيا تريد ان تقيدها في بلادها وتنع عنا النور كما منعتنا عن اخواتنا العرب في بلادها وستحكم من هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبوخطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبوخطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الأداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه اذ كفاء تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبوخطوة صار هؤلاء الاذ كفاء كالنجم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقة حسن السمات طيبا لا تخشى بوادره حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في النواحي الشرعية فوفض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاستاذ الامام لذلك التقرير الذي أحصى طرق الإصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعدادة وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يقولون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول ان مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التفتنا من بعض أصدقائه بان يرجعه للنداء ولعله يفعل مقتضالا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر، والشرف خير من المال، والعبرة بالخاتمة والمآل، « وقل رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »



بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة

في شريعتي الدين يستمرون القول فينبغون أحسنه
أو تلك الدين هداهم الله وأنت هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق

مصر في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ - آخره الاربعاء ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ هـ

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الإصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الإصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي محروفاً
مجلد اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها إلى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصيح للدولة وأنها لو عملت بارشاده وصدقت أماله ورجاءه الحسن فيها لأحييت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة صلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه . وبعد فقد رأينا وسررنا كآسر المساكين كافة بما نشر في جريدة الطريق من أنه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تولى تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة توري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العظيمة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بأرائهم القوية ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبشنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالمعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من وأجب حقوق الله على العباد النصيحة ببلوغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يبين على ذلك أو يعان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة المقائد بعد : لايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفالة ببقاء محوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن الخلافة الاسلامية حصونها وأسوارها وان أحكم أسوارها ما استحکم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحجبة للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنفهم من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شا كل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطوبة منها فقد ضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأتحت الأيام على معاقد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانكاس في الطباع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت المرة لسائد عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون ومكان مارواء النهر وقبائل التركان واشباههم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن حمت بها البلية حتى غشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدساتهم والاصاغة الى وساوسهم

فخطبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعائهم في أطراف البلاد الإسلامية حتى
العثمانية لتضليل المسلمين فلا يرى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين
أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو الجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية
والمسلمون لا يستنكفون من ارسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم
بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي
يحسبونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا التساهل المحزن
بالعامة والجهال بل تعدى الى المروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي
المناصب الدينية الإسلامية . وأولئك الضملاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك
المدارس الأجنبية في من السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما
يناقض عقائد الدين الإسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع الحمدي
بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائدهم وآبائهم ويميب عليهم التمسك
بمري الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساتذتهم
القوام على تربيتهم بإذن آباءهم ولا نطيل القول فيما ينلقونه من العقائد الفاسدة
والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا تنقضي سنو تعليمهم الا
وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم
الإسلام ولا يقف الأمر عند ذلك بل تعدد قلوبهم على محبة الأجانب وتجنب
أهوائهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينشون ما تدنس
به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الأمة ، ورزية على
الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم
مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانين في النزعة ، هذا ما جلبه الجهل على
الأمة الإسلامية وان غائلته لمن أشد القوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائقها لو لم
تدفعها عزيمتنا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الإسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني
جملة وأما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر
وطريق صوري لا يمدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قروا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالاً بهتائمه
منكبين على الشهوات وسفاسف المذات لا ينجشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون
له حكماً في خير ولا شر وانحط بهم ذلك إلى الكذب في الكسب والانصباب على
طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالاً أو حراماً ولا طيباً أو خبيثاً فإذا
دعوا إلى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا إلى الراحة ومالوا إلى الخيانة وظلموا
لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فإن ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف
طبقاتهم إلا من عصم الله وهم قليلون ولهذا نراهم يفرون من الخدمة العسكرية
ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى
غيرهم من الأمم يتسابقون إلى الانتظام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في
دينهم بل مضادة لمصريح نصوصه ونرى المسلمين يبتلون بأموالهم إذا دعت
الأحوال إلى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الأمة ولا يبتلون بذلك على
شبهاتهم بعكس ما نرى في سائر الأمم . هكذا انطفاً من المسلمين مصباح العقل فلا
يعرفون لهم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون إلى جامعة يلجأون إليها وتقطع ما بينهم
(نحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة إلا بالله
هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير
نذكرها مقرونة بأنفس الأسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الأجانب قد أرسلوا
ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويقتربون ناداتهم وجمهورهم نادة ومسارة
الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وإن عواقب ذلك لتخشى
ولا حول ولا قوة إلا بالله

وإذا استقر بنا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لا نجد إلا
سبباً واحداً وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد وأما
بالسلوك إليه من غير طريقة القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم
الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين إلا أسماء يذكرونها
ولا يصبرونها فإن كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للمبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً
فلهمذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
ذنبا حتى تشمله بالفقران قطعاً لا احتمال منه للعقاب فليفعل الإنسان ما يفعل
من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شا كل ذلك
بما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحمية من قلوبهم ولا منشأ
له إلا عدم تعليلهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
وأما الذين أصابو شبيهاً من الصلح الديني فمنهم من كان هههم علم أحكام الطهارة
والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وإن هدموا كل ركن
سواهما وبشركون مع الأولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
العادية وأولئك الأغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شا كل
ذلك لا ينظرون من الدين إلا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فإن مال بهم طلب
المعيشة الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهو لا
لا تختص مقاصد أعمالهم بذواتهم ولكنها تتعدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
فهذا القسم أعظم الأقسام خطراً وأشدّها ضرراً في العامة والخاصة وما أفرادهم بقليل
نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
رجال رفقوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرم الدين
في قلوبهم نار الحمية واستغز اليقين همهم للنصرة المالية، إلا أنهم قليل والموجود منهم
قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة
وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
ما لطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لمجل لها من الوبال
ما استعجته لسوء أعمالها ونبيذها أحكام الله وراء ظهرها وانحراف قلوبها عن مقاصد
ولاية أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
وهول عواقبه فأصدر أراذته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فبالنعم العظمي

ويا المرحة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وشت لورود بشرها وجوه الصادقين،
وارتفعت أصوات التضرع إلى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد
دوك، وإعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أشرنا إليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء
الجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من إصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الإسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة اليهودية في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فإن العلوم العملية إذا لم تكن على عقائد صحيحة وإيمان
صادق لا تثبت أن تضمحل ولئن ثبتت فأما تسوق إلى أعمال خالية عن النيات
وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
النظر إلى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم إلى تربية تذكريا
تنال النفس من ذلك الفن فيكون انتدكار مستحفظا لما يصل إليها منه ثم إلى فن
الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والخيانة
والنسيمة والحسد والجبن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم إلى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الإسلامية. ثم إلى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه. ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والتربية على وفق
قواعدها مستندين إلى الشرع الشريف بحيث تذكر ما أخذها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حظهم
كحجة الإسلام الفزلي وأمثاله فالمقصد بالذات علمان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان إليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة
تصدر عنها الأفعال بلا عمل ثم يتبعها فن آخر يقوى على القرض منها وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء السمانيين

(المنازل ١٢: ٩) لوائح الإصلاح والتعاليم الدينية الأولى للمملكة العثمانية ١٨٩٥

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا أقوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث ونعين لكل واحدة منها حداً من هذه الفنون
فالطبقة الأولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم .
والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الإدارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين
التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

(الطبقة الأولى) هم أولاد المسلمين الذين يرقف بهم عند مبادي الكتابة والقراءة وشي من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة يتفهمون بها في ممالئهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الأهلية فهو لا يهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم ملوها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير شائطين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات تعليمهم مواعيد الحمية ومعاصم الانفة المالية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما نعلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولاً كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المثبت عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة الاقناعية القرية المنال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون
الخواطر في استمداد لدفع ما يرد عليها من وساوس دعاة الانجيل المنبشرين في كل قطر
ثانياً - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الحسنة
والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا
في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلاً فيه بآيات الكتاب واحاديث
السنة مؤيداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب
تقرير ان الانسان اذا خلق ليكون عبداً لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول
ثالثاً - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء
الدين بالارواح والاموال مع الالمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في
وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضيه وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق
في المكافأة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك
على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية ومن الترك تركية ومن
غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعة فيها
بمحرر التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف

(الطبقة الثانية) هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية
والملكية والعسكرية والطبية وما يثلوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء
لها حفاظاً لما استخفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب
سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصامات قابض على ميزان
العدالة ناظر الى كفت النظام يرجح مارجح فيه ويسقط ما سقط منه فهو يتحرى
الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم مرأى في ادارة أمور الرعية آخذاً بنظارة الخلق
والنراية ليستبين ما يخفى من مصالح وما يدق من مساكأها ليضبط الاعمال
ويلزم الحدود ويرفر وسائل الصرمان فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها
الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزداد لما بعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع
هم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة العلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول
النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي
مع التزام الوسط وإتيان الطريق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الإسلامية
أيضاً إلا أن يتوسم فيها بيننا وبين النصارى لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه
أجلى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الإسلامية في تقويم المعيشة المدنية
فضلاً عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والذاتل بيان
أكل مما في البداية وتوضيح لأسباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقتضيه
به العقل وتطمين به النفس ثم بيان الحكم لبعض الأحكام الدينية وفوائدها في
الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه إلى نصوص الدين وسير السلف
الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكتابين على ما يضرع إليه في القلوب
ويبرقع النفوس إلى مقام لا تطالب فيه إلا معالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
وسيرة أصحابه والفتوحات الإسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء
الغماميون من ذلك والالتيان على كل هذا من وجه ديني يخص فإن ذكرت فيه
الوجوه السياسية كانت تابعة للفرض الديني وبين في هذا الكتاب ما كانت
تيسر إليه سيادة الإسلام من أقطار الأرض ويردع فيه من العبارات ما يحرك
القلوب إلى طلب المنقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم
الإسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من أخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب
بالسنة آياتهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغو العرب كما سبق ولا يلزم
لهم دينية أن يتعلموا اللسان العربي إلا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتأونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثراً في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكتائب الابتدائية إذا وجدت فيهم الاوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين مما ليس منه وإن خالف أو هام العامة

٥- التعليم الديني العالي لطبقة المصلين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخليقهم بالصفات المقصودة بوضعها فانتخبوا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرذاً الأمة وهداة الملة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهو لا يكتفي لا بلانهم الفاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسمون بها القدوة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلوم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي للمسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون التفرص لأعيان الكتب الا قليلاً فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقراً القرآن تفهما ونظماً لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر بحاج المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم الا إرجاعهم إليه وبالم تقرع صيخته أحماق قلوبهم ونزلن هزته رواشي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذاشب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتيج إلى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقتيهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان وتاريخ جاهلي وما
يتبع ذلك ايتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مبيناً له مع اطراح
ما يخالف نصه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لإرجاع الأحاديث الصحيحة
إليه إن كان ظاهرها يؤهم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
مسالك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الأصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام ونرى أفضل
كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الإسلامية الأولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في نهاض الإسلام من
كبوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت اليه الملة في هذه الأيام ليتبين أنه لا سبب لذلك إلا الجهل بالدين والانحراف
عن أحكامه وانشقاق عصا الأمة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبتت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل
الأعمال والارتفاع بها عن دنيا الصفات وسفاسف الأمور

ثامناً - فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل
لا لتعصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة
بعض الكتب الحكيمة الإسلامية لتكميل الإحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جهة ما يلزم لتجلية نفوس هذه الطبقة بفضيلتي العلم والعمل ولم تعرض
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنّه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ماكن في
الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات
والرياضيات والطبيعات والنظامات وكل ما حدته نظارة المعارف العثمانية فهي
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضرب شيء منها بالدين بل الدين يقويها
كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة
وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين
من أي أرض يوجدون بها ويتنخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا واذكاهم
أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها
شهادة ببلوغه الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه
في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشرباب القلوب حب الدين
وتوقيره وجهله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها
بأعمالهم فتلتزم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأيد حافظه الاعظم المدافع عن
بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة يخشى بأمرها وتخاف برأئق
غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على
المسلمين في راحتهم الداخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجداول إنما هو الى إحياء
الملة وقد كانت كادت تموت والعباد بالله

وهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصاً في الاخلاق
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتبهرها وتستفزه من
مقار الحول والقفلة الى مقامات التنبيه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكماً من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

(المنازل ٩: ١٢) لوائح الإصلاح والتعليم الديني - الأولى للمملكة الممثلة ٩٠١

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكنين من خواطرم . ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الأعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعده الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وغيورتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما تراهم عليه في القوة والدرابة كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين الممانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الاسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة الملية الممانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملة سواه وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنقبات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فانه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة الدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار الممانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدينا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإنا في جميع الأحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الأعظم وتأيدده وبقائه ظلاً لله ورحمة له عبده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتشبه فتقدم لمرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك النمانية إن لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا النمانيين فالداخل إليها قليل بالنسبة إلى عدد الأهالي فإن الجمهور الأعظم من سكان القرى والأعراب المتقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرّون التربية الحسنة حتى قدرها فإصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهو لا وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقش الواجب الالتفات إليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون إلا بترتيب دعوة تبيهم إلى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تربيتهم وتعليمهم ثم نخدعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أنهم لو رغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والاتفاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في إدارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض المومنين والأغنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفع على إنشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجهات في كل بلد وبقعة لتديره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والمجامع لينذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب أن يكون لأهل الدين دعاة مرشدون يفتشون بين العامة ليتفهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهؤلاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعافا في الفنون لا دينة الشرعية وأوسعهم علما بمال الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ لقلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بافتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالانضام

ومن هذا نلزم المبادرة إلى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في نصر فاتهم المشهوددة ويدينون لهم مضار الفساد ويهدونهم إلى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح إذا وجهت المنايا إليه رجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبشهم دعاء ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الإغفال فيها والوصول إلى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كلف أحدنا بوضعها لتيسر له ذلك بمهونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأولىين وفي الثالثة أيضاً والذين يلتقون لوظيفة الارشاد فهم أن تصير وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحت عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي إلى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يطلبون المناصب إلا إذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون إلا بعد التفتيش عليهم ثم إذا حسنت البداية ونبهها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الأمر بتوفيق الله إلى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والمطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخلص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فأننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسته لأخلاقيهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به أنقول أضعا فامضاعة فان دعينا إليه لم نتأخر عن بئس والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسينا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب : هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر لسلطان بأنه يفيض الدولة فليأتنا أحد يمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها .

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين ، وبث الارشاد في نفوس المسلمين ، فيستبشر المفرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة إلا أهلا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بذلك الارادات السنية وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيتته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فذلك أمة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتورها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الفنى والفقر، ويتناوبها المزم والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرا وشرا فهو تابع لحال الحاكم، فان كان حاكما عالما حازما أصيل الرأي علي الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها أبوابا للتقن في الصنائع والخلق في جميع لوازم الحياة وبعث في أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحماهم على التحلي بالمازيا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كانت حاكما جاهلا سيء الطبع سافل الهمة شرها مغتلا جباناً ضعيف الرأي أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح أبوابا للعدوان فيقلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة وينقلب اليأس فتتبدل اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول القانحة بمخالبها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رفق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة المروة الوثقى بال عنوان الآتي

لقائنا بين جميع الامة فتبعتها وبتقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا
العضو المجذوم قبل أن يسري فسادُه الى جميع البدن فيزقه وغرسوا لهم شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات
(استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركتم شؤنها
بيد الحاكم الابله الفاشم بصرفها كيف يشاء فانذرنا بمحض العبودية وعناء الذلة
ووصمة العار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

هو ردّ لردّ (١)

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤثمتنا
الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فانا لا نتمسك إلا عليك * ونصلي
ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ننزل من عالم حكيم (وبعد) فقد اطلعت على ما كتبه الاستاذ الفاضل
الشيخ طه البشري رداً على فيما ذهبت اليه، فسررت جداً لفيرته، وشكرته على
أدبه ونزاهته، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطررت الى مناقشته ليظهر
لي الحق ان كنت مخطئاً، راجياً من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكماء بيننا، والله
ولي الهداية، المنقذ من الضلالة

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه
تعمد » ثم استشهد على ذلك بعدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفى علينا
من قبل فلاننا نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى . الآية الأولى قوله تعالى
(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب
غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ ونقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

الأحاديث المعتمدة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بينا ومفصلا في قوله (بلسان عربي مبين) وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات -
 وقوله - وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا - وقوله - كتاب فصات آياته قرآنا
 عربيا لقوم يعلمون - وقوله - كتاب أحكمت آياته ثم فصات من لند حكيم خبير -
 الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضيحه وتفسيره وتفصيله؟ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسر الرسول بنفسه؟ ألا يستكف
 أحدنا أن يكتب للناس كتابا لا يفهمونه الا اذا فسرهم هو لهم؟ فما لك بالقرآن المبين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطبقة على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجال شيء آخر. ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل.

فمثال الاجال قولك : حرم الله الخبائث : وإذا أردت تفصيله تقول : حرم
 الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها . ومثال الاطلاق أن تقول : جاء محمد :
 وتقييده يكون بنحو قولك (جاء محمد راجيا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل ما دخل
 تحته جميع أفراد المفصل . والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يمتثلها أي
 ان الأول كالجراب الحاوي للمفصل والثاني كجراب غير حاو له ولكنه يسهه .
 فالقرآن ليس فيه مجمل نحتاج الى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر .
 ولكنه فيه مطلق لم يتقيد ليقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان .
 فان قيل لم لا نهى السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين . قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة . وان كان الله تعالى أعلم بها فلم لم
 يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؟ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه . ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجال في موضع واحد ووصفه بنفسه في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق . اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين آوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيرا مما كنتم تكتمون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والعدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوها وينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسبي ما زاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لمجرد الارتداد وتحريم الخمر والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويبلغهم اياه مفصلا وموضعا بلغتهم التي يفهمونها وإثبات النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارات أخرى . وهب أن ما يدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم وهو ماندعيه وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فتعليم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهيمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والبر والحكم وحشهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمفاصلة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواظظ والآداب والفضائل

وأتراع التهذيب والتأديب والتشريف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهلية الى نور السلم والمدنية . ونحن لا نرفض شيئاً من ذلك بل نقبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ يخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول إن اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمانه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه إلينا خطابه لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعواتنا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زماننا الحق علينا أمثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما سقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لأمته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي ونصها هكذا (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فتنهوا (كم عنه فانهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الشيء فخذوه وما نهاكم عن أخذها منه فانهوا. يقولون إن العبارة بمصوم اللفظ لا بخصوص السبب أي - بسبب النزول ولكننا نقول إن الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يهتبر للسياق لوجب على كل مسلم مثلاً أن يكون دائماً متجنباً نحو الكعبة في أي عمل يعمل لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يهتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لأننا نقول إن السنة أعطاه الرسول للعرب لأننا كما سبق ولو أعطاهم لنا لوجب علينا أخذها وبعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرة سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآناً والبعض الآخر سنة ؟ مثلاً إذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون ديناراً من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلاً في الكتاب كما ذكر المواريث وغيرها ؟ وما حكمة الاجتهال في بعض المواضع والتفصيل في الأخرى ؟

قال حفظه الله « إن كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي السماوي أو الإلهام الإلهي الصادق » وهذه العبارة على إطلاقها غلط لا توافقه عليها . لأن بعض أعمال الرسول وأقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحياً مطلقاً وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الأستاذ تنسى ذلك أو تناساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الأحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلماذا نلقت نظره إلى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لني أن يكون له أمرى حتى يشخن في الأرض تر يدون الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت

لهم حتى يبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (وقوله (عيسى وتولى أن جاءه
الاعشى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي
بكاء شديدا من بعض هذه المتابات . وقد ورد في الحديث أيضا أن النبي نهى
عن تأييد النخل ولما علم بضر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .
فالمصحة لله وليكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطئ فيه مطلقا
ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان افراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يمد على أصابع اليد . واذالم
نكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له
ولا يفني ذلك من الحق شيئا . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذ كر وانا له لحافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالذ كر مطلقا . وكيف تقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع رعاية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بحثنا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقابل هو . لأن الكذاب أو الضعيف أو المظنون
فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ما هو حق وصدق فلا تقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطئ أو يكون ممن تظاهر بالصالح والاستقامة حتى غرنا فتأخذ
الحديث عنه والرسول بريء منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة .
فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تبليغها للناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمنى واختلقت الرواية عنهم لفظاً
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن ياملوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصا من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنأريد
أن نسأل حضرة سؤالا وهو لما إذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله
في صحف على حديثها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها
أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى
يصل إلينا كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزها
عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الإعجاز فدخلت في القرآن
أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي
عنها حتى وصل إلينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء - ولو أنهما اختلطا
بعضهما شيئا قليلا - أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم
بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون؟ وبذلك كانت
المسلمون يستريحون في القرون الأولى من العناء والتعب في لها وتحبصها وهم لم
يصلوا إلى النتيجة المرجوة ولن يصلوا وكانوا يصرفون همهم هذه إلى شيء آخر
واعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة
بعد طول المناقشة هي قوله « إن المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره
مما ذكرت » ونقول إن القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن
المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك إلا ما شذ
وندر؟ وهل يفيدنا ذلك السير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا .
الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لأن الاستاذ
ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . وإذا سلم قيمة التواتر
العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم
الصحابة له إلى اليوم وإذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات
الصلاة مثلا؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه؟؟ الحق أقول: لو كانت
السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو وأصحابه حتى تصل
إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا لكان الله تعالى يريد أن نصبدا
بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلواك

عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وما أجل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسيحان ربك رب العزة عما يقرولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نشهد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي : -

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التعريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها

أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لا عني بها بذلك أو نحوه

(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالتواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم

(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن واذلك اختلفت ألفاظ ما تعددت روايته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها وتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مشبط لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوق فيها جميع أنواع التعريف . ولا يمكننا القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل بالجرى عدم معرفتنا شيئاً يجرى الرواة

(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الا على العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه

وسلم ولا يوافق الا عاداتهم وأحوالهم كسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك

(١٠) يشتم من بعض ما وصل اليه من أخبارنا ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى» وان حصل الطعن في سند مثل هذه الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روه عن واضعه؟ وهل الواضع
 له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا إجماع بين
 المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وإن كان الواضع من غير المسلمين فإذا فهمه
 إذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصاً في مثل هذه المسألة
 (مسألة تراقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه
 يهزئهم ويقوهم؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال إن الوضوء لا ينتقض
 بالقيء مستشهدين به على مذهبه فالقول بأن هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي
 لشقاء الأمة وادعاء الفلانة بل لابد من البحث والتقيب

فهذه أدلتي أوردتها سرّداً بالأبجاذ ليُنْذِرَها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون
 وأرجو ممن يرد عليّ أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقنعني ويقنعه والّا أضاعنا الوقت
 سدى، ولم نصل إلى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون
 وبما يفهمون . فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطة . وجميع ما فيه
 مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى
 التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا
 معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم
 القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ
 أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار إن العرب لا تحتاج
 إلى شيء مطلقاً لفهم القرآن . وغيرهم لا بد له أن يقدر على فهمه . أعني أن يصير
 مثل العرب بتعلم ما ذكرته . وإذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مبنياً . فلا
 يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يهدوه إلا إذا ذكر ما يفسره . إذا عرفت
 هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسيان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب
 قبل نزوله مثل لفظ الحج والأحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات
 جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القراءات معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأمنوا بالحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثله ما قتله من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذيق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثهم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وقوله - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينفقون فضلاً من الله ورضواناً سيئاتهم في وجوههم من أثر السجود * وقوله - وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله - ولا تبهر

بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً » وقوله - أقم الصلاة للربك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً - وقوله - أقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - فأمثال هذه الآيات يكل ويفسر بعضها بعضها والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء ونسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطي من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار إلى ذلك بقوله (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجهه الله وأولئك هم المفلحون » وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها - وقوله - وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعها لا من بعضها .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله ما افتاه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤدى إلى الفائدة المطلوبة بعينها كاللفظ القروء الذي استشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا إن الأصل فيه الانتقال من الطهر إلى الحيض . والرجيح بالسنة لم يؤد إلى النتيجة المرجوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بمحدث « طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان » إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية إن المراد بالقروء الطهر . وهذا هو الذي اشتكىنا ونشتكي منه . فبأيها التفاضل المناظر

أتدعوننا الى شيء لم يندكم أنتم المتمسكين به ولا زلتُم مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم
أن ماقلته في هذا الباب يعد طعناً منك في بيان القرآن المبين وبلاغته فلتستغفر
الله تعالى منه ولتنب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ما عدا المتواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به
عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب
للجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) :
وقول ان الله تعالى لا يعبدنا بالظن والا لما دمه في كتابه كثيراً . قال تعالى
(وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان
هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن وان اتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً
واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل
به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لأن
التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده
التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لا له .
وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلف في نفس أحد
أقل شبهة من أحد رواته فنقض يديه منه واقلب الى أهله بخاويا من ذاك الحديث
وقاضيه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة حصل فيها نقص ككل التأييد . فان
الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث
كبيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا اشتباه في الراوي
لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولة أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا
فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع
مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابرون على اجتهادهم فاننا لم أعارض في ذلك ولم يكن
هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الإجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في إيرادها ونصبها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه وعلى فرض المناسبة نقول : أنه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون . أو أن طريقهم واحد ولا يسرون في طريق الباطل . ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكانت حجة لحضرة . والذي تعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسبوا في طريق الباطل فمن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عذبه الله . فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عذبه الله بما ذكر . وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم . لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم . ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون إليه بقلوبهم ويطالبونه إذا ضلوا . وهم لم يحيدوا عنه إلا خطأ أوجها . ورجوعهم إليه سهل إذا أرشدوا

هذا وأنا قد تركت بعض مسائل لم أبدأ بملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة . ولأن البحث فيها لا يؤدي إلى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج إليها القارئ كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما نرمي إليه فنقول :

- (١) أن عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرتنا ذلك شيئا لأننا نقول أمل ذلك كان لأن النبي رحمه الله على هذه الأعداد المحصورة وحتمها رغبة منه في كمال النظام ونظام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام . وليس من خلف بعدهم

مضطرا لا التزام ما أمرواهم بالتزامه . فليس حديث ذي الدين ولا حديث عائشة
 اللذان أوردهما الاستاذ بمفيدين لنا في هذا البحث شيئا . على أنها ليسا بتواترين .
 ونحن وإن احتججنا بملهما على غيرنا لقبوله ذلك لا تقبل الاحتجاج بهما على أنفسنا
 لأنها لا يفيدان إلا الظن كما تقدم . ثم إن الاستاذ لم يجنبنا عن السبب في صلاة النبي
 ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن
 الدعوة وأراد التخص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو
 كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان
 فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية
 صلاة السفر قصرًا منه إلى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال
 : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : وذلك اضطر كثير من المفسرين
 إلى تأويلهما والاستاذ يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرًا وتفاضى عن
 أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد متواتر لفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمرنا
 نحن فيه بهذه الأعداد المخصوصة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير
 متواتر وليس مرجحًا في أمر الركعات . وذهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في
 عصر النبي بنقل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف تحتاج علي بهذا الحديث وهو غير صحيح
 في المسألة . ولا تحتاج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررت في أنه يكفي
 قراءة أية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة . ثم أن النبي وأصحابه أجمعوا
 على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه
 السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي
 بدون الفاتحة يكون عندك مسلما كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل
 الأربع وإذا ترى أننا نناظر طريق المؤمنين ولا ترى أن أبا حنيفة فعل ذلك أيضا
 وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده
 لا يكفي إذا لم يصح بأمس إقليتهم منهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

لنأويل ولا للطمع فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه قريبا كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على الصوم والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - أنه خير بما تفعلون) فلومألت عنه جميع الصحابة والتابعين فقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثيرا من علمائنا الآن صاروا يقولون إنه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول إن النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا روى القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك المخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يتعبدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث أنه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فإنه متواتر في رأي الأكثرين

إذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريرا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك إذا لم يصل إلينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فإن قيل إن التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا إذا نظرنا في أمر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . وإذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يتعبدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريدنا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستماتة عليها وهو المطلوب .

وانعد الآن الى أتمام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الاستاذ الفاضل فيما استتجناه من قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناء وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) الى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح إلخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه إذ كثيرا ماورد الخطاب بالجمع ولم يرد به الا أكثرين كما في قوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابشوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فالخطاب هنا وإن كان لجماعة المؤمنين الا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكيمين الا اذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد فنفي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . اذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصر لما خلفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتي يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يقتلكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فما لا نوافقه عليه لانت الأصل عدم ذلك ومنى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير اليه . أما اذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا الى القول به . وهنا لا دليل يمنعنا من القول بأن هذا القيد مقتدر في هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلها كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فاتهما بدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فافرارنا بأن القيد في قوله تعالى « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة » إلخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وإن كان للنبي الا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويردده هو وأمته كقول المثل (إياك أعني وأسمعي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لا خرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل» وقوله «أقم الصلاة لذالك الشمس إلى غسق الليل» وقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات. ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص وما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن) . لذلك نقول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (إن خفتم أن يفتكم الدين كفروا) فإنه معتبر مفهومه لعدم الدلائل انقاطة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان وإرادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشاده بآية (وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربية إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد النكاح فإنه يجوز له أن يتزوج الربية وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكررهن فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لعله فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام . وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن الغلو والعبث والابهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفنا في الرد عليه أن نحيله إلى تفسير مثل تفسير فخر الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذ كر غيره وبه تنهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصل الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدلت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة ونبي على ذلك ما نبى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولىين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزليهما أقل من الركعتين الأولىين : وشتان ما بين هذا المعنى وذاك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأولىين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اقتصاء بالواجب » ونرى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلزم في غضون أسفاره التوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلاً للتوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصليها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وألهمنا اللهم لكتابهم الحميد . أنه ملهم الأنام هادي العبيد . رب العرش الفعّال لما يريد .

تذييل

نلفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زيادة هذه المقالة والمجهر

الذي تدور عليه : -

(المسألة الأولى) الفرق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته في زمنه ولذلك نسميه

« التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة هي عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب مالم يكن مصحوباً بدليل

قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع

أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين العرب لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في منتهى

البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواه . فلا

فلا معنى عندنا لقول بأن الرسول مبين له بسنة القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي مهما كانت درجته .

فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل

فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي

تحتاج إلى العلم والعمل كالمطبخ مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفرنج

للإماماني بصور وأشكال يضمنونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بعمله .

ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل إليهم) قد يشمل

هذا التبيين العملي أيضاً . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه

آنفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح ما في الكتاب

وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى ما في الكتاب .

فكل عمل مبين لما في الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أولم يذكروه بكون غير واجب علينا . و بمباراة أخرى (الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابعة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه مفسرا لآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد يعتمد عليه في بيان النسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون (راجع مقالتنا في النسخ والمنسوخ)

فخرجو ممن يطالع هذه المقالة أن يعمن النظر في هذه المسائل ولا يعصيه التقليد عن إدراكها وبعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من اتبع الهدى
٣٠ يناير سنة ٩٠٧ هـ
صديقي

حجرات المنار

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة ونقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا اليها في بعض أجزاء السنة الآتية كثر الكلام وتشعبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد ونحري محل النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وسعده أم هو جميع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسألة عدد ركعات الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه « لاشك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع ولكن محل النزاع هو هل كل ما نواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجبا على الأمة الاسلامية في جميع الأزمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » . و ذكر في المقالة الثانية ما رأيت أنفا من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب . وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الاثامن فإنه امر سلبي والتامع فإنه دعوى ممنوعة والعاشر فإنه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يخاري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلًا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلًا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا نظيل في بيانه ولا في تحرير برهانه .

نضم الى هذا الأصل أصلاً آخر أظن أن الدكتور لا يعترض فيه وهو أنه لا يقتل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكافين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصاً بهم وحدهم أو مع من يشاركون في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجيزه مسلم فاذا جعلنا هذين الأصلين مقدمتين انتجتا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد بإسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجهد وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتماً وان كان مخيراً فيه تخيراً . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينسج له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجئه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه
الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين — ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات
وهي خمس — مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من
يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس
فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي
أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفطانية يشكون
حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة
المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها لمكان
الضرورة فمنه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم
عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) وهذه كيفية
لأركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف
ركعة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الأمان ركعتان لكل مسلم كما قال
الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفيتهما
يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع
والسجود في آيات أخرى تخبر فيه أو مندوباً إليه أو أمراً أكالياً ولا يعدم لذلك
نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها
الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام
خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي
لا تجعل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل
صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة
الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم
يصلون ركعة واحدة لا سيما على القول بأن معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من أذكراها الحقة لأن أركانها الجلية . وإن قلنا إن المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فإذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورأيهم أثلاً يفتهم العدو وهم ساجدون لا ينظرون إليه . وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المنبأ در فيه ، فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فإذا احتج بالسنة العملية وجب عليه أن يجمع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (١٥٨: ٧) قل يا أيها الناس اتبعوا رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكمه أن يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم إن اتباعه واجب ولكن على كل قوم أن يتبعوه فيما دعاهم إليه وقد دعا العرب إلى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس إلى الكتاب فقط ونقول لا دليل على هذه التفرقة في الدعوة وإنما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلافاً على ما يشمل الأحاديث اصطلاحاً حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الإسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فامضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين . أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (١٥١: ٢) يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة . والتعليم كان الآيات والكتاب والحكمة التي هي استمرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تحقق به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الدكتور « الحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتي تصل اليها كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله »

فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الاما واضب عليه النبي (ص) وأصحابه ككيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل اليها هذا بدون نزاع ولا خلاف يجمل السنة في جعلها « قانونية » . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بعضه فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرأون بعدها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله نارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لا نستني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن وإهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث وبسببها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سننا منبذة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا هي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة الصحابة للحديث وعدم حياية علمائهم وأئمتهم كالخلفاء بالحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا لا الدكتور صدقي

في هذا كراته لنا قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألتنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فما أجاب أحد إلا ببعض ما أجاب به النوري في شرحه لصحيح مسلم وهو غير مقنع لأهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يقترح على علماء الدين أن يوافقوه بما يعلمون وما يقترح عليهم في هذه المسألة والأكتاف من كاتبي العلم وقد علموا ما ورد في الكافين

هذا وقد سبق لنا سبج طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الإسلامية من الأخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

رسالة من طهران بحروفها

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الإسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الإسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا بره ولفاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالواجب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الأمير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتيكم (الشورى في بلاد إيران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتكم الفراء . أول من ترجم ذلك ذكاء الملك في جريدته (تريبت) الفراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة أن منزلة ومقام حضرة حكيم الإسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الخبر وأقرؤوها على المنابر وفي المطابع . ثم نقل ما ترجم وما قال في جريدة (مجلس) وهي جريدة الطلوع بقرائها في طهران الصغير والكبير والذكور والاثني بل وفي جميع إيران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتاباً وأغلظ فيه وذكر أن ما ترجمته وزنائه (ترييت) ونقائه عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوهموا اتفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، والأولى أن تهتموا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها ، فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعييتنا حتى نؤاخذه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا ممارستهم بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعيني في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوماً في مجلس مشعور من طلاب العلوم الدينية فتذاكروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت بإخواننا من العرب المسلمين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في إيران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التمدي على حدودها كنا من طرف تبريز ، رأينا منها التمدي والظلم لإخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها دبحهم وجزرهم في الشهر الماضي ، هلا هلا أيها الترك أفيقوا من غفلاتكم ، وتيقظوا بن نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حذب ينسلون ، هذا ناجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخرون داع لدينه ، والتعهد من الكل ابتلاعنا مما شر أهل الاسلام ، فان نبتظم وإلا فأنتم صبورهم ونحن غبورهم لا سمح الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أرباباً من دون الله طاعتهم كطاعته ومصيتهم كمصيته ، بل نجالدهم بالسيف والستان ، والقلب واللسان ، فان توليتهم فتشهدكم بأننا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الحائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور)
هذا معني ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحبيت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنشأهم أشهر من نار على علم اه
(المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتبه ولكننا لم نذكره لأجل قوله أنه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل انكتب اليه

وقدرأي القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدوانه ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم وبين قومه الترك ومعني هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يتنانان من حكم الاستبداد ويحنانان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولولم يجد المايين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لما اذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لأجل المال والجاه والعدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أنذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فتسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قبل أن يجمع الواقعة فنكون خافضة رافعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتقوا به ولا محابا لجرائده ما ترجمته
أيها السادة : — لم تعد كلية عليكرة شيئا غير معلوم في مصر . فأكتفى بأن
أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام — المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعتد بمدارس
مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لأن
المدارس الثانوية لتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا المدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا مدارس ثانوية قنية . فمدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وإن كانت المدرسة العالية
في عليكرة لا تزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية . ولا تنكر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج إلى الآن رجلا من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجلا ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلائدهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك إلى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى إذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصلحة شخصية له يحقره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تسير عليه هذه المجتمعات
والاندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) إذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديتكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكونون فيه
رأيكم العام وتغذون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لإدارة الأعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لا نعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط قائمها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتحسك كثيرا بالترمية الدينية والترمية الوطنية اذ يهجر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لا بد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سيال الفكر بمحواجز صناعية لا بد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نعمله في الحقيقة هو أن نعدّ لذلك السيل طرقا ومسالك يجري فيها والكلية الآن تتبع روجرام التعليم في الحكومة وتمتد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاحنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا بيدنا ولا تسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . حينئذ نأخذ العلوم بيميننا والفلسفة بجهائنا ونحمل تاج « لا إله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السيد أتي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تنمو هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لا يؤمل الآن من الاستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المنفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي الثواب بحسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وثمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر الترية الاسلامي وقد قال سمو أغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي متدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طييبا برقي وتقدم اخوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

بجعل عليكم (الكسوف والاسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا تعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاق والمروءة والاثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا المذهب أولا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه : فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سببا في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شيء من المال لهذا العمل المجيد ؟؟؟

وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلتقي فيها العلوم التي يمكن تلقيها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكر تنمويه الارواح وتربي الرجال وتسمو الاخلاق . نريد مكانا يكون مهبطا للعلم وطورا يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى يتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والعرفان في كل أرجاء العالم

واني أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يمد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وانحطاطه .

واننا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر المختبئة في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب العديدة المثال بتفسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ويجعل لهم مرتبات لكي يستريح بهم من جهة الحياة ولتفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضا ننشئ في محاذاة تلك الكلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير ، يحتاج الى اتفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واذا ساعدنا التوفيق انضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لطبي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كلها وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمت علم من العلوم لا يتعلم في عليكم . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليكم لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألنا بعض الناس — لما ذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فنشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول اتنا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكره لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين . فوجود الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين . ولن نسمى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها « جامعة اسلامية » الا بالمعنى الذي تنسب اليها كسفورد وكبريدج الى كنيسة انكلترا الرسمية . وأني أورد لكم بعض الحجج التي تقيمها في هذا الصدد

أولها — من المعترف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية المسيحية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يسلم الدين اجبارياً ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت . أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها . وقدلفت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق نازار الرأي العام الى هذه النقطة وعندها تقصاً في نظام التعليم الهندي . ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اتنا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها — قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكره وإني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهل الدين

ثالثها — أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرسة جامعة لادين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشاءها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يئش وزير مالية انكلترا اخيراً قد التى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها — إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاورقة) لصناعة طلبة ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية ولكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالاً كباراً ورجالاً ينقطعون للعلم والدراسة والبحث . ولا يمكن لمدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على أنه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدرى بدائكم
ودوائكم أكثر مني ولكني أريد بالنبأية عن رؤساء كلية عليكم أن ادعواكم إلى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل أن تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد أن كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة إلى مدرسة
ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الأربع لا تكفي لتربية الأمة كلها ولو وجد
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الأمة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لإنشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين أنه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية أهلية ليست منها
واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الأمة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو أنه يلزم أن يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
ويعلم الناس أن يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى .
وإني موقن بأنه إذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فإن عدد المدارس الأهلية
الثانوية يزداد وإذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية إخوانهم
الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدر المصريون على تعليم إخوانهم كذلك ؟؟ فلهذا أرى أن
أول واجب على قادة الأفكار هنا أن يسموا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
نفقات كثيرة ويمكن تنفيذه في الزمن القريب . وإني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم أن يكون ذلك في أوروبا .
وإذا كانت الحالة المالية لا تسمح بإرسال الطلبة إلى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكم . فإن نفقات التعليم فيها مع الإقامة والسكنى وكل ما يلزم
لطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنيهاً في السنة ولهذا أرى أن عشرين جنيهاً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وبإيتكم تجميعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنيهاً
يعطى منه عشرون جنيهاً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء إلى عليكم
ليقيموا أربع سنين أو أكثر إذا أراد الطالب . ولا أقصد أن أقول أن التعليم في
عليكم أرقى منه في أوروبا ولكني أفضله لسببين أحدهما أن الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو إسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد المجر وأفغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وجامعاتهم وأحاديثهم معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وثانيها ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يتعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . واني في موقعي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي تهتم عليكم وترقيتها كما سبق لي الاشارة لاني اعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكم يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة إسلامي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشيبالد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكم يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نواجهها والتي آمل ان اخواتنا المصريين يساعدونا على تخطيها . علمتم ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكم ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطلما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكم فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على اصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نقدر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمدون على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذا أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع برجراماً صالحاً ولا كتباً وافية بالعرض أيها السادة : العلاقات بين مصر وعلكم تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونود أن نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لا كمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم أن تبحثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقديم مدرستا وسيرها ويسألون عما تفعله نحن الهنود المسلمين

لإصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى أنه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية
عليكرة وتساعد على نشر ما يعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلاً في اختيار معلم اللغة
العربية عندنا . وإذا تأسست جمعية على هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الإسلامية

(٢) إعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يعد

لهم كما ذكرنا

(٤) إعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة إذا احتيج إليها فمثلاً إذا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك
أو سواء من الرؤساء واطن أنهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الإسلامية في
الهند وبالطبع يرسلون إليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد
أن نحتذي فيه المدارس المصرية لأن الهنود لا يحبون أن يقلدوا الأوروبيين في ذلك .

وفي الختام أيها السادة أشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم أيادي وأؤكد لكم أنني
سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفني وسأؤكدكم ما حييت بزيد الشرف والفخار
إصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي أن ألتقي وأتعرف بهم اهـ

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ثاقب، ورأي صائب، وتهدي إلى طريق لا حب،
لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الإصلاح من المسلمين، وإن أولاهم بها لعقلاء
المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل جبل مدرسة عليكرة بحباؤهم،
وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل
لإصلاح المسلمين كافة ودعوتهم إلى السعي في إنشاء مدرسة جامعة إسلامية تكفل
ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك أو يدعو إليه إلا ما كان من الأستاذ
الامام رضي الله تعالى عنه فلما أن تقول بعده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا
وأعلى همة

(٢) "وحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكرة وهو أنظم أركان الإصلاح الذي لا يرجي للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل أن أعلمنا ضياء الدين أن مدرسة عليكرة تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنسئة واحدة روحها الأخوة الإسلامية النافية للتفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهم واقداً وقد كنا دعونا إلى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات ومحاورات المصلح والمقلا . ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآدانا كثير من الناس زاعمين أن مادعونا إليه ضار مضيع للإسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقي لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الإسلام مقروكة إلى اجتهاد الأفراد لا تدخل في التعاليم المأمورة ولا يمنع أحدا من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادي ذلك . وما شرع الله لنا إلا أن تقيم الدين ولا تفرق فيه وهل من سبيل إلى إقامة بدوت تفرق إلا مادعونا إليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا إليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا إلى العمل الذي كان الاسناد الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه إلى تأسيسها . ومن علم أن التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وإن الحرية في مصر أقوى منها في الهند نجلي له أن الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان استعداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما اعتقد

(٣) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه إن لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلاهم في هذه الأيام حقيقة الأزهر وإنما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكرة

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية ونهايتك بما كتبه يومئذ الى المنار وما المهد بمقالته الاخيرة في المنار بعيد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهبا من المذاهب ولا يعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجي منه شيء . وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لا عناية فيها لاسيما التوحيد والتفسير والحديث وهي هي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجي خیرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهوؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يصلوا ولم يكتبوا شيئا في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية من ايا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسنى وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها إنه لم يترك خلفا يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشاؤها بعد ترك الأزهر فجاء دعامة الجامعة المصرية يساقونهم الى ما هم أحسن به فاستمالوا بعضهم وسكت الآخرون لئلا يكونوا معارضين لمن بدأوا بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يمشون الخوزلي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكثرتهم أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل اليها ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكائنا المتفرجين قد شغل خيالهم بوطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفسد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لدور هذه المفسد عدتها . فهو لا هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عافى الهند من هذه النزعة

لا تريد بهذا تثبيط الهم وترغب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذلك المال لها اذلسنا ترى من خدمة الدين مجافاة العلم بل تدعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجورا وترى ان الخذلان فيها لا قدر الله (عار على الامة كلها وأن ما يريد الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتقاء ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تنفي مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربي فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا نابذين في علوم العصر كلها واذا عظم الا كتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

اثبات علمية

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب الفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب مالا يباغهم مع وجودها وقد ثلثت فطرته ، وخشيت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يميزهم على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصلي ، وانهم قالوا من التربية القدح

المعلّى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يماقرون الخمر جبراً وهم يعتقدون
أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب الذي يقولون
عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرّمها على نفسه وهو لا يرى فيها أثماً في
حكم الدين ، ولأدما من المعاشرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبثها فأبى أن
يحكم لذته في عقله . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس
ابن هشام قال لا حرم رجال الخمر في الجاهلية نكراً وصيانة لأنفسهم منهم عامر
ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن
غيلان وقال في ذلك

سئالة للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال

أقسمت بالله أسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي (١)

مورثة القوم أضفنا بلا إحن مزية بالفتى ذي النجدة الحامي

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك أن الخمر مادت شاربا لالابة مالي ومذهبة عقلي

وتاركني من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلا نبل

(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرز الكنائي الخمر في الجاهلية وقال في ذلك

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما

فلا والله اشربها حيائي ولا أشفي بها أبداً سقيما

(قال) وحرم عفيف بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال

وقائلة هلم إلى التصابي فقلت عفت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد اراني بها في الدهر مشعوفارهيئا (٢)

وحرمت الخمر عليّ حتى أكون بقعر ملحود دفينا

وقال عفيف بن معد يكرب أيضا

فلا والله لا ألتى وشربا أنارهم شرابا ما حبيت

(١) أي لا أسقيها ولا أشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوفاً مخموراً

أبي لي ذك آباء كرام وأخوال بمرزهم ربيت
(قال) وحرّم سويد بن عدي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعنيّ الخمر
وأدرك الإسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وإن كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه
﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له إن رأيت أن تنشدني من أرق ما سمعت من عمك من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وما تصنع برقيق أشعارهم
فوالله أنه ليقرح القلوب ويحث على الصبابة ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا أني لغريب
غريب دعاه الشوق واقتاده الهوى كما قيد عودًا بالزمام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أو نفقة مروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلائص منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لعمرى أين كنتم على النائي والقلا بكم مثل ما بي أنكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساع لي بين الجوانح ريق
إذا زفرات الحب صعدن في الحشا كرن فلم يعلم لهن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه
قال أنشدني عشرةً من الحاربية وهي عجوز حيزبون زولة

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقاً وجشت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ألبى
ولا شربوا كأساً من الحب صرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

قال أبو بكر: الحيزيون التي فيها بقية من الشباب والزولة الطريفة والزول
الطريف وقوم ازوال والزول أيضا الداهية والزول العجب. وقال لي غير أبي بكر
الحيزيون المعجوز ولم يحدد لها وقتاً ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة الملكي

ان وصفوني فتاحل الجسد أو قشوني فأبيض السكبد
أضف وجدي وزاد في مقي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم أمت في غد فبعد غد
جئت كني على فؤادي من حرا الهوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكركم فريسة بين ساعدي أسد
يدي مجبل الهوى معلقة فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الأنباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كيدا أفتى الهوى جلها من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا نفسها ساعة كوت يد البين على الباقي

(المنار) القاري: يرى في هذه المقاطيع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا للقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمل والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الجروفي النسب
هو منقول من كتاب الأمل والنوادر، وما كتاب الأمل والنوادر؟ هو الذي عده
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب: ومعنا
من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي أدب
الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النواذر التي قل ان تكتحل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرح كل عين تعشق الأدب اذ شرع في طبعا الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي قسم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالانتقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأملاني . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشتهر فيها وما قد يشتهر من التركيب في الثمر بالشكل وأظن أنه لم يعثر بطبع كتاب بعد (المختص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاكة مما يطبع في نفس قارئه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشاً

مفردات الراغب في غريب القرآن

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو ما زال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح وفسرها تفسيراً قلما تجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالترديد الدوري وهو كثيراً ما يحدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالترديد المنطقي وقد طبع في هذه الأيام الحاج مصطفى الباي الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكره أحياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر أقال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

خمس رسائل نادرة

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المشكك فيهم بمالاً يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الحنبلاني . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحت أهل العلم على مطالعتها

﴿قانون الصين﴾

يقول الشيخ سعيد العسلي الرحالة السوري انه ظفري كشر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع اهل الصين السابق (تو نجي خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض المعارفين باللغة التركية والصينية معا في مدينة (نخوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح ، وقد طبع ما ترجمه في مصر ، ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية ، وبأيت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام ، اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والرغبة في المطالعة ، هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكم لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجي رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على انحاف العربية به ،

﴿فصول الحكماء﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدي أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقلين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع ، والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندي هندية

﴿بلزار﴾

أهدنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضناها بين الكتب المعدة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الى ابتياع

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلماً يقرأ المنابر حيث تباع قصة بليزار إلا عند طابعها وبائتها . وعكنا في الشهر الماضي أباما فرأينا من القسبية أن ننظر في بعض ما لم ننظر فيه من القصص المهداة إلينا وبدأنا بقصة بليزار فبدلتنا ما لم نكن نحسب، بدلتنا أن هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها، وتتجلى فيه السياسة القويمة في أسنى مجالها، لا يقرأ الفصل الأول منها ذو قلب وملك عينيه أن تهمل . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والنجاني عن اللغو أن يختار طبع قصة لا تفيد ولعله يرسل إلى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في تشويقهم إليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزو - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطتهن الطبيعة حتى صار هن المرأة في التمتع بمعنى الزوجية صارفاً لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالمويسقي . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضعية عنوان الأولى العجائون والثانية الشيطان والثالثة المكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها إبراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الأسلوب

﴿ جريدة المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق الحمودي » ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى . وذو صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن المعجمة . وجعل أمراً السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقولهم عن جريدة الاهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب أنهم سوريون كأصحاب الاهرام وكبالتة في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام... ولم نقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما نرى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الحمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية... ومن مبالغة ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأون الجرائد بل يمدحون عن السياسة وإنما يقرأ بعضهم المجلات. وأما الامتانة فكل من أرسل إليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت. والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالباس الخديو. وكقولهم ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية «بكونها تطبع بثمان صفحات» والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجازياً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة للعناية بها وللتنبية على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فانا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكاتب على ما كتب - وللغيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من الخيال أو افترض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المذهب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
 أنشأها في رحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
 الى عيسى افندي اسكندر الملو ف بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
 صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو
 كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
 التهذيب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبنانيين الذين ينشئون
 الجرائد اليومية وغير اليومية في قلى الاجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
 الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالاضاد ، في مثل تونس وحلب و بغداد ،

بَابُ الْخَبَرِ وَالْأَعْيَانِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل
 والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المتفرقة بالقوة العسكرية بضعة قرون
 ولكنها لم تحوّلهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون
 فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
 الشعوب عن دينها ولغتها ما أو عن أحدهما بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
 في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب المدغلة عن دينهم بالقوة القاهرة
 وإبادة من تأبى وإجلاله فبقيت هذه الشعوب التي لم تنحد مع النولة برابطة لغة
 ولا دين ولا حكومة مساواة تفترص النهز للخروج عليها والانفصال منها فمنهم من
 قضى مآربه ومنهم من ينتظر

كان ضعف هذه الشعوب وجهها وعدم النصير لها هو المون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت علي هذه الشعوب شعاعا من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصارا من دول أوربا التي أربت قواها على قوة الدولة . واتفق أن اشد من أول هذا القرن (المهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لأن سهم الترك من شعاع العلم كان أوفر وشعورهم بالظلم زوال السلطة أقوى . فأنبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسمى في تلافي الخطر الذي يندر دولتهم بإزالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعوانا للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديرة بان لا تدرأ الخطر ، ولا تنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجوب السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها وملاها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورية وعادل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهندوا الى هذا التأليف بين الشعوب والممل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكربت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فمضى ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاو يعضدوها بأرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية شوروية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التفرقات الى الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم اللجنة المركزية الأصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعتها وتسمية الاشخاص اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والفرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم العثمانيين الذين يهمهم خير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسمى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع الخطابات ترسل الآن موقفاً الى صندوق البوستة نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

أمير بل ملك أفغانستان في الهند

طالما تمنى الانكليز أن يزور أمير الافغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الايام ما تمنوا ففسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا الانعدا أفغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا اماره وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الأمير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة وبحث فيها بحث مفتش خبير فكان بحته وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتي قيل انهم عجزوا عن مجاراته والاجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلموه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصنافه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن استاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أسر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الذم عند سماع التلاوة

وطالب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصبحوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرح الشباب وستندكرون ما أقوله لكم مني تقدمتم في السن ، تسمعون الناس يقولون ان أمير أفغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أتفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني - وأنا سني - لا أفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

أنني نهيت في دلهي عن تضيعة البتريوم العيد وأنا هناك بمجاعة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فإذا كان هذا شعوري في مجاعة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلي إلى الشيعة؟ إذا لا تصدقوا أنني متعصب، إن في رعيي السني والشيعي والهندوس واليهود وقد أطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب. نعم لا أسمح للشيعة أن يهين الخلفاء الثلاثة وتزدرهم فإن كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب.

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتحه بالشكر للحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة الحسن والسبي، وكان السبي هو الغالب على ذهنه قال « فجت لأعرف الحقيقة بنفسي لا أنني لأثق في شيء من الأعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت مجلس الإدارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في إيمانهم وإن الطلبة يتقدمون ويزمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واتي سألهم أسئلة يصر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا تتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله أن وجستهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص الناس على قطع السنة من يذمون هذه الكلية (وهذا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن أن الدين والعلم لا يتفقان وإن الدين يضعف حيث ينمو العلم فليأت إلى هذه الكلية وأبر كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة النابتة الجديدة . ينبغي أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم في ذلك من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول إنني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسبانه طريقا للشر إنشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة إلى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية إلا أنني أصر على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فإذا هدمتم الأساس هدم ما بني عليه . لذلك أقول لكم اجعلوا تمرين
الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كليتي وأرجو أن
يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق
مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام »
ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألفاً روية هبة معجلة ومرتباً
سنوياً قدره ستة آلاف روية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدى القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ،
الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن بيده ملكوت
كل شيء ، وهو مجير ولا يجار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلى أئيب ،
كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار
فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم
يعرفنا به صديق نثق برأيه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر المجهولين الذين
يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطالب يطالون بعد ذلك ويسوفون ،
أو يهضمون الحق وهم متمدنون ، وإن سوء حال الأكثرين ، يحمل على سوء الظن
بالأقلين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة إن شاء الله تعالى
لأرسل المنار إلى أحد من طلاب الاشتراك إذا أرسل إلينا القيمة مع الطلب إلا
أن يكون معروفًا لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ما قاسينا
من مطال الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان
فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدين مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النقطة
زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت
دكا كين تؤجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر قستكثر وزاد مطال المشتركون مع ذلك

حال المشتركون

في كل سنة نزايد علما بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشرة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٦٣١٤)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديريات (كالدقهلية) لم يرسل الناقمة
الاشتراك منها في هذه السنة الأخيرة من المئة . نعم ان أكثر المشتركون في المديريات
لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكر والصحف نفسها لا تعد
مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد إلحاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوءال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعته الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الهي والمطل أغريب
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتسكن من
نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما تمكن الا بالوراثة . قال إن الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
الدم وهم واحدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضرر بوا يعترفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الايمان المفاظة انه لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرباج بمجلده ، وشربت الشياط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والدواوين ،
وصغار المستخدمين ، ثلثة من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه النابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ أربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيتة ممن يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الديوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رأي يهديني بان يرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكرر وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى » صرت اذا رأيتة أتبسم تعجبا فيادر بالاعتذار - وأمي عند اقرب الى الاذهان من النسيان - ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فجاريته بهذا وذاك وأني تنفع مثله الذ كرى أمثال هؤلاء . يتمجب منهم ولا يعتب عليهم ومن المشتركون من يعتب عليهم و يتمجب منهم كبعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مضبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجهد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركون في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تعطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار مطردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضر موت اينما كانوا وحيثما أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي . حسابه وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسيكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقتصد بين الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه وان لم يستعجلوا ، فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطالأهم أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا بما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فحين لنا بعد التعري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العناوانات أو يذهل عنه عند إلصاقها على الملف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من المراجعة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يختزلون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يترأضون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيرا من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند مجيئها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الأقربون والأصدقاء نسخهم من يادو الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدور ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يعتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحداً منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال له المطالب اني لم أر المنار منذ كذا وذا كر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت المطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق قرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء II فردده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشتركى المنار قليلاً لا أكثر الله في أمة من أفرادها

لكثرة طلب المفقود نصح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كان حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد
أرسل اليه والادارة لا تضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد
في هذه السنة منه فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبع وطول الامد
على إصلاحها ثم ما عرانا من التوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكاتبة من
كاتبونا من المشتركين والمحبين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد
المساعد وعسى أن لا نقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في
انكار نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يملو
ولا يعلى لا تطمسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وانما يخاف على دين من ليس
على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يعند بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله
أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألتان جديرتان بالذكر قلها أحد فضلاء
الاوربيين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي
يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العروة الوثقى نشرت
في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة
الاوربيين المستمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وانما هو أثر
تاريخي لغيرنا كتب لفرض سياسي فات وقته ومضى زنه فلم يخطر في بالنا أن نمحذف
كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستناد الامام
لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب
الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها
المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم
لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الافرنج لا يكاد يوثق

بعلوم النظرية والعقلي لأنهم لم يتقنوا إلا العلوم العملية المبنية على التجربة والمس .
واقول أنني تنبعت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبانة
في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيما مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
ولولا أنها الكراسة العاشرة لاستدركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
تنشر بعض الآراء السياسية وهو لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفتياتهم
قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

الثناء على المنار

أما ما برد علينا من الثناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإننا
لنخجل من نشره لاسيما اذا كان محضاً ونسأله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
من يحسنون الظن بنا وان يقينا شر الغرور بالنفس ، والغفلة عما لا نخلو عنه من تقصير ونقص ،
الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإننا ندعو أهل الفجرة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا ما ينشر في المنار ونعدهم بنشره مقروناً بالثناء
والإقرار بالقبول اذا أقنعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأيد به بالدليل
والحق بعد ذلك لا يخفى على الجاهل اذ هو الذي يعلم ولا يعلم . كما ندعوم الى
تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبلغه مجلتنا من البشر فان الدعوة
اذا أيدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشعاع وترسخ رسوخ
الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامر من جعلهم الله أهلاً للدعوة الى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ،
اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يهززون ويلمزون ، ويفتابون ولا ينصحبون ،
ويحسبون انهم على شيء . ألا انهم هم الكاذبون ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ،